محمد كامل سليمان سليمان

الأيديولوجيا الشيعية

في رثاء الحسين



دار الكتاب اللبناني



الأيديولوجيا الشيعية

في رثاء الحسين

الأيديولوجيا الشيعية

في رثاء الحسين

محمد كامل سليمان سليمان

دار الكتاب اللبناني بيروت

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبنان)
هاتف ٢٥٧٤٧٠ - ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L
LE BEIRUT

الطبعة الأولى
١٩٨١

إهداء

الى اب علمني حب الحقيقة ونذر النفس لقضايا الانسان الكبرى مهما عظمت التضحية.

الى ام غذتني بلبان الوفاء والاخلاص.

الى زوجة مخلصة واطفال صبروا انفسهم معي في رحلة البحث الشاقة حتى اتت اكُلَهَا.

الى اخوة رساليين تسلحوا بالمعرفة وظلوا مشدودين الى مركز دائرة الحق والايمان.

الى الجنوبي الذي اصبح التشرد منزلا يأوي اليه من عنت السرى وظلّ على ولائه للأرض والانسان.

الى كل انسان ينشد الحقيقة عن طريق المعرفة بعيدا عن كل تعصب.

اليهم وهم صيغة محبة منبعية وربيع وفاء متجدّد.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

..« برعم صغير فتح عينيه على الوجود ، ومن حواليه الصقيع يترصد كل رعدة حياة ، والزمهرير يزرع اليبس والجفاف حيثما تستطيع ورقة خضراء ان تطل من نافذة الحياة....

برعم صغير ، ولكن في اعماقه من خزين النسغ ما جعله يتحدى الصقيع ، يقاوم الزمهرير ، لتطل الحياة من اشداق الموت ويمرع الخصب من بين براثن الجفاف.

ذلكم هو السيد حيدر الحلي الذي ولج باب الحياة وسحائب عصر الانحطاط الداكنة لما تنقشع عن سماء الوطن العربي ، وجاثوم الاحتلال التركي لما يزل يرين فوق كاهل الامة العربية ، يسد امام وجهها منافذ الضياء ، يمارس اصناف الكبت للحريات ، يكم الافواه بشتى الاساليب والوان القمع ، حتى تبدت الحياة العربية وقتئذ زنزانة موبوءة ..وآن تغدو الحياة كذلك تصبح النافذة حلماً ولا اشهى...

هذهالنافذة الحلم التي اشرعت لاستقبال النسيم الأرج ، ورصدت لا ستضافة الضياء السمح ، لم تكن غير شعر السيد حيدر الحلي ، هذا الذي تألق في سماء الشعر العربي كوكبا وضّاء ، يحف به من السنا الوهاج والهالة المستحبة ، ما لم يكن لكوكب آخر..... تألق هذا الكوكب السنيّ وراح يتهادى باطلالته البهية في رحاب الفضاء اللامتناهي ، حتى لا يظل الليل مطبقاً بلا حدود ، وليزرع في جدران الدجى كوى النور...

لقد تألق هذا الكوكب الدرّي ولكن لم تشر اليه انامل الاستحسان ،ولا ترصدته عيون الاعجاب ، كلا ولا سهر الشوق في مقل العشاق المعاميد يترقب الوافد المنتظر برغم الحاجة الملحة لقدومه....

لماذا يا ترى عشت العيون عن بهيّ سناه ، وما حفلت به كما ينبغي له؟ ما الذي القى به في غيابة المغمورية؟ وقذفه في جب النسيان؟ ..

اهو هذا العصر الذي عاش فيه ، حاول وأد اشراقته فيما حاول ؟ ام هي تلك البيئة التي ترعرع بين ظهرانيها ، مضغوطاً على حريتها ، ممعوسة تحت وطأة الاحتلال الغاشم؟

ام ان سبب ذلك هو اللون الشعري الذي راح يطلع به على الناس ، وهذه المجالات التي راح يتبنّاها ، حين وقف قصائده العصماء مدحاً ورثاء على اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، وعلى الامام الحسين منهم خاصة.

ام يا ترى هو هذا الشعر الجزل ، الفصيح ، السامي الخيال ، الرائع الصورة ، الذى راح يطلع به على الناس ، مما جعلهم حسدا يطوون عنه صفحا ويلوون كشحا؟

أأحد هذه الاسباب أم كلها مجتمعة هي التي حجرت على شعره وشلت السن ذيوعه وانتشاره..

... هذا التعتيم الذي مورس ضد هذا الشعر كان في طليعة ما جعلني اقف عنده ، بعد ما سمعته يتلى في مجالس ذكرى ابي عبد الله الحسين من لدن صغري ، فيؤثر في نفسي ، ويلونها بهذه المسحة الايديولوجية ، وكبرت انا ، والتأثير كبر ، فرحت ابحث عن هذاالشاعر الذي احببته واعجبت به ، فلم اعثر له على ذكر في كتب الادب العربي ، حتى في تلك التي تؤرخ للرثاء ، وحتى ما كان منه في النبي وآله.

ـ لهذا عقدت العزم على ان احاول فتح الطريق للوصول الى هذا الشعر ، فبدأت بزحزحة كوم الحطام ، واستئصال الاشواك ، لأشف عن زهرة يانعة من زهرات الشعر العربي ، لتزيد من جمال حديقة الادب وتأخذ دورها بتضميخ الجِواء بالعبير.

فكان لي بهذه المحاولة من اللذة الروحية ما لا تعادلها لذة..

وكيف لا وقد رأيت دراستي لهذا الشاعر تمدني بثمار مشتهاة قطفتها خلال معايشتي لشعره ، فتبدّت لي مجدية على اكثر من مستوى.

واول ما طالعني بعد مدارسة شعره من امور ما يلي : أ ـ تصحيح المفهوم المنتشر عن عدم مطاوعة الاوزان الخليلية والقافية الموّحدة للتعبير عن افكار الشاعر

وايديولوجيته،[1] فالحلي استطاع ان يدحض هذه الدعاوة، حين التزم بالشعر العمودى وعبّر من خلاله عن ايديولوجية دينية[2].

. ب-خلال رثائه للامام الحسين ومناجاته لصاحب الامر، ومن خلال منطلق إنساني عام، الا يلقي في الرُوع ان الشهداء الذين يقضون ذياداً عن قضايا الانسانية الكبرى يخلدون عند الله والناس. وتستمر ذكراهم واحة ظليلة، يفيء اليها كل من هدّه عنت السرى وعنّاه طول المسير.

الا نرى الحسين عبر شعر الحلي متغلغلاً في نبضات شراييننا وخفقات قلوبنا، ماثلا ابدا آمام اعيننا ، رمزا ومثالا، للانسان كل انسان يريد ان يثأر لكرامته، ويثور لمعتقده، دفاعا عن الحرية والعدالة والمساواة، وآنئذٍ الا نهتف مع حيدر الحلي:

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم ... فلا مشت بي في طرق العلم قدم[3]
لا بد ان اتداوى بالقنا، فلقد ... صبرت حتى فؤادي كله الم

..من هنا كانت الحاجة ماسة لدراسة شعر السيد حيدر الحلي واضرابه، فمثل هذه الدراسة تحرّك الحاضر بحرارة وحرية، دافعة له لبناء مستقبل امثل، اذ بغير تمثّل التراث وتحديثه، والافادة من تطور الحضارة، لا نكسب القدرة المحوّلة.

ثم ان شعرا له هذا المنطلق الايديولوجي البنّاء وهذه المقدرة على تمثل الايديولوجيا وزرعها في نفوس متلقيّة، اليس حرياً بالتوفر على مدارسته، في عصر نحن احوج ما نكون فيه لايديولوجيا والتزام.

المصادر والمراجع:

لقد عانيت في التفتيش عن المصادر والمراجع التي اهتمت بهذا الشاعر لندرتها من جهه ولكون ما كتب في بعض التي تعرضت له إلماحات، ليست هي بصدد ما انا فيه من بحث.

اول المصادر واهمها هو شعر السيد حيدر الحلي نفسه، وقد اعتمدت من ديوانه بصورة خاصة على الابواب الثلاثة الاولى من الجزء الاول، خصوصا مراثي آل الرسول.

---

١ - يلاحظ كتاب «شعرنا الحديث الى اين» لغالي شكرى س.٧٧-٨٥ وفي اماكن متفرقة من الكتاب.

٢ - استعملت كلمة دينية للدلالة على دقة الالتزام.

٣ - ديوان السيد حيدر الحلي تحقيق علي الخاقاني ج١ ص ١٠٣

واما بالنسبة للحالة السياسية والاجتماعية فقد أفدت من:

١ كتاب الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي.

٢- وتاريخ الحلة لبوسف كركوش الحلي.

هذا بالنسبة للسيد حيدر الحلي تاريخيا ، اما بالنسبة للايديولوجيا: فقد اعتمدت على دوائر المعارف العالمية بالنسبة لتحديد كلمة ايديولوجيا ولبعض الكتب التي كتبت في موضوع الايديولوجيا امثال:

ا- Essai sur L'idéologie. .DANIEL VIDAL

ب - هنري ايكن عصر الايديولوجيا.

واما بالنسبة للايديولوجيا الشيعية التي كانت ايديولوجيا الشاعر فقد اعتمدت امهات الكتب الشيعية في هذا المجال مثل:

١ - اصول الكافي للكليني.

٢ - اكمال الدين واتمام النعمة للصدوق.

٣ - اوائل المقاولات في المذاهب والمختارات مع شرح اعتقادات الصدوق للشيخ المفيد.

ومن المراجع:

- شعراء الحلة لعلي الخاقاني

- اعيان الشيعة للسيد محسن الامين الجزء التاسع والعشرون.

- طبقات اعلام الشيعة لآغا بزرك الطهراني القسم الثاني من الجزء الاول.

ومهما يكن فان هذه الكتب وكذلك اشارات كحالة وسركيس، وبروكلمان، والزركلي، والاب لويس شيخو اليسوعي وغيرهم لم تقدم جديدا من الناحية التاريخية، وليست بصدد ما انا به من الناحية الايديولوجية ، وكانت الافادة منها قليلة.

وعلى كل فسأفرد في نهاية البحث لائحة باسماء المصادر والمراجع التي اثرت في البحث من قريب او بعيد....

أبواب البحث

لقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة.

المقدمة حاولت ان اجعلها معالم على طريق الدراسة، والخاتمة غاية المطاف.

اما الابواب الثلاثة فهي :

الباب الاول:
الايديولوجيا في شعر السيد حيدر الحلي عبر رثائه للامام الحسين:

لقد عرضنا عبر فصول هذا الباب الى تحديد كلمة الايديولوجيا في اللغة الاجنبية واللغة العربية، ثم عرضنا لمفهوم الإلتزام شعرا ونثرا، مستطردين الى الاشارة الى معالم الايديولوجيا الشيعية التي تبناها السيد حيدر الحلي ، والى طريقته في التعامل معها، وأبنّا في هذا الفصل كيف كان الشاعر دائم الحضور ، يعانق ايديولوجيته بحميمية واخلاص.

ولم ننس ان نقف عند المهدوية ومرموزها في شعره وذلك عبر رثائه للامام الحسين خاصة ولاهل البيت عامة، الى جانب وقوفنا عند رثائه بشكل عام والى اخلاصه ووفائه وايديولوجيته في هذا الرثاء، حتى ماكان منه في الصحاب واهل الوداد، وحتى في الجانب الكلاسيكي منه، مشيرين خلال ذلك الى مدى االالتحام والمعايشة المستمرة من الشاعر لايديولوجيته، والى التزامه التزاما شعريا يدعو الى الاكبار والاجلال والتوقف عنده.

١- الباب الثاني: السيد حيدر الحلي، وهذا الباب عبارة عن ثلاثة فصول:
الفصل الاول: تعريف بالسيد حيدر نسبا واصولا وفروعا ومنشأ، وقد بينت عبر التحدث عن ولادته ما كان لذلك من اثر انسحب على مسار خطه الشعري.

في هذا الفصل وقفت عند نشأة الشاعر الذي عرف اليتم مبكرا، ولكن قيض الله له من كفله وشمله برعايته، عنيت عمه السيد مهدي، وقد بينت دور هذا العم في توجيه الشاعر وفي رسم الايديولوجية التي تبنّاها.

٢- في الفصل الثاني وقفت عند عصر الشاعر وتاثره وتاثيرةه في بيئته ، وامتداد هذا الاثر والتأثير على الايديولوجية التي تبنّاها، ومشى على هداها.

وفي هذا الفصل ابرزت دور الاحداث الاجتماعية في شعره من مثل الاحتلال العثماني، والغارات التي كانت تشن على مدن العراق المقدسة، مما دفع بالشاعر لان يستصرخ بدافع من ايديولوجيته، المهدي المنتظر ليخلّص الناس من تسلط المتسلطين، واستبداد المستبدين ولم ننس هنا ان نشير الى دور الثورات التي كانت تعصف والى اثرها في صبغ شعر الشاعر بالروح الثورية ،

وخلصنا خلال ذلك الى تبيين العلاقة الجدلية بين التأثير والتأثر على مستوى البيئة والمجال والاحداث الاجتماعية.

وفي الفصل الرابع عرضنا لاثار الشاعر النثرية والشعرية ، المخطوط منها والمطبوع.

الباب الثالث: الحسين آثارا ومآثر:

مـــا دامـــت دراستنـــا هي حول ايديولوجيـــة السيـــد حيدر الحلي في رثائه للامام الحسين، اذن لا مشاحة من الوقوف مع هذا الامام العظيم الذي تأثر به شاعرنا وطبّق ايديولوجيته عبر رثائه له.

وهكذا احتوى هذا الباب عدة مباحث :

فلقد عرضنا لتأثر الامام الحسين بالمربت النبوي والعوامل والاحداث التي تركت بصماتها في نفسية الحسين وهوجنين ثم انتقلنا الى اثر البيئة في مساره ونموه، الى جانب غنى النشأة على الصعيد الروحي والمعنوي الى ماكان له عبر سيرة حياته من رسالية و ريادة من ذلك مؤاساته لفقراء الناس واحتفاله بهم الى حد تخفيفه من صلاته احتفاء باحد المساكين وتقديرا لادبه ، ثم عرضنا لدوره في ايام جده والخلفاء المسلمين في عهده ، وجرأته وهو غلام يقف قائلا لعمر بن الخطاب عندما كان على منبر الرسول « انزل عن منبر ابي واذهب الى منبر ابيك » عارضين لكل المشاهد والاحداث التي كانت تتشعب في نفس الحسين ، وتترك اثرها فتضاعف ايمانه، وتدعم تضميمه على حمل مشعل الرسالة من بعد جده النبي العظيم.. ثم كانت لنا بعد ذلك وقفة مع حياة الامام الحسين، قبل الامامة وبعد الامامة، ذاكرين الاعمال والاغتيالات التي كان يقوم بها معاوية وكان الحسين يرصدها، الى ان ورّث معاوية الملك ليزيد فأسرف في الخروج عن طوره ، فكانت للامام الحسين وقفات بطولية خالدة في وجه الطغيان والاستبداد.

وما اكثر مواقف ابي عبدالله العظيمة وهل كانت حياته كلها غير مواقف عز واباء، اوحت لشاعرنا بايديولوجيته فراح من منطلقها يمدنا بهذا النبع الثرّ والفيض الغامر من الشعر الايديولوجي الملتزم، ثم تحدثنا اخيرا عن آثار هذا الامام العظيم وعقدنا مبحثا حول اثره غير المباشر او مآثره بتعبير ادق، تلك التي تركها عقيدة وايديولوجيا يسير على هداها عشاق الحرية والعدالة الانسانية في كل زمان ومكان.

ثم انتهينا بالخاتمة التي كانت نهاية المطاف ملمحين خلال الابواب كلها الى جدارة هذا الشاعر بالتوفر على مدارسته.

وهكذا بعد هذه الجولة مع شاعرنا يرتسم امامنا سؤال كبير : وهو لماذا هذا التجاهل للآلىء ما دمنا نبحث عنها ، وحتام نتركها في محاراتها وأصدافها موءودة بالضوء،ولا من يحاول ان يفك الحصار ، وإلام تظل هذه الجزر الغنية منفية في اعماق محيطات المجهول ، وحتى متى نهمل هذه الواحات المرعة في صحارى النسيان ، ولم لا نسل السيف من قرابه الذى علاه الصدأ فلعل لهذا السيف مضاء وصمودا فلا ينبو من ضِراب....

هذا عرض سريع للمشكلة، وتبيان للدوافع التي استحثت على بحثها ودراستها مع ذكر المصادر والمراجع التي اسهمت في تكوينها على الصورة التي جاءت عليها ابوابها الثلاثة.

لكنني عانيت خلال تكوين هذا البحث ولاقيت من المصاعب والتنقيب ما لا يعرفه الا الباحثون عن نفيس الجواهر في احشاء تربة مجهولة.

من تلكم المصاعب، الأحداث التي ألمّت بوطننا العزيز لبنان، فحالت بيننا وبين الجامعة اكثر من سنتين، حرمنا خلالها اللقاء مع الاستاذ المشرف، وقل في هذا الحرمان ما شئت ، تصور فراق المريد عن مرشده، او الابن عن ابيه الروحي، او التلميذ عن استاذه الذي أسلمه مفتاح المعرفة، ففاجأه هبوط الظلام، وراح يتلمّس الطريق الذي لم يعتد المسير عليه من قبل.

الى جانب معاناتنا لحياة الرّحل ، تنقلا من موضوع خطر الى موضع اقل خطرا، ولكن منهجية الاستاذ المشرف ظلت منارة ترسل انوارها الهادية، وتعاليمه ظلت راسخة في اذهاننا، الم يقل لنا انه لا يستثيره شيء كعقرب الساعة الذي يظل يسير بلا تؤدة ، على مدار اربع وعشرين ساعة كل يوم، فلا تند عنه شكاة ، ولا يسمع منه تذمرا..

فالله نسأل ان يوفقنا ويلهمنا سوآء السبيل وهو من وراء القصد.

الباب الأول :

الايديولوجيا في شعر الحلي

الفصل الأول : الايديولوجيا

نشأة الكلمة

كلمة ايديولوجيا من اصل يوناني وهي عبارة عن كلمتين IDEA: IDEE , ET LOGOS: Science

اوّل من ابتكر هذه الكلمة الفيلسوف الفرنسي Destut de Tracy دستيت دي تراسي.ليعبّربها عن العلم الذي يهدف الى دراسةالافكار[٢].

من بين الذين دأبوا على استعمالها « ستندال » stendhal خصوصا بمعناها المنطقي [٣]

انتشارها ودلالتها:

لعلها من الكلمات الاكثر انتشارا على صعيد العالم اجمع، في صفوف المثقفين، وبخاصة في ايامنا الحاضرة.

لقد عرفت الكلمة معاني جمة منها:

انها علوم الافكار من حيث هي افكار ، أي كظاهرة للتفكير الانساني، وبمعنى اكثر دقة هي العلم الذي يعالج تكوين الافكار، الى جانب كونها نسقا فلسفيا لتشكيل الافكار ونظرية فلسفية يكون الحس فيها هو المصدر الوحيد لمعارفنا، والركيزة الوحيدة لمواهبنا، وهي بعد نظرية الافكار عند افلاطون[٤].

---

(١) اسمه الكونت انطوان لويس كلود دى تراسي (١٧٥٤م. ١٨٣٦) فيلسوف فرنسي كان برتبة عقيد بالجيش، انتخب في مجلس النبلاء وفي مجلس الشيوخ في سنة١٨١٤ اعلن زوال الامبراطورية، وكان مجلس الاصلاح La Restauration، يسميه روج فرنسا واغدق عليه لقب الكونت:« نلاحظ ترجمته في

Grand Larousse Encyclopédique Tome 4 éme

(٢) نلاحظ في الكتب التالية مادة (Idéologie) Encyclopedia Britanica Vol. 9. P 194

Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la langue française Tome 3.

وكلمة ايديولوجيا حسب استعمالات « دي تراسي » تدل على العلم الذي يهدف[1] الى دراسة الافكار (بمعناها العام) ، اي من حيث هي اعمال وعي على صعيد خصائصها ، وانظمتها وعلاقاتها ، الى جانب المرموز الذي تمثله ، خصوصا من حيث المنشأ ، وهو يعدّها في هذا المجال الميتافيزيقا الفلسفية الحديثة ، مقابل الميتافيزيقيا اللاهوتية .

ينبغي ان نشير هنا الى ان المفكر الفرنسي مونتسكيو كان هو وجان جاك روسو واضعي ركائز الاتجاه الايديولوجي ، كذلك فان الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية : (حرية، اخاء ، مساواة) كانت ارهاصات للتفكير الايديولوجي الذي اخذ يتبلور في القرن الثامن عشر[2] .

هذا وان كلمة ايديولوجيا تنطوي على مفهومين : مجرد، وانتقادي ، اولهما مدحي ، في حين ان الثاني هو تهكمي واستخفافي .

من الملاحظ مثلا ان (ريمون آرون) (Raymond ARON) يرى ان ثمة نوسانا وترجحا بين القبول التهجمي والتهكمي ، حيث الايديولوجيا هي الفكرة الخاطئة ، وانها تنطوي على تبرير المصالح والاهواء .

هذا في حين ان المفهوم المجرد يرى فيها اتخاذ موقف اقل أو اكثر عنفا تجاه الواقع الاجتماعي او السياسي ، وانها التفسير الاكثر او الاقل منهجية للواقع كما هو او كما يستحب ويرجى ان يكون[3] .

وفي وقتنا الحاضر فان الايديولوجيا اخذت المصطلح المدحي ولم تعد ابدا موضع انتقاد ولا مجال استخفاف ، بل اصبح مطالبا بها عبر المطالبة بالالتزام .

والايديولوجية حسب تحديد « آرون » هي نسق اجمالي لتفسير العالم تاريخيا وسياسيا L,idéologie est un système global d'interprétation dumonde historico– politique[4]

Vocabulaire technique et critique de la philosophie

Encyclopedie «littré» de la langue francaise

تابع هوامش (٣) يلاحظ مادة (Idèologie) في Voabulaire technique, et critique de la philosophie

الصفحة السابقة (٤) يلاحظ مادة (Idéologie) في Dictionnaire alphabétique de la langue francaise

(١) نقلا عن معجم لالاند

(٢) يلاحظ كتاب تطور الايديولوجيا العربية الثورية للدكتور الياس فرح .

(٣) يلاحظ مادة الايديولوجية في Encyclopedia Universalis P.79

(٤) يلاحظ موسوعة Encyclopedia Universalis P.719

ثم نراه يحدد وظيفة الايديولوجيا بأن تعطي توجيها للنشاط الفردي والجماعي.

Une idéologie a pour fonction de donner des directives d'action individuelle et collective [1]

إن الايديولوجية حسب تعريف دائرة المعارف البريطانية هي : نسق فلسفي اجتماعي او سياسي، توجد فيه في وقت معا العناصر النظرية والعناصر التطبيقية، وهي مجموعة افكار تطمح الى تفسير العالم وتغييره

An ideology is a form of social or Political philosophy in which pratical elments are as prominent as theoretical ones; it is a system of ideas that aspires both to explain the world and to change it [2].

هذا وان مصطلح الايديولوجيا أنشأ يظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر، غبّ انتشار الفلسفة الماركسية، وهي في المصطلح الماركسي مجموعة افكار وعقائد ونظريات يدين بها عصر من الاعصر او مجتمع ما او طبقة[4].

الايديولوجيا في اللغة العربية:

ان كلمة ايديولوجيا واسعة الانتشار في اللغة العربية وتستعمل بلفظها الاجنبي الذي اصبح مصطلحا عالميا لكل اللغات.

ونحن لوحاولنا ان نجد لفظا مرادفا لها في اللغة العربية لرأينا أن اقرب تفسير لها هو كلمة مذهبية او فكروية، وهذا رأي العلامة العلايلي[3] كما ان المعاجم التي ترجمتها الى اللغة العربية ترجمتها بايديولوجية وبكلمة مذهبية [4] ، وعلم افكار، او مجموعة افكار وعقائد ونظريات يدين بها عصر من الاعصر او مجتمع ما ،وهذه الترجمة الاخيرة

---

(١) حيث تنقل رأي ريمون آرون من كتابه: Trois essais sur l'age industriel نفسه نقلا عن كتاب: Sociologie marxiste et ideologie marxiste M RODINSON

(٣) مادة Ideólogie

(٢) Encyclopedia Britanica vol. 9 p.194

(٤) مادة Ideólogie في Dictionnaire Alphabetique et analogique de la langue française.

(٣) سمعته منه شخصيا في احدى اللقاءات معه وقد تبنّى التعبير في كتابه من اين الخطأ.

(٤) يلاحظ المنهل قاموس فرنسي عربي من تأليف الدكتور سهيل ادريس وجبور عبد النور.

هي نفس النقل الحرفي للتعريف الماركسي لكلمة ايديولوجيا كما اورده معجم[1]:

Dictionnaire alphabetique et analogique de la langue francaise.

وفي المنجد نرى ايديولوجية بالكتابة العربية وهذا دليل صارخ على استعراب الكلمة (اصبحت عربية) حيث وردت في معجم عربي وعرّفت بأنها:فن البحث في التصورات والافكار. مذهب يعبر الافكار المتخذة بذاتها بقطع النظر عن كل ما هو وراء الطبيعة[2].

وهكذا نلاحظ ان هذه الكلمة تستعمل في اللغة العربية اكثر بكثير من مرادفها العربي لكونها مصطلحا عالميا ولانها ذات ابعاد ومدلولات تنحصر في هذهاللفظة.

ونحن لو حاولنا تتبع هذه الكلمة في الكتب التي استعملتها لوقفنا على مدى صوابية استعمالها لما تشير اليه وتعبر عنه.

فالايديولوجية هي مجموعة مبادىءتنطوي على النظم السياسية والاقتصادية والاهداف الاجتماعية والقيم الاخلاقية التي ينتهجها حزب معين او حكومة معينه او يسعيان لتحقيقها وتنفيذها بالترغيب والاكراه او بكليها معا والسير على هداها فوراً او في مستقبل قريب[3].

ومها يكن من امر فان مفهوم الايديولوجيا استوحاه ماركس من هيچل وراح يطبقه في تحليل التاريخ والمجتمع والسياسة. وكذلك فان هذا المفهوم تبناهفرويد، وعلى اساسه طور علم النفس والاخلاق ، حتى غدا المفهوم الايديولوجي - فيا بعد- القاعدة الاساسية لاجتماعيات الثقافة [4]

وهي منظومة منسجمة من الافكار ، تحدد اتجاها انسانيا معينا،[5] كما ان للايديولوجيا تعاريف ثلاثة:

---

(1) dans la terminologie marxiste, ensemble des ideés, des croyances et des doctrines propres a`une epoque a`une societe ou a`une classe.

(2) المنجد في الادب واللغة والعلوم: الاب لويس شبخو اليسوعي.

(3) يلاحظ موجز المذاهب السياسية للدكتور سموحي فوق العادة ص ٢٤ ويجدر ان نذكر هنا أن المؤلف يرى ان الكلمة مشتقة من كلمة (ideé) الفرنسية وان اول من ابتكرها هو كارل ماركس في حين ان الكلمة كما مرّ معنا قبل قليل مشتقة من اليونانية وان مبتكرها الاول هو دستيت دى تراسي.

(4) يلاحظ الايديولوجيا العربية المعاصرة لعبد الله العروى، ترجمة محمد عيتاني - ص١٥.

(5) تطور الايديولوجيا العربية الثورية ص ٨ للدكتور الياس فرح.

التعريف الموسع : يرى فيها منظومة من الافكار الخاصة برهط اجتماعي، تعكس مراكز اهتمام هذا الرهط ومصالحه.
التعريف الضيق: منظومة من الافكار الموجهة للعمل، تعكس تصور الواقع ودافعا محركا لتغييره وتبديله.
تعريف تهكمي: البدعة التي يولدها خيال اسطوري متأخر كثيرا عن الواقع او متقدم عليه وهذا التعريف لكارل ماركس[١]

وينبغي ان نلحظ الفارق بين الايديولوجيا والنظرية السياسية وذلك ان القيم عندما ترتبط بالحركة فتغدو ايديولوجية ،لكن الحركة عندما ترتبط بالمنهاج العلمي للتحليل السياسي فانها ترتفع الى مرتبة النظرية السياسية[٢].

وعليه فان الوعي الاجتماعي المرتبط بجوانب الحياة هو في رأس مطالب الايديولوجية ، واتخاذ هذا الوعي شكلا غير علمي في بعض الاحيان لا ينفي وجود الايديولوجيا. لذلك ينبغي أن نميز باستمرار بين الوعي والعفوية وبين الايديولوجية والسيكولوجية[٣] ان الممارسة لا تفسر تبعا للفكرة بل يفسّر تكوين الافكار تبعا للممارسة المادية.

ومن المهم ان نعرف في معرض الحديث عن الاديولوجيا ، ان القرن التاسع عشر هو الذى ركز عليها بشدة وعمل على اعطائها ابعادها حتي دعي بعصر الايديولوجيا اذ ان العقائد الاساسية لفلاسفة هذا القرن كانت ايديولوجية الى حد بعيد[٤].

بل اكثر من ذلك فانه منذ ايام (كنت) تزايد الوعي بان الهدف الاول للنقد الفلسفي لم يكن معتمدا على العلم ، في أي معنى من المعاني المألوفة لهذ الاصطلاح وانما كان وشيج الصلة بالايديولوجيا ولا يتلاءم مع غيرها[٥] الايديولوجيا التي هي اسلوب

---

(١) نفسه ص ١٠ نقلا عن كتابه الايديولوجيا الافريقية الراهنة لتوماس صدر في باريس سنة ١٩٦٥.
(٢) المقاومة الفلسطينية والايديولوجيا الثورية، عبد الرحمن غنيم، ط اولى ص ١٦ وغنيم ينقل هذا الرأى عن د. حامد الربيع في كتابه « ابحاث في النظرية السياسية »
(٣) نفسه ص ٢٠.
(٤) الايديولوجيا الالمانية ماركس وانجلز ص ٢٠.
(٥) يلاحظ عصر الايديولوجيا تأليف هنرى ايكن (Henri Aiken)ترجمة محي الدين صبحي ـ دمشق سنة ١٩٧١.

التفكير الذي يميز الفرد او الطبقة[١] او طريقة في التفكير يتبعها نسق في المواقف[٢]

بعد هذه الوقفة مع الايديولوجيا في مختلف مراحلها. وبعد ان عرضنا أهم تعريفاتها ومصطلحاتها، بما تسمح به الدراسة ولا يخرجها عن موضوعيتها مدفوعين بمنهجية علمية تتحرى الحقيقـــة، والحقيقة وحدهـــا، بقي ان نشير الى ان من اهم ما يعنينـــا من دراسة الايديولوجيا التي انتظمت شعر السيد حيدر الحلي وهو اسلوب التفكير الذي يميز الفرد، وهو هنا يكاد ينحصر في الجانب المذهبي العقائدي ولا بأس هنا من الاستئناس بالمصطلح الذي يرى أن الايديولوجيا هي مجموعة المبادىء والاصول التي ينطوي عليها تشريع او مذهب معين والخطة العملية التي يضعها ذلك التشريع او المذهب لإحالة المبادىء او الاصول الى واقع مادي يعيش المجتمع في اطاره[٣].

لهذا سنعمد الى دراسة ايديولوجية هذا الشاعر بما تمثله من تفكير او بما تتخذ من موقف فكري محدد[٤]، يتلاءم مع عقيدته، اذ ان العقيدة هي التعبير عما يسمى اليوم بالايديولوجية[٥].

ولكن هل نحن نطالب الشاعر بأن يطبق ايديولوجيته تطبيقا حرفيـــا، فينطلق من فكرة معينه ثم لا يتجاوزها؟ وهل التزام الشاعر بهذا الشكل وجريانه ضمن الاطار المحدود هو المطالب به؟ ام ان هذا المضمار هو مضمار النثر؟ وايديولوجيا الشاعر تكون على غير هذا الشكل؟..

(١) نفسه ص ٦.

(٢) نفسه ص ٩.

(٣) مجلة العـ عدد ٤٠٦ ـ السنة ١٧ ـ ص٣٢ ـ مقال للدكتور محمد شوقي الفنجرى.

(٤) الشعر ـبي المعاصر ـ عز الدين اسماعيل ـ ص ٣٧٥.

(٥) نفسه ص ٣٧٨.

الشعر والايديولوجيا

تمهيد

قرب الشاعر من الحق، تجافيه عنه، ايمانه، صدقه، كذبه، كل هذا كان مجال نقاش، ـ منذ القديم وحتى اليوم. لقد كانوا يطالبون الشاعر بأن يقول الحقيقة وأن يكون مؤمناً وهذا يقترب مما ندعوه اليوم بالالتزام، او الايديولوجيا الشعرية. هذا يشير الى ان الالتزام كفكرة ـ لم ينشأ في العصر الحديث.كما يقرر بعض النقاد المعاصرين[1]، وانما كان لها جذورها منذ القدم.

فالقرآن الكريم كان في طليعة الدعاة لهذه الفكرة، فحين تحدث عن الشعراء نعى عليهم عدم التزامهم،وقولهم ما لا يفعلون، مشيرا بذلك الى خطرهم ودورهم الرسالي، لذا دائما لهم متبعون.

« والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم ترَ انهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون[2] ».

هنا ينبغي أن لا نفهم من هذا القول أن القرآن شن حربا على الشعراء وعلى الشعر، وانما عبر تبيان مكانتهم وخطرهم، اراد بدوره الرسالي ان يطالبهم ويوجههم نحو ما ندعوه نحن اليوم بالالتزام.

عبر التفاسير المأثورة لهذه الآيات يلاحظ ان هذه الحملة انما قُصد بها الشعراء المشركون الذين تناولوا الرسول الاعظم، ورسالته بالهجاء ومسوه بالاذى[3]. عبر سياق هذه الآيات نلاحظ ان سبب المهاجمة هو انهم يقولون ما لا يفعلون ، أي ينعى القران عليهم عدم التزامهم، وهذا يتبين لنا عبر استثنائه الشعراء المؤمنين من هذا الحكم، وذلك عبر قوله جلّ وعلا « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا بعدما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[4].

---

(١) الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل ـ ص٣٧٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) العمدة ج١ ص٣١.

(٤) الشعراء / ٢٢٧.

اذن فالشعراء المؤمنون الذين يلتزمون بايديولوجية استثناهم الله سبحانه في قرآنه، وفي هذا يتراءى لنا دعوة للالتزام والانتصار لقضيتهم. وقد تحلّق منهم حول النبي ﷺ، كوكبة نذكر من بينهم : حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وغيرهما من الشعراء الايديولوجيين الذين نذروا انفسهم للمنافحة عن شريعة الرحمة والعدالة الاجتماعية.

كذلك فان النبي محمد ﷺ، أظهر عبر التنويه بمكانة الشعراء الملتزمين مدى دور الالتزام في الشعر وذلك عبر حديثه عن هذا الرهط من الشعراء الايديولوجيين بان « هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل »[١].

أرأيت الى دور الشعر، الى مدى فاعلية التزامه، انه يفعل في الخصوم اكثر مما تفعل النبال او قل اكثر مما تفعل القنابل اذا استعملنا لغة اليوم، ذلك ان الشعر يعلن ثورته في الداخل في الاعماق فيزلزل ما يزلزل، اما النبل والقنابل فلا تعدو ان تكون محاولة غزو خارجي، غالبا ما يكون اثرها معكوسا.

لاحظنا عبر الآيات الكريمة السالفة حضّ الشعراء على ان يكونوا مؤمنين ملتزمين كذلك فان النبي نفسه (صلى الله عليه وسلم) يريد للشعر ان يكون ملتزماً، وان يسير في ركاب الحق والا فلا خير فيه « انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه[٢]. »

ان في قولة النبي هذه لدعوة صريحة للالتزام، بل انه ليذهب الى ابعد من ذلك اذ يجعل الشعر رسالة تسل الضغائن من الصدور « الشعر كلام من كلام العرب، جزل، تتكلم به في بواديها وتسلّ به الضغائن من بينها »[٣].

ان في هذا القول منبهة الى دور الشعر ورسالته، هذا الدور الذي يتجلى اكثر فاكثر بقوله ﷺ « ان من البيان لسحرا، وان من الشعر لحكما او لحكمة[٤] ».

---

(١) العمدة لابن رشيق - ج١ ص٣١.

(٢) العمدة لابن رشيق - ج١ ص٢٧.

(٣) نفسه ص٢٨.

(٤) نفسه - ص٢٧.

تذكرنا بهذا القول كلمة لجورج بومبيدو « ليس بين السياسة والشعر الا خطوة واحدة [١] » «du politique au poétique il n,ya qu,un pas.»

وهكذا يتبين لنا ان الشعر كان رفيع المنزلة، مستحبا، ولا ادل على ذلك من قصة الامام علي عليه السلام مع الاعرابي الذي استرفده فاعطاه حلية، فلما اخذها مثل بين يديه وانشد ابياتا من الشعر، عند ذلك امر له امير المؤمنين بخمسين دينارا، مشفعا ذلك بقوله للاعرابي : اما الحلة فلمسألتك، واما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله يقول « أنزلوا الناس منازلهم » [٢].

منذ بداية عهد الاسلام، والشعر - خصوصا الملتزم - يحتل المقام الاسمى والمنصب المرموق، لم يشذ عن ذلك - فيما نعرف - الا ما كان من قولة الخليفة الثاني لحسان بن ثابت، اذ مر بالمسجد وحسان ينشد الشعر، فاعترضه بقوله « أرغاء كرغاء البكر ». فأجابه حسان منتصراً للشعر « دعني عنك يا عمر، فوالله انك لتعلم لقد كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغيّر عليّ ذلك[٣] ».

ولطالما رأينا هذا الخليفة فيما بعد يحرص على تعلم الشعر، متراجعا عن حملته هذه على حسان، حين كتب الى ابي موسى الاشعري احد عماله« مر من قبَلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق وصواب الرأي، ومعرفة الانساب » [٤]

هذا ولقد كان الشعر محور نقاش دائم مما دفع بابن عباس وهو الصحابي الجليل الورع ان يقف في وجه من يذهب الى ان الشعر من رفث القول مرددا - وهوصائم - ابياتا لم يتورع فيها عن ذكر فاحش القول، رفضا لتلك الدعاوة قائلا « انما الرفث عند النساء »[٥] ثم احرم للصلاة.. بل ذهب الى ابعد من ذلك حاثا محرضا على التوفر على مدارسة الشعر، ومن وجهة نظر دينية، ذلك ان الشعر مرجع لغوي ثرّ، وخير معين على تفهم آي القرآن الكريم « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في اشعار العرب، فانما الشعر ديوان العرب » [٦].

---

(١) هذه كلمة لبومبيدو رئيس جمهورية فرنسا في كتابه (Anthologie de la poesie française.) يلاحظ جريدة النهار عدد (١٢٠٨٥) ١٩٧٤/٤/٩.

(٢) العمدة لابن رشيق - ص٢٩.

(٣، ٤) العمدة لابن رشيق - ج١ - ص٢٨.

(٥) نفسه ص ٣٠.

(٦) نفسه ص ٣٠.

وقد كان ابن عباس وتمشياً مع رأيه في الشعر - اذا سئل عن تفسير شيء من القرآن أنشد فيه شعراً

فناهيك بهذه الدعوة غير المباشرة للانهار على قراءة الشعر ، وصولا لتفهم كتاب الله ، ان في هذه الشهادة من حَبر الامة « الشعر ديوان العرب » لكبير دلالة على عبقرية هذا الصحابي الجليل ، وعلى رؤيته الواضحة ، عبر تكريسه لدور اللغة في الشعر ، اذ جعله المرجع فيها والمرشد.

الالتزام شعرا ونثرا:

التفريق بين الالتزام الشعري والنثري ليس جديدا او وليد هذا العصر، فان نقادنا القدامى كانوا يفرقون بينهما منذ القديم. فهذا القاضي الجرجاني يطالعنا بشيء من هذا حين يقول «والشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء»[1].

عبر تأملنا لهذا القول، يطالعنا اصرار الجرجاني على اختلاف مجرى الشعر من مجرى النثر في الالتزام. هذا الذي راح يوضحه اكثر بقوله «والشعر لا يحبّب الى النفوس بالنظر والمحاجّة، ولا يحلّى في الصدور بالجدال والمقايسة»[2].

هذه شهادة قيمة نسجلها لهذا الناقد العربي الذي فهم روح الشعر الاصيل فقرر ان الشعر ليس مجاله المنطق والقياس وحسن الدفاع والمحاجة. هذا الرأي يتبناه نقاد القرن العشرين العالميون مثال «جان بول سارتر» في كتابه «الادب الملتزم» وهذا ما عبر عنه الشاعر الغربي:

الشعر لمـــح تكفي اشارتـــه ... وليس بالهـــذر طوّلـــت خطبـــه

وآن نفى الجرجاني عن الشعر المحاجة والقياس، انما اقرها للنثر حيث الهدوء والمنطق، لا في الشعر حيث الحركة والاختلاج والموران المتواصل.

هذا وان في الرأي المشهور «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» لأصدق دليل على ان للشعر التزاما خاصا غير الالتزام المطالب به في النثر. لذلك فقد اباحوا ثمّة ما حظروا هنا.

ولما كان الشعر يعتمد الطبع والسجية، ويعانق العاطفة اكثر من اى شى آخر، ولما كان النثر موقفا فكريا منطقيا قبل اى شيء، كان لا مشاحة من عدم تلاقيهما على صعيد التعامل الايديولوجي. وهذا ما سلط عليه القاضي الجرجاني الاضواء عبر طلبه - الى من يحاول ان يتناول ابا الطيب المتنبي من بعده بالنقد والدراسة ان تكون

(١) مقدمة الوساطة بين المتنبي وخصومه - ص١٩.

(٢) نفسه ص ٨٥.

مآخذالناقد وآراؤه من باب ما يمتحن بالطبع لا بالفكر[1].

هذه شهادة نيقد ذواقة نسجلها للقاضي الجرجاني ايضا ، الذي استطاع ان يثبت جدارته لان يكون قاضيا يستطيع ان يفتي على مستوى الشعراء ايضا ، من خلال حيثيات حكمه على من يريد ان يتوفر على مدارسة الشعر ، وذلك عبر مطالبته باعتماد الطبع والسجية ، متجاوزا القيود والاطر المسبقة التي تفقد الشعر حرارته وعفويته .

هذه المطالبة بعفوية الشعر وطبعيّته . لم يكن الجرجاني فيها- نسيج وحده بل ان الرسول الاعظم أنبه الى هذا المنطلق الشعري من قبل حين قال: « لاتدع العرب الشعر حين تدع الابل الحنين »[2].

اعظم بها من شهادة في هذا المضمار . اذ لو امعنا النظر في هذا القول ، نحاول ان نستشف ما ورائياته ، لنقف على ايماءاته ومراميه ، لطالعنا الشأو البعيد الذي طوى معارجه النبي عبر تفهمه لمنطلقية الشعر .

فالشعر كما نرى في هذا القول ، عاطفة ، احساس ، يحرك كوامن النفس ، حالة مبهمة تلح على الشاعر ليعبِّر ، فيستجيب بعفوية وصدق ، فتنطلق النغمة الشعرية من اعماقه حارة صادقة ، كما الحنين من الابل ء استجابة لرعشة داخلية ، لدفع من الاعماق اقرب الى الفطرة والطبيعة ، وليس انطلاقا من دوائر لا تتجاوز ، ولا اتباعا لخط مستقيم لا يتعرج .

وفي هذا كل الحق ، وهنا يكمن تباعد ما بين الشعر والنثر في الالتزام . اذ الشعر خفقان قلب هائم ، موّار بالعاطفة ، قبل ان يكون تقريرات فكرية محددة مرسومة ، وهو رعدة حياة تجري في أوصال الكلمة ، قبل ان يكون فكرة ذهنية ، وهو مخاض حالة نفسيه ، قبل ان يكون نتيجة قضية منطقية .

انه اتساق ظلال ، تبين وتستخفي ، رؤى نبويات عليهن لثام ، وليس وعيا مسيطرا وتصميما مخططا ، وهو -بعد- حنين افئدة راعشة ذاهلة ، قبل ان يكون صحواً متيقظا متوهجا .

عبر هذه الجولة مع بعض آراء القدامى ، يتبدى لنا بوضوح كيف نميز بين تناول كل من الشعر والنثرللقضايا ، فحين يكتفي الاول باللمح والاشارة ، يعتمد الثاني

---

(١) نفسه ص ٣٠٦.

(٢) العمدة لإبن رشيق ص ٣٠.

الايضاح والتفسير، ومن هنا يتراءى لنا ان مضمار الشعر ابعد ما يكون عن التفسير والشروح، وهو ان يغدُ كذلك يفقد دوره كشعر، لان الشعر كما بيّنا، هو حالة تعترى، شعور ينتاب، لحظات تستولي على الانسان، تفعم قلبه بمشاعر معينه، فتتوزع هذه على رؤى الشاعر، تستبد به، فيمسك القلم ليخط املاء القلب وفيض الوجدان، وعصارة العاطفة. وبهذا يستبين بعدما بين ميدان النثر وميدان الشعر. اذ ان النثر كما مبق وأنبهنا اليه، يعتمد الايضاح ويستدعي البرهان. وانطلاقا من هذا فسّر صاحب العمدة سبب نزول القرآن منثورا. اذ ان الله جل ذكره «جعله منثورا ليكون أظهر برهانا»[1]

هذا التأكيد على التفريق بين تناول الشعر والنثر للايديولوجيا، والذي يخص النثر بالبرهان والمنطق، يشير الى دور كل منها منطلقا وغاية.

بحسبنا شهادة النبي - تكريسا لهذا التباين - حين شبه تفجر الشعر من ينبوع العواطف الإنسانية - ملاحظا البيئة في التمثيل - تاركاً الايماءة للاجيال، حين شبهه بحنين الابل.

كذلك فان ابن رشيق عبّر عن هذا الاختلاف حين رأى ان الشاعر «انما سمي شاعراً لانه يشعر بما لا يشعر به غيره[2]».

من هنا يتأكد مدى التفاوت بين ايديولوجيا الشاعر والناثر، ومدى صلاحية كل منها للالتزام. فالشاعر يمكن ان يكون معتنقا لمذهبية بعينها، ولكن آن يندفع النهر الشعري في مجراه يتخذ السمت الذي يلائمه، يتقولب في القالب الذي يستسيغ، متخذا مجراه حسب الدفعة الشعورية، فاذا اعترض معترض، او قام حاجز، استدار حوله، او طما فوقه، متجاوزا كل السدود، حاملا شحنته الشعورية، سائرا بها او سائرة به، مترسما خطاها باسماح وسهولة.

الشعر حين يكون مقيدا بقيود، ومنطلقا من فروضات سابقة، يستعصي عليه ان يعايش التجربة، وينوء بثقل الصورة، التي تجعل القارىء يعانق معاناة الشاعر ويندمج في تجربته. اذ يرفض الشعر الحق ان يجرى كما يؤطر له ويصمّم، اذ ليس هو سائلا يعبّأ في مفرغات بعينها، وانما يصوغ الشاعر اداته ويختار تعابيره، بحيث تتلاشى

---

(١) العمدة - الجزء الاول - ص٢٠.
(٢) نفسه ص ١١٦.

المسافة بين الطريقة والموضوع، بين الشكل والمضمون، يذوبان في كلية وتسام.

وانطلاقا من هذه الرؤية رفض ابن قتيبة ـ كما يبدو ـ شعر العلماء الذي يقوم على التكلف ورداءة الصنعة «كذلك اشعار العلماء ليس فيها شي جاء عن اسماح وسهولة».[1]

وكيف يمكن ان يكون الا كذلك، وهم يريدون ان يجعلوا منه ميدانا يعرضون فيه علومهم ومقدرتهم لامتلاك ناصية اللغة، ومعرفتهم بغريبها، انهم ينطلقون من أطر بعينها، ومن تعابير مفروضة، هم يسيطرون على الشعر، لا الشعر الذي يسيطر عليهم، فيضعون المعنى، يفكرون بالكلمات قبل ان يستيقظ في نفوسهم وهج التجربة. عندها يتغلب العالم في الانسان على الشاعر الذي فيه، تستخفي الرؤى وتتلاشى الصور ليظهر على المسرح التفسير والايضاح والموقف الفكري، وفي اختلاف ما بين هذين المنطلقين يتجسد اختلاف ما بين الشعر والنثر على مستوى الالتزام الايديولوجي.

بعد هذه الالمامة بدور الايديولوجيا في الشعر والنثر وبعد ان اطلعنا على بعض آراء النقاد فيها، واستبان لنا في النهاية انهم يتقاربون، ويتفقون على ان ثمةاختلافاً كبيرا او صغيرا ما بينهما، رأيناهم في النهاية يقررون انه لا بد من التزام شعري بشكل من الاشكال.

فـ (سارتر) حين استبعد الشعر من دائرة الالتزام انما ارتكن لفهمه لطبيعة التعبير الشعري، ولافتراضه لتكوّن العالم الشعري باستقلالية عن المعنى المباشر، لان تعبيره ابعد ما يكون عن المباشرة في المعنى والتقريرية الواضحة والمحددة. لذلك نراه حين يتحدث عن تركيب الشاعر للجملة يقول: «وقد نظن ان الشاعر يركّب جملة، ولكن هذا العمل ليس الا ظاهريا. لانه انما يخلق موضوعا».

«ان الكلمات ـ الاشياء تتجمع عن طريق تداعيات سحرية للتطابقات والنشازات»[2] مع تقديرنا الكبير لهذا الرأي الا اننا نرى ان هذا لا يمنع الشاعر من الالتزام ولكن بما يحافظ على حرم الشعرية. وسارتر نفسه عاد فقرر الالتزام الشعري في دراسته (اورفيوس الاسود). إذ نادى بالالتزام الشعري، رغم مناداته فيما قبل «أي سخف بان نطالب بالتزام شعري»[3].

---

(١) الشعر والشعراء ـ ج١ ص١٦.

(٢) الادب الملتزم ـ ص ٥٨ لسارتر.

(٣) نفسه ـ ص٦٠

والواقع ان كثيرا من الشعراء كانوا ملتزمين دون ان يخنقوا انطلاقية الشعر ودون ان يصابوا بالجمود النثري، فربح معهم الشاعر الشوط، ولم يخسر، وليس « بابلو نيرودا » و « ناظم حكمت » يبدع في هذا المضمار. وهنا لابد من التنويه بشاعر آخر هو السيد حيدر الحلي الذي التزم بايديولوجيا بعينها، دون ان يتدهدى الشعر بين يديه الى مهاوي التقريرية والجمود. بل رأيناه يغدق عليه شحنة شعورية ابداعية، جعلته يقف على قدميه عملاقا، امام كل التحديات التي واجهها الشعر العربي بل الادب كله، ذلك ان هذا الشاعر الكبير الذي كان يعيش في القرن التاسع عشر، حين كانت سحابة عصر الانحطاط لم تنقشع بعد من سماء الادب العربي..وفي هذا يكمن الكثير من عبقرية هذا الشاعر ورساليته، وجدارته بأن تُكشف عنه سجف المغمورية، وان يُنفض عنه غبار التناسي والاهمال. ذلك اننا نجد هذا الشاعر عندما يدخل عالم الشعر لا يطرّح من نفسه افكاره ومشاعره بل يدخل اليه محمّلا بكل هذه الافكار والمشاعر، وهذا ما يُطالب النقاد الشاعر به[1].

كما اننا نلاحظ عند هذا الشاعر ذروة الالتحام بين نفس الشاعر وما يقوله من شعر وهي الروح الشعرية التي ينطقها الشاعر كلمات.[2]

وهذا قمة ما يصبو اليه تعامل الشاعر مع الايديولوجية.

هذا التعامل الشعري مع الايديولوجيا بحميمية ومقدرة شعرية فائقة، هو ما سنحاول ان نعرض له خلال مدارستنا لشعرالسيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين، ولكن بعد ان نلمّ بشيء من الايديولوجيا الشيعية، تلك التي كانت منطلق الشاعر، وينبوع استلهامه، فماذا عن تلك الايديولوجيا؟

---

(١) الشعر العربي المعاصر - ص٣٩١ لعز الدين اسماعيل.

(٢) شعرنا الحديث الى اين - ص١٨٦ لغالي شكري.

الفصل الثاني :

الايديولوجيا الشيعية

تمهيد:

لا بد من وقفة ولو متسارعة مع التشيع والامامة والايديولوجية الشيعية. ذلك ان الشاعر موضوع الدراسة تمتح ايديولوجيته من هذا الينبوع، فمن معينها أنهر مياه عقيدته، وكيف يمكن على صعيد المنهجية ان نتحدث عن تعبير الشاعر عن هذه الايديولوجيا ومعانقته لها، دون ان نلمّ ببعض معالم هذه الايديولوجية:

اصول الاسلام عند الشيعة الامامية:

هذه الاصول تقوم على ثلاثة أركان: التوحيد، النبوة، المعاد. وفي هذا يلتقون مع سائر المذاهب الاسلامية.

الا ان الشيعة الامامية تماز من سائر المذاهب الاسلامية بتشديدها على ركنين آخرين وهما العدل والامامة *.

وفكرة الامامة متفق عليها عند سائر المسلمين، لما تواتر عن النبي محمد ﷺ من أن «من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية»[1].

في هذا يلتقي الشيعة مع المذاهب الاسلامية كلها، ويختلفون عنهم بأن المذهب الشيعي يرى ان منصب الامامة منصب الهي كالنبوة[2].

ومن استدلالاتهم على إلهية المنصب وانه بتعيين من الباري عز وجل، الآية الكريمة «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة»[3].

---

*ممن يقولون بالعدل المعتزلة فقط وهي فرقة وليست مذهبا.

(١) يلاحظ كتاب كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ص ٤٧٢ - تأليف الشيخ جعفر الجناجي الذي اشتهرت الاسرة باسمه بعد تأليفه لهذا الكتاب فاضبحت اسرة آل كاشف الغطاء وهي من اكبر الاسر العلمية في النجف الاشرف.. وجدها هذا ت ١٢٢٧ هـ، وهو من اكابر اساتذة الفقه والكلام وجهابذة المعرفة بالاحكام.

تلاحظ ترجمته في كتابه هذا ص ٤٧٢.

(٢) يلاحظ اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء صفحة ٩٨.

(٣) سو   لقصص /٦٨.

وهكذا لما كانت الامامة من اهم ميزات الايديولوجية الشيعية، فلا جرم ان نقف عندها بما يسمح لنا به الظرف ولا يخرج بنا عن منهجية البحث..

الامامة:

« هي التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه والاقتداء به فيما تقدم فيه »[1].

والمعرفة بهذا الامام هي فرض كآكد فرائض الاسلام[2]. كما يقول الشيخ المفيد احد اعلام المذهب الشيعي، ويستدل على ذلك بأربعة وجوه:

١ ـ القرآن:

وذلك في قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[3]». فأوجب معرفة الائمة من حيث اوجب طاعتهم، كما اوجب معرفة نفسه ومعرفة نبيه ﷺ، بما الزم طاعتها. وكذلك في قوله تعالى « يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فاولئك يقراون كتابهم، ولا يُظلمون فتيلا »[4]

وليس يصح ان يدعى احد بما لم يفترض عليه علمه والمعرفة به.

٢ ـ الخبر المتواتر عن النبي ﷺ:

« من مات وهو لا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ».

وهذا صريح بان الجهل بالامام يُخرج عن دائرة الاسلام[5].

٣ ـ الاجماع:

اذ انه ليس ثمة من خلاف بين اهل الاسلام على ان معرفة ائمة المسلمين واجبة على العموم. والحديث السابق عن الرسول الاعظم ص، الى جانب احاديث مستفيضة في الحث على معرفة الامام والانصياع له كثيرة عند جميع لمسلمين.

٤ ـ النظر القياسي والاعتبار:

ان الخلق منوطون بالائمة في الشرع إناطة يجب بها عليهم معرفتهم على التحقيق والا كان ما كُلّفوا به من التسليم لهم في اخذ الحقوق منهم، والارتفاع اليهم في الفصل

(١و٢) الافصاح للشيخ المفيد ص٤.

(٣) النساء / الآية ٥٩.

(٤) الاسراء / الآية ٧١.

(٥) نفسه ص ٣.

عند الاختلاف، والرجوع اليهم في حال الاضطرار، والفقر الى حضورهم لاقامة الفرائض، وتبيين وجه الشريعة وارشادهم الى امور الدين، تكليف ما لا يطاق. ولما استحال على الحكيم الرحيم ان يكلف نفسا الا وسعها[١]، ثبت «انه فرض معرفة الائمة ودلّ على اعيانهم بلا ارتياب»[٢].

بعد استدلالات الشيخ المفيد الاربعة حول وجوب معرفة الامام، آخذاً بيد الناس الى المحجة الصحيحة، لتجنيبهم مواقع الزلل، بارشادهم الى تعاليم الله واقامة حدوده.

بعد هذا، لو استقرأنا كتب اعلام العلماء الاماميين حول الامامة لرأيناهم ينظرون الى الامامة انها لطف الهي، ولهذا وجب نصب الامام على الله تعالى[٣].

ومرّد هذا الوجوب لان العقلاء متى كان لهم رئيس يمنعهم عن التغالب والتهارش. ويصدهم عن المعاصي ويعدهم ويحثهم على فعل الطاعات، ويحكم بينهم بالتناصف والتعادل، كانوا الى الصلاح اقرب وعن الفساد ابعد، وهذا امر ضروري لا يشكّك فيه العاقل[٤].

فالامامة اذن منصب الهي، لا يقوم غيرها مقامها، وان معرفة الامام واجبة كما يرى العلامة الحلي لوجوه منها:

ان نظام النوع لا يحصل الا بحفظ النفس والعقل والدين والنسب والمال. فشرع لحفظ النفس القصاص واشار اليه بقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة»[٥].

ولحفظ العقل شرع تحريم المسكر والحد عليه، ولحفظ الدين قتل المرتد والجهاد، ولحفظ النسب تحريم الزنى والحد عليه، ولحفظ المال قطع يد السارق وضمان المال.

هذه امور مهمة يجب حكمها في كل شريعة وفي كل زمان، وهذا لا يتم الا بمتوّلٍ لذلك، يكون عارفا بكيفية ايجابها، وكمية الواجب ومحله وشرائطه ولا يقوم غيره مقامه في ذلك. ولا بد ان يمتاز هذا المتولّي عن بني نوعه بنص الهي، ومعجز ظاهر،

---

(١) مصداقا للآية الكريمة «ان الله لا يكلف نفسا الا وسعها» الآية الاخيرة من سورة البقرة.

(٢) الافصاح ص٤.

(٣) شرح تجريد الاعتقاد «المتن من وضع العلامة نصير الدين الطوسي، والشرح للعلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر». ص٢٠٢.

(٤) نفسه ص ٢٠٣.

(٥) سورة البقرة / الآية ١٧٩.

لاستحالة الترجيح بغير مرجح، ولجواز اجتماع الآراء على غيره، لاختلاف الاهواء. وانه لولا ذلك لأدى الى الهرج والمرج.[١]

الشيعة لا يرون ان الامامة منصب الهي وحسب، بل انهم يقولون بعصمة الامام، ولهم على ذلك ادلة مستفيضة وكتب كثيرة[٢].

يقولون بعصمة الامام لأن المقتضي لوجوب نصب الامام هو تجويز الخطأ على الرعية فلو كان هذا المقتضي ثابتا بحق الامام، وجب ان يكون له امام آخر، وهذا يوقع في التسلسل الى امام لا يجوز عليه الخطأ فيكون هو الامام الاصلي[٣].

وامتناع التسلسل يوجب عصمة الامام، لانه حافظ للشرع، ولوجوب الانكار عليه لو اقدم على المعصية. وهذا يُضاد امر الطاعة الذي اوجبه الله تعالى على الرعية له[٤]. فيفوت بذلك الغرض من نصبه[٥]. لان فائدة امامته هي انقياد الامة له وامتثال اوامره، واتباعه فيما يفعله، فلو وقعت المعصية منه لم يجب شيء من ذلك، ولو جاز عليه الخطأ لم يبق وثوق بما تعبّدنا الله تعالى به، ولا بما كُلّفناه.

هذا، وكون الامام حافظا للشرع يوجب عصمته ايضا. وانما أُنيطت به هذه المهمة بعد النبي، لان الكتاب لا يكفي لذلك لعدم احاطته بجميع الاحكام التفصيلية ولا السنة تكفي للسبب نفسه، ولا اجماع الامة، لان كل واحد منهم على تقدير عدم وجود المعصوم فيهم يجوز علية الخطأ، فالمجموع كذلك[٦].

---

(١) كتاب الالفين الفارق بين الصدق والمين - تأليف العلامة الحليّ ت ٧٢٦ هـ. ص١٠

(٢) يلاحظ على سبيل المثال الكتب التالية:

الارشاد والافصاح للشيخ المفيد - اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ الصّدوق، كتاب الالفين، شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي، دلائل الامامة للطبرى. كشف الغطاء للشيخ جعفر الجناجي الذي لقب بكاشف الغطاء بعد تأليفه لهذا الكتاب. اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. عقائد الشيعة الامامية للشيخ محمد رضا المظفر.

(٣ و ٥) شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي - ص ٣٠٤.

(٤) وذلك في الاية الكريمة «اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم».

(٦) شرح التجريد ص ٣٠٤، ويلاحظ في ارشاد المفيد ص ٢٧٧ - ٢٨٠ المحاجة التي دارت في حضرة الامام الصادق بين متكلم ومتفقه شامي وبين هشام بن الحكم احد تلامذة الصادق، اذ اثبت هشام للشامي انه لا بد من دليل بعد رسول الله غير الكتاب والسنة لانهما لا يكفيان لرفع الاختلاف وازاحة العلل لايجازهما ولحاجتهما لمن يقوم على تطبيق احكامهما.

منطلق التشيع :

لا يجوز ان نقرن ولادة الأطروحة الشيعية في إطار الرسالة الإسلامية بولادة كلمة الشيعة كمصطلح او اسم خاص لفرقة اسلامية لان ولادة الأسماء والمصطلحات شيء ونشوء المحتوى او الاطروحة شيء آخر.

اول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلاميــــة[1] للوقوف على ذلـــك، يكفي ان ترجع الى احاديث الرسول في هذا المضمار، وان نطلع على سبيل المثال على كتابي: غاية المرام، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة، لنلاحظ الكثرة الكاثرة من احاديث الرسول ﷺ في حق الائمة وشيعتهم. من بين تلك الاحاديث ما يدور حول ان عليا وشيعته خير البريّة[2] وانهم الفائزون الخ..[3]

هكذا كما مر معنا نلاحظ ان الامامة هي مسألة شيعية بوجه خاص، ومن الجدير بالاشارة هنا، ان لا ننسى ان الشيعة يعتبرون الامام علي بن ابي طالب خليفة لرسول الله بنص من الرسول، في اكثر من موضع وعلى اكثر من صعيد، يكفي حديث غدير خم في حجة الوداع[4]. حين جمع الامة ليخطب فيهم فقال «الست أولى بالمؤمنين من انفسهم، فقالوا اللهم بلى، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فأوجب النبي لعلي عليهم من فرض الطاعة والولاية ما كان للنبي عليهم مما قررّهم به من ذلك، فلم يناكروه، وهذا ظاهر في النص عليه بالامامة والاستخلاف له في المقام[5].

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص ٨٢.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٩٣ من الجزء الثاني.

(٣) نفسه ص ٩٤.

(٤) يلاحظ حول هذه المسألة كتاب الغدير للعلامة عبد الحسين الاميني فقد عالجها من مختلف الجوانب واتى بالادلة من التواريخ الاسلامية والاحاديث النبوية.

تابع (٤) = الصحيحة والايات الكريمة من القرآن الشريف.

(٥) ارشاد الشيخ المفيد ص ١٠.

وكذلك فقد ثبت عن النبي قوله لعلي عند توجهه الى تبوك « انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدى »[1].

هذه المنزلة التي اقرها النبي ﷺ للامام علي عليه السلام، وبامر من الله تعالى، والتي هي بمنزلة هارون من موسى، تثبت للامام كل ما كان لهارون من موسى باستثناء النبوة. فأوجب له الوزارة، والتخصيص بالمودة والفضل على الكافة، والخلافة عليهم، لشهادة القرآن بذلك كله لهارون من موسى عليهما السلام.

فقد ورد في كتاب الله العزيز على لسان موسى، واجعل لي وزيرا من اهلي، هارون اخي، اشدد به أزرى، وأشركه في امري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا »[2].

لقد استجاب الله جل ذكره لموسى طلبته فقال سبحانه « قد اوتيت سؤلك يا موسى »[3]

فثبت لهارون شركة موسى في النبوة، ووزارته على تأدية الرسالة، وشدّ ازره به في النصرة.

هذا واما في الاستخلاف فقد ورد في القرآن الكريم على لسان موسى ايضا « اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين »[4]. فثبت له الخلافة ايضا بمحكم التنزيل.

لقد جعل النبي منه لامير المؤمنين جميع منازل هارون من موسى باستثناء النبوة. فوجب له بذلك الوزارة، وشد الأزر بالنصر، والفضل والمحبة، لما تقتضيه هذه الخصال من ذلك في الحقيقة. كما اوجبت له الخلافة في الحياة بصريح الاية، والخلافة بعد انقضاء عهد النبوة بتخصيص الاستثناء، كما اخرج من النبوة بذكر « بعد » لا نبي بعدي ».

وعليه فقد ثبت للامام علي من النبي في جميع الازمنة، وحتى بعد وفاة الرسول جميع ما ثبت لهارون من موسى، باستثناء النبوة، والا لم يكن للاستثناء من معنى، لان العام الافرادى لا جرم ان يستتبع عموما زمانيا، اذ متى وجب وجود الامام في وقت لزم استمراره مدى الايام[5].

---

(١) يلاحظ الحديث في فضائل الخمسة من الصحاح الستة. ج ١ ص ٢٩٩، اذ يحيل على وجود الحديث باسانيده المتصلة في كتب الحديث المعتبرة خصوصا في الصحاح.

(٢) سورة طه/ ٣١

(٣) طه/ ٣٦.

(٤) الاعراف/ ٤١.

(٥) كشف الغطاء - ص ٦.

مواصفات الشيعي الملتزم :

من اهم الامور التي يشدد عليها الشيعة انه «من الواجب على كافة البشر معرفة من عاصرهم او تقدمهم من الائمة الاثني عشر.»[1]

لقد مر معنا تأكيد الشيعة على وجوب عصمة الامام وتنزيهه عن الخطأ، الى جانب ان يكون اعلم اهل زمانه واورعهم واتقاهم.

وفي هذا كبير دلالة على مثالية الشيعي.

لو تفحصنا اشتقاقات كلمة الشيعة والمعاني الاخرى التي لها في اللغة، بعد ان عرفنا ان النبي هو واضع البذرة الاولى في حقل التشيع، طالعنا ان التسمية لم تكن مرتجلة، عفو الخاطر، وانما هو من باب وضع الامور في موضعها، وتسمية الاشياء باحسن أسمائها.

ذلك ان معاني مشتقات الكلمة: الاتباع الصحيح، الشجاعة، وولد الاسد، الى ما في معنى الشيعة بالفتح من كونها شجرة طيبة تجرسها النحل وتمتص رحيقها لتقدم العسل المصفى، شفاء للناس، ولما تختص به هذه الشجرة من شذى زاك حتى اختصت بتعبيق الثياب.

لعل في طليعة ما اوقظ في وعينا هذه المعاني، ما نلاحظ من مطالبة الائمة الاثنى عشر لاتباعهم وشيعتهم ان يتحلوا بصفات حميدة، وان يتّسموا باخلاق دمثة، ليكونوا جديرين بحمل هذا الاسم.

لو تصفحنا كتاب الايمان من اصول الكافي للكليني، وهو احد المراجع الاربعة الكبرى في المذهب الشيعي، لوقفنا على كثرة كاثرة من الأحاديث التي يحضُّ فيها الائمة شيعتهم، على ان يكونوا مثاليين في تعاملهم وتعاطفهم ومواساتهم وورعهم ومحبتهم واخلاصهم وصدقهم.

---

(١) كشف الغطاء - ٦

يكفي ان نذكر هنا كمصداق لهذا المستوى المثالي المطالب به الشيعي، هذا الحديث الصحيح لأبي اسامة احد اصحاب الامام الصادق المقربين. فقد قال سمعت ابا عبد الله الصادق يقول: «عليك بتقوى الله والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الامانة، وحسن الجوار. كونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم. كونوا زينا ولا تكونوا شينا وعليكم بطول الركوع والسجود[1].

أزأيت كيف ارادوا من شيعتهم ان يكونوا اسما على مسمى وان يكونوا صفوة البشر وخيرتهم. وهكذا نلاحظ العناية في اختيار الاسم وذلك ليكون عنوان الكتاب مرشدا الى مضمونه، دليلا على ما ينطوي تحته، يكفينا هذه الدعوة التطبيقية يتوجه بها الصادق الى اتباعه «كونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم».

لذلك، سيرا على هدى جدهم، انصرف الائمة من آل البيت الى تهذيب المسلمين وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى منهم.[1]

وهكذا ما أحجم الائمة الاطهار عن حث أتباعهم، ودعوتهم المتكررة لهم، لان يكونوا دعاة للحق، صوى للخير، هداة للرشاد.

فالعقيدة كما تستشف من خلال تعاليمهم، والايديولوجيا كما تتراءى عبر منهجيتهم انما هي تطبيق وعمل، وليست شعارات تطلق. وهذا ما اكده الامام الباقر حين خاطب جابر الجعفي احد اصحابه: « يا جابر أيكتفي من ينتحل « التشيع » ان يقول بحبنا اهل البيت، فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر- الا بالتواضع والتخشع والامانه[2] الخ... الى آخر ما هنالك من سرد لواصفات المتشيع الحقيقي، وما ينبغي ان يتمتع به من تربية فاضلة، وورع جم، وروح اجتماعية غيرية، الى ان يكمل هذا الحديث لجابر قائلا:

« من كان لله مطيعا فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا الا بالعمل.» [3].

فكل من يكتفي من التشيع بحب اهل البيت فهو منتحل لهذا الاسم، لان ولايتهم، كما اكد في نهاية الحديث« لاتنال الا بالعمل» .

---

(١) اصول الكافي - ج ٢ ص٧٧.

(١) عقائد الشيعة الامامية للشيخ محمد رضا المظفر - ص٨٨.

(٢) اصول الكافي - ج ٢ ص ٧٤.

(٣) نفسه ص٧٥.

أرأيت الى دعوة أكثر فاعلية ، وابعد مدى من هذه الدعوة الحارة للعمل. أرأيت الى الحث المطّرد على ان يكون التطبيق والعمل سمة كل دعوة من دعوات هؤلاء الائمة ، لان النظرية بلا تطبيق محارة بلا لؤلؤ.

فأي ادب سام هذا الذي راحوا ينشئون عليه شيعتهم ، والى اية انسانية متسامية يستشرفون، هذه الانسانية المتكاملة التي ما زلنا نحلم ببعض منها على ابواب القرن الواحد والعشرين.

وهؤلاء الاتباع اذا تنكروا لبعض هذه الصفات ، او ان مسارهم في الناس كان ممجوجا ، وعلى غير المنهجية السليمة ، فما اقل من يتبع جعفرا منهم ، كما قال الامام الصادق لابي الصباح الكناني [1]. احد اصحابه الاخيار يوم تذمر من ان بعض الناس ترمي بعض الشيعة بما ليس من صفاتهم.

هؤلاء الشيعة اذا لم يتلاحموا مع هذه الايديولوجية التي سنها لهم ائمتهم ، واذا لم يصلوا الى درجة الاخوة الحقيقية ، والثقة المتبادلة ، حتى يدخل احدهم يده في كيس نقود اخيه ، فيصيب منه ما يحتاج ، وهم ان لم يكونوا كذلك فان « القومُ لم يُعطوا احلامهم بعد » [2].

ارايت الى الاحلام الراجحة التي يريدها الصادق لشيعته ، والى هذا النضج العقائدي الذي يريدهم ان يكونوا عليه ، ولهذه المثالية الانسانية يستشرفهم اليها.

هذه بعد قبسات من مشاعل الايديولوجية الشيعية.

ونحن بعد ان استهدينا بومضات هذا القبس ، وبعد ان وقفنا على مثالية تلك المبادىء، فهل نلوم السيد حيدر الحلي إن يتفيأ بهذه الظلال الوارفة ، وان يلذ بواحتها المرعة من وهج صحراء حياته القائظة ، حتى رجّع على قيثارة محنتها احلى انغام قلبه ، وراح يستنهض في هجير ايامه اللاهبة ، اطلالة المهدي المنتظر ، ليصدع بامر ربه ، ويملأ الارض قسطا وعدلا ، بعدما ملئت ظلما وجورا.

وينبغي ان نشير هنا الى ان الايمان بالمهدي المنتظر وانتظار مجيئه ، من اهم مقومات الايديولوجية الشيعية ، هذه الايديولوجيا التي استهدى شاعرنا بهداها.

---

(١) نفسه ص ١٧٤.

(٣) نفسه ص ١٧٤.

الفصل الثالث :
منطلقات الايديولوجيا
عند السيد حيدر الحلي

ان ايديولوجيا السيد حيدر الحلي - على صعيد المنطلق - هي الايديولوجية الاسلامية الشيعية. وقد التزم الشاعر بهذه الايديولوجية على مستويات مختلفة، حتى رايناها تتسرب الى احناء شعره، وتتصدر معظمه.

لقد كان ملتزما دينيا ايضا، حتى على صعيد الشعائر والطقوس، وعلى مستوى العبادات، يقوم بالفرائض الدينية على اكمل وجه، مسلما بالمعنى الخاص، ومؤمنا مواليا على ارفع المستويات[1].

هذا الى جانب تمتعه باخلاقية رفيعة، وانسانية سامية. حتى راينا المراجع الدينيين الكبار، امثال السيد حسن الشيرازي . والسيد مهدي القزويني، والشيخ محمد حسن آل ياسين، يبالغون في تقدير هذا الرجل، والاحتفاء به، لما كان له من اباء نفس، وشدة تقوى، وورع جم.

وهو يعدّ من اتقى اهل عصره، واشدهم صلاحا واكثرهم زهدا، يقضي ليله بالعبادة والتهجد [2].

هذا التقدير- للمسلكية الدينية لم يكن وقفاً على العلماء الدينيين بل عند مختلف الطبقات، مما جعل له في النفوس نوعا من القداسة. يكفي لنعرف هذا الشأو الذي بلغ في نفوس عارفيه، ان يُرى في انهار المطر بعد الانتهاء من دفنه، في عام مجدب، انه ببركة السيد حيدر رحمه الله.

هذه الظاهرة لم تفت الشعراء الذين رثوه، بل عرضوا لها ووقفوا عندها، من

---

(١) مقدمة الدر اليتيم - ص٤.

(٢) نفسه ص ٤و٧ وطبقات اعلام الشيعة - القسم الثاني من الجزء الاول لآغابزرك صفحة ٦٨٧.

هؤلاء الشاعر الشيخ حمادي نوح الذي استوحى هذه الظاهرة وضمنها في شعره فقال:

بكت عليك السماء فانهلّ منغمرا ... وجه البسيطة حتى عيشها نجحا[1]

فكنت نوراً لها - حيا ومنهلها ... ميتا، وكنت لها بالجدب منتدحا

نظرا للمنزلة الاجتماعية التي كان يحتلها، ولهذا المقام الديني الذي وقر له في النفوس، عُلّقت الدروس في الجامعات الدينية في العراق، بامر من المرجع الديني، حدادا على وفاة هذا الشاعر الكبير[2].

ولعل من خير ما يمتاز به السيد حيدر الحلي وفاءه الشديد وشدة حبه لاهل البيت وفي هذا يتبدّى الكثير من التزامه الديني الاسلامي، خصوصا بعد ان أشرنا الى ما كان عليه من تقوى وورع.

ولا أدل على وفاء السيد حيدر، من هذه العلاقة الحميمة التي كان يطالعنا بها عبر علاقاته باصدقائه، واخلاصه الشديد لهم، كما ان في اجادته الرثاء خير ما يبره على هذا الوفاء الجم، اذ ليس كل شاعر يتمتع بالنفسية المتسامية ان لم يكن ايديولوجيا - فيكون وفيا حتى بعد الموت، فينهمر على رثاء من تجمعه بهم صلات مودة واخاء، فيجيد في هذا الرثاء.

وكون الرثاء انما يعمل على الوفاء، شهادة ساقها الخريمي الشاعر[3] عندما ليم على عدم اجادته الرثاء كما اجاد في المدح. فما كان جوابه الا ان الاول يُعمل على الوفاء، والثاني على الرجاء، وبينهما كما يقول - بون بعيد[4].

اذا شهد الخريمي ضد نفسه في عدم الوفاء، فان رثاء السيد حيدر وهو اجود شعره يشهد بالوفاء لهذا الشاعر الايديولوجي.

ونحن اذا انطلقنا من هذا المبدأ وانسحبنا به على شعر شاعرنا، لأدركنا اية

---

(١) الدر اليتيم - ص٧.

(٢) طبقات اعلام الشيعة - القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٨.

(٣) هذه الشهادة اطلقها ابو يعقوب الخزيمي - وكان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جيدة، ثم رثاه بعد موته، ولكن مدائحه كانت اجود من مراثيه فعوتب في ذلك فكانت حجة ما اشرنا اليه. تلاحظ ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٣١ - ٧٣٦

(٤) الشعر والشعراء - ج١ ص ٢٤.

انسانية سامية نبضت بها شرايينه، واية اخوية صادقة مؤمنة عايشت ايديولوجية هذا الشاعر الذي يعد اميز فن الرثاء بلا منازع[1]. واذا عرفنا ان اجود رثائه كا ن في اهل البيت، نستطيع انِ نقف على مدى حبه الغامر لهم، وعلى مدى تغلغل الايديولوجية الاسلامية في اعماقه.

وهكذا بعد ان عرفنا من ورع السيد حيدر وتقاه، وشدة وفائه وحبه لاهل البيت نستطيع ان ننظر اليه وقد ارتدى حلة الاسلام عن جدارة واستحقاق. وذلك بشهادة رسول الله ﷺ. اذ يقول « آلاسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شي اساس، واساس الاسلام حبنا اهل البيت »[2]

هذا الاساس كان الركيزة المتينة المكينة التي أقام عليها شاعرنا بناء ايديولوجيته اذ كانت تطالعنا عبر شعره معالم تلك الايديولوجيا وتغلغلها في اعماق شعره

---

(١) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول - ص ٦٨٧ لآغا بزرك الطهراني.

(٢) اصول الكافي للكليني - ج ٢ ص٤٦.

الايديولوجية الشيعية في رثائه

ماذا نفهم من كون اجود اشعار السيد حيدر هي تلك التي قالها في اهل البيت، وخصوصا في رثائهم؟

اننا نفهم من هذا شدة الولاء لهم، ومظهرا مهما من مظاهر معانقته للايديولوجيا الشيعية، بحرارة وصدق، ولا أدل على ذلك من ان نراه يستوحي عبر قصائده في اهل البيت، معظم القضايا المذهبية الشيعية، وتتسرب الى احناء شعره جلّ الاحداث التي مرت بها الايديولوجيا الشيعية.

وما التزام هذا الشاعر بالمهدوية، وتغلغلها في حنايا شعره، وطول مناجاته لصاحب الامر، لينقذ البشرية من حمأةالضلال الرهيب الذي تردّت فيه، الا خير دليل على التلاحم الوثيق بين هذا الشاعر وبين الايديولوجيا التي يتبناها.

وهو في شعره هذا، يقدم مثالا رائعا للشاعر حين يرتبط باحدى قضايا الانسان ارتباطا شعريا حقيقا. ونلاحظ - هنا - شدة الالتحام بين الشاعِر الذي في الانسان والايديولوجيا التي استلهمها، اكثر منها بين المفكر الذي في الشاعر والايديولوجيا التي يسير على هداها.

فجاءت تبعا لذلك عملية الارتباط هذه شعرية في الاساس، لانها معانقة صميمية بين الذات الشاعرة وايديولوجيا الشاعر.

والمثال الذي يقدمه على صدق ولائه وعمق التزامه الشعري الداخلي، هو في مناجاته للمهدي باخلاص ومحبة، وصدق نية، ابعد ما تكون عن الرياء المصطنع والتزلف المشوه، ضارعا للبارى عز وجل، ان يذود عن حوض رحمته كل مراء نمّام، مستقّلا الفداء بالروح لمولاه المهدي:

افهــل نبقـــو كما تبصرنـــا ننفــذ الايـــام صــبرا ورجــاء
لا رأى الرحمة من قــال ريــاء قلّـــت الروح لمولاهـــا فــداء

فهو يفصح لنا كما رأينا في خاتمة قصيدته في ذكرى المبعث النبوي الشريف عن مدى تغلغل الايديولوجيا الشيعية في نفسه، وانسحابها على نتاجه، حتى انعكست عبر يديولوجيته الخاصة التي من اهمها ترقب ظهور صاحب الامر، هذا الذي نرى الشاعر يتلظى على نار انتظاره ليصدع بأمر ربه، ولقد عبر عن هذا الشوق العارم الذي يلهب الاحشاء حين ناجاه قائلا:

فمـــتى تـــبرد احشاء لنـــا كـدن بالانفــاس يضرمن الهواء[2]
ونرى يـا قــائم الحـق: انتضـت سيفهـا منـك يـد اللـه انتضـاء

فهو هنا يعانق الايديولوجيا الشيعية، مترقبا مجيء مخلص البشرية، السيف الجُراز الذي ستنتضيه يد الله لتحصد بماضي شباه رؤوس الظلمة المستبدين وتنشر راية الحرية والعدالة والرحمة في كل مكان.

وهنا يتجسد التلاحم الايديولوجي العميق مع المذهبية الشيعية عبر تمسك الشاعر الشديد بصاحب الامر، ويبدولنا دور هذا التمسك الشديد بآخر ائمة اهل البيت، اذا وقفنا على مدى تاكيد اهل البيت على ولاء الامام الاخير والاعتراف باحقيته، وترقب ظهوره، من ذلك قولة الامام الصادق عليه السلام: «المنكر لآخرنا كالمنكر لاولنا»[3].

---

(١) الديوان - ج١ ص٣٠.
(٢) الديوان - ج١ ص٣٠.
(٣) اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ الصدوق - ص ١٤.

الارتباط الايديولوجي عبر وفائه واخلاصه لاهله وداده:

لعل في شدة الاخلاص والوفاء[٤] لاهل الوداد والاصدقاء- عند السيد حيدر- خير ما ينم عن مدى ارتباطه الايديولوجي. وان في التوفر على قراءة اشعاره - في هذا المجاله لدليلا على مدى صدى عاطفته تجاه من يحب، وتجاه من توشجه بهم علاقات حميمة.

ولعل في عمق هذا الجوى الذي يطالعنا عبر قصيدته في رثاء عمه خير ما يُستشهد به على هذا الصعيد. فما ان نقرأ هذه القصيدة حتى نحس باللوعة التي أضرمت حشاه،وحتى نلفح بوهج ضرام الشعور الذي خامره، وهو يصرخ« بظُبا الردى » ان تُشام من قرابها لتنصلت فوق وريده.

ولا غرابة، فدواهي الزمن أودت بعمه: عدته وعديده، وخلّفته وحيدا في قبضة الدهر، بعدما احتُسب مربيه وكافله:

اظُبا الردى انصلتي وهاك وريدي ذهب الزمان بعدتي وعديدي[١]
نشبت سهام النائبات بمقتلي فلحفظ ماذا، أُتقي عن جيدي

لو استعرضنا ديوان الشاعر في هذا الباب، لألفيناه مليئا بهذه القصائد التي تحكي لنا حكاية وفائه الشديد واخلاصه الجم، وصدق المشاعر، تجاه هؤلاء الاشخاص الذين شدّته اليهم عرى محبة، وجمعته بهم وشائج تعاطف، الى جانب ما يزخر به هذا الباب من تأبين كبار العلماء الدينيين الذين فوّزوا في ايامه، فكانت له معهم وقفات خالدة تسجل مآثرهم وتشيد بمحامد افعالهم، متحدثة عن دورهم البناء في ارساء قواعد الدين، ومحاربة البدع والضلال. الى جانب قصائد جمة - مدحا ورثاء- في افراد الاسر العريقة التي كانت تربطه بهم اواصر ود واخاء، نذكر منهم آل كبة، وآل القزويني.

انسانية فذة:

ان اباء السيد حيدر، وشرف نفسه، والتزامه ، كل ذلك جعله يتمتع بانسانية فذة. فألفيناه يترفع عن ان يتكسب بالشعر، رابئا بنفسه عن مديح او رثاء

(٤) ويلاحظ من هذا الفصل - مبحث مواصفات الشيعي الملتزم - ص ١٠١.
(١) الديوان - ج ٢ ص ٨٧.

الزعماء وذوي الجاه المشبوه، الذين لم يكن لهم دور في انهاض المجتمع ولا في محاولة تلبية حاجات الجماهير. وهذه مأثرة تسجل له.

لذلك رأيناه ينأى عن ان يهين عنفوان شعره، وايديولوجيته، على اعتاب الحكام الذين تنكروا لمتطلبات الشعب مهما بلغ خطرهم.

هذا وان في القصائد النزرة التي انشأها في بعض الحكام تسجيلا لخدمات أسدوها للشعب، فانما كان في اغلب الاحيان بناء على التماس من لا تسعه مخالفته من مراجع دينيين، او من اهل وداده، اذ على حد تعبيره :« من تمام شرف النفس ومكارم الاخلاق ان لا يجبه احد طالب حاجة برده » [1].

ومهما يكن فان هذا المديح الذي كان يتأتى - على الاغلب - بناء على التماس الملتمسين، انما كان تشجيعا لهؤلاء الممدوحين، ليتابعوا مسيرتهم في خدمة الشعب، وللالتفاف الى شؤونه، في محاولة لتشجيع العلوم، وتخفيف الضائقة عن الكواهل، اذ كان جاثوم الاحتلال التركي مسيطرا، يذيق ابناء الشعب الوان العذاب، ويجرّعهم كؤوس الغصص والحرمان، غير كارثين لما يحل بهم من ويلات ولا لما يلم بهم من صروف ونكبات.

وهكذا ظل هذا الشاعر - مع قلة ذات يده- يترفع عما يتصف به الشعراء الوصوليون من التدهدي والانهار تمسحاً على اعتاب الملوك والحكام، ملتزما برثاء آل البيت، مثالا للمؤمن الملتزم [2]، الذي يصدر دائما عن ايديولوجية معطاء.

وما أحرانا ان نذكر هنا تدليلا على انسانيته السامية، ونفسيته المترفعة، تلك المناظرة التي قامت بينه وبين العلامة ابي الفضل الطهراني [3]. فلقد كان موقفه بعد هذه المناظرة يشير الى عمق تمثّله لايديولوجيته، تلك التي كانت توصي فيما توصي به، بان يبتعد الانسان عن الحقد والانانية، وان يحمل - ابدا- اخاه على الاحسن، وان يعترف بالحق وينقاد له.

---

(١) نلاحظ مقدمة عبد المطلب الحلي لديوان السيد حيدر « الدر اليتيم » ص٤. ويلاحظ شعراء الحلة للخاقاني ص ٣٤١ و ٣٤٢.

(٢) طبقات اعلام الشيعة - ج ٢ ص ٣٨٧ - ومقدمة الدر اليتيم لعبد المطلب الحلي - ص ٥.

(٣) كان الطهراني متبحرا باللغتين العربية والفارسية ١٢٧٣ - ١٣١٦هـ. تلاحظ ترجمته في طبعة اعلام الشيعة ج١ ص٥٣.

ففي سامراء، وفي مجلس المرجع الديني المجدد الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، قامت مناظرة بين السيد حيدر والعلامة الطهراني كما اسلفنا. خلال هذه المناظرة [1] حالف النجاح الطهراني لكثرة محفوظاته ولسرعة بديهته [2] وللحركة الفكرية التي كان يملك زمامها.

المحاضرة من حيث هي لا تهمنا في هذا البحث، بقدر ما يهمنا ما نمّت عنه، وأومأت اليه، من رفعة النفس، ونقاوة السريرة، التي كانت تثري أخلاقية السيد حيدر رحمه الله.

ذلك ان هذا السيد الشريف اقدم بعدما انتهت المناظرة على إنشاء قصيدة اطراء في مناظره، تقديرا لمواهبه وغزارة اطلاعه.

فاية انسانية سامية هذه، وأي ايمان عميق، لا يعرف الإحن والشحناء، واية اخلاق رفيعة، تآزحت من اقطارها تدفع بالسيد حيدر لان يُطري خصمه بدل ان يهجوه ويحبه بدل ان ينقم عليه، فبدل ملاحاته والتعنت عليه نراه يرفع عقيرته مادحا:

يا ابا الفضل كلما قلت شعرا فيه اودعت من بيانك سحرا [3]
واذا ما بعثت غائص فكر في بحور القريض، ابرزت درّا
كم تعاطيت غاية جئت فيها سابق الحلبتين: نظما ونثرا

هكذا بعد ان استبان لنا من سيرة الشاعر الايديولوجية على صعيد العلاقات مع الناس، وعلى صعيد الصفات التي كان يتحلى بها، وعبر ترفعه عن التمسح بالاعتاب تكسبا وتملقا، برغم ما كان عليه من فقر وتقتير في الرزق، لا نملك الا ان ننظر بالاعجاب والتقدير لهذا الشاعر، خصوصا حين نلاحظ ان شعره جاء منتظما في سلك ايديولوجيته التي تكنّ الولاء المحض لآل الرسول، وتتمسك بالوفاء المخلص من قبل معتنقها لكل من تشده اليه وشيجة، عبر اصرارها على احترام حقوق الانسان والتمسك باهداب الحق والخير والفضيلة.

---

(١) نفسه ج٢ ص٦٨٧.
(٢) نفسه الجزء الاول - ص٥٤.
(٣) الديوان - ج ٢ ص١٧٠.

.. وهكذا، بقي ان نشير الى ناحية مهمة في شعره الايديولوجي، تلك هي المهدوية والايمان بالامام الثاني عشر، القائم بالحق، المنتظر لتخليص البشرية من ربقة الظلم وجور الاستبداد.

فهل كان للمهدوية دور فاعل في شعره، وهل انسحب هذا الجانب الإيديولوجي على مدار قصائده.

هذا ما سنحاول ان نجيب عنه، بعد ان نقف قليلا مع المهدوية ما هي وما منطلقها وما تطلعاتها ؟؟...

الفصل الرابع :
المهدوية

غاية المهدوية:

نشدان المجتمع الحر المتكامل المتكافيء ، تسوده العدالة الاجتماعية ، مطمح انساني قديم ما كف عن السعي له والتبشير به رادة الانسانية منذ القديم.

فاصحاب الرسالات السماوية كلهم بشروا ودعوا لهذا المجتمع وسعوا لتحقيقه وحتى أصحاب القوانين الوضعية لم يبارحوا هذا السمت فجمهورية أفلاطون ومدينة الفارابي الفاضلة ليستا نسيج وحدهما في هذا المجال. فالقوانين الوضعية الحديثة ايضا سواء منها الفردية كالرأسمالية أو الجماعية كالإشتراكية والشيوعية ما فتئت تحمل لواء الدعوة لمثل هذا المجتمع.

والمهدوية لا تختلف عن هذا المنطلق، اذ انها تتشوف الى مجتمع تسود فيه الحرية والعدالة، وينتصب الحق، ويقضى على الظلم والاستبداد، وهي من حيث هد فيتها ما تزال غاية الغايات الى يومنا هذا.

فالمسلمون - في مهدويتهم - إذن ليسوا بدعا في هذا المضمار، فهم يتلاقون مع نظريات العصر، في الدعوة لاقامة مجتمع العدالة والحرية، وان اختلفت الوسائل عند كل.

فالمهدوية فكرة تحررية تؤمن بتخليص البشر من ربقة الظلم والاستعباد على يد الامام الثاني عشر، هذا الذى سيخرج بالسيف انتصارا للمستضعفين في الارض ليقيم لهم دولتهم كما بشر بها القرآن فيصبحون هم القادة وهم الوارثون[١]، وتمتلىء الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

وللشيعة على ذلك ادلة كثيرة ومؤلفات مستفيضة، بعضها يستند للآيات القرآنية وبعضها يرتكز على احاديث الرسول الاعظم، او على تعاليم الائمة من آل البيت واحدا واحدا .

---

(١) يلاحظ سورة القصص/٥.

والفرق الاسلامية كلها تتفق على مجيء المهدي، وانما يختلفون حول ولادته، وفي تعيين شخصه، والآن من هو المهدي المنتظر ؟؟.

المهدي:

هو الامام الثاني عشر عند الشيعة الامامية، محمد بن الحسن العسكري،الملقب بالمهدى و« هو صاحب السيف من ائمة الهدى، والقائم بالحق المنتظر لدولة الايمان[1] ».

ولد الامام المهدي ليلة النصف من شعبان عام ٢٥٥ للهجرة، وكانت سنة عند وفاة ابيه خمس سنين .

نصّ عليه نبي الهدى والائمة واحدا واحدا، ونص عليه ابوه عند ثقاته وخاصة شيعته[2].

أُخفى والده مولده وستر امره، لحاظا للظروف الصعبة آنئذ، ونظرا للتضييق الشديد على الشيعة يومذاك . ولإلحاح السلطان العباسي في طلبه، واجتهاده في البحث عن أمره، لما شاع من مذهب الشيعة فيه، وفي انتظارهم لقيامه . لهذا لم يظهره والده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته .

الامام المهدي سيقوم بالسيف رمزا بذلك للقوة التي سيحارب بها المستبدين المستغلين. وله قبل قيامه غيبتان: قصرى وطولى.

تمتد الاولى من لدن ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة آخر سفير[3]. ويستمر أمد الطولى الى ان يقوم بالسيف صادعا بأمر الله، معيدا اشادة بناية التوحيد[4].

لقد حض الله تبارك وتعالى على الايمان بالغيب، فقال جلّ ذكره « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب »[5]

ومن الآيات التي يستدل بها الشيعة على حجية الغيبة قوله تقدس اسمه « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في لارض خليفة[6] ».

---

(١) الأرشاد للشيخ المفيد ص ٣٤٦.

(٢ و ٤) الارشاد للشيخ المفيد ص ٣٤٦.

(٣) نفسه ص ٣٤٥.

(٥) الايات ٣و٤ من سورة البقرة، ومن تفسيرات هذه الايات في كتب التفسير المعتبرة ان المتقين هم الشيعة وان الايمان بالغيب هو الايمان بقيام المهدى.

(٦) البقرة/ ٣٠.

في هذه الآية حجة على غيبة المهدى، اذ ان الله طلب من الملائكة ان يؤمنوا بخليفة قبل ان يوجد . والغيبة قبل الوجود ابلغ الغيبات، اذ لم يشهد الملائكة قبل ذلك خليفة قط، بينما نحن البشر شاهدنا خلفاء كثراً، اخبر عنهم القرآن، وتواترت الاخبار[1] بذكرهم من هنا كان الايمان بغيبة المهدي - خليفة الله من بعد ما عرف الناس خلفاء من قبله وخبروا سيرهم اكثر تقبلاً من الايمان غيباً بخليفة لم يُرَ من قبل.

والايمان بالامام حال غيبته اعظم مثوبة واكثر اخلاصا، ذلك ان هذا الايمان ابعد ما يكون عن الرياء والتزلف، لان غيبة الامام انما كانت خوف اعدائه، والامام الغائب مقموع مقهور، مزاحم في حقه، لاقى بعده شيعته من اعداء الله ما لاقوا من سفك دم، ونهب اموال، وابطال احكام، وجور واستبداد، وتبديل للصدقات[2]، ومعاناة للابتزاز والاستغلال.

لهذا كان للمنتظر لقيام المهدى، المترقب لدولة العدل والرحمة، ثواب عظيم واجر جسيم . بحسبنا لنقف على مدى ذلك، قولة الامام لعبد الحميد الواسطي احد اصحابه يبين له اهمية الالتزام الصحيح وصبر النفس: «يا عبد الحميد اترى من حبس نفسه على الله عز وجل لايجعل له مخرجا ؟؟؟ » «بلى والله ليجعلن له مخرجا، رحم الله عبدا احيا امرنا »[3]. بل ان الامام ذهب الى ابعد من ذلك، حول هذا الايمان حال الغيبة حين سأله عبد الحميد نفسه عن اجر من يموت قبل ان يدرك القائم وهو يؤمن به مهيئ نفسه لنصرته ضد المستبدين المستغلين، فما كان جواب الامام عليه السلام الا . «القائل منكم إن أدركت قائم آل محمد نصرته كان كالمقارع معه بسيفه، بل كالشهيد معه[4] »

هذا والآيات القرآنية الكريمة التي يستدل بها الشيعة الاماميون على قيام القائم كثيرة منها :

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض أئمة ونجعلهم الوارثين[5]

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض لله يرثها عبادي

---

(١) اكمال الدين واتمام النعمة للصدوق ص٣٠٧.

(٢) نفسه ص١٢.

(٣) نفسه ص ٦٠٤.

(٤) نفسه ٦٠٤.

(٥) القصص ٥.

الصالحون[1] ».

« واستبقوا الخيرات، اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا، ان الله على كل شي قدير[2] ».

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدونني لايشركون بي شيئا[3] ».

« ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه، الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون[4] ».

أذن للذين يقاتلون بانهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير[5].

هذا في الايات القرآنية التي يفيد تفسيرها بالروايات المسندة انها كلها تتحدث عن قيام دولة المهدى التي ستملأ الارض عدالة وحرية وتنتقم من الظلمة المارقين الذين تنكروا لواجباتهم الانسانية.

كذلك فان الاحاديث النبوية ـ على هذا الصعيد ـ زاخرة بالدعوة لانتظار القائم المهدي، وعلى تعبئة النفوس المؤمنة ارتقابا ليومه الموعود.

ونحن سنحاول ان نقتبس بعضا من تلك الاحاديث من كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة لان احاديثه مستقاة من كتب الصحاح المعتمدة في الاحاديث ومن غيرها من المراجع في كتب الحديث.

من هذه الاحاديث:

= « عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: نحن بني عبد المطلب سادة اهل الجنة : انا وعلي وجعفر وحمزة والحسن والحسين والمهدى[6] ».

= « عن ابي هريرة قال رسول الله « ص »: « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي[7] ».

---

(١) الانبياء/ ١٠٥.

(٢) البقرة/ ١٤٨.

(٣) النور/ ٥٥.

(٤) هود/٨ العذاب خروج القائم ليعذب الظالمين والامة المعدودة هم اصحابه وعدتهم عدة اصحاب بدر.

(٥) الحج/٣٩.

(٦) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ص ١١٠.

(٧) نفسه ص٣٢٤.

= عن ابي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله ﷺ: لاتقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا، ثم يخرج من اهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا[1].

= عن حذيفة: ان النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد، لطّول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي، اسمه كاسمي، فقال سا ن الفارسي من اى ولدك يا رسول الله فقال من ولدى هذا، وضرب بيده على الحسين عليه السلام[2]».

بعد ان ذكرنا نبذة من الايات والاحاديث النبوية التي تتحدث عن المهدي بقي ان نشير الى بعض الكتب الكثيرة التي عالجت - عند الشيعة - هذا الموضوع، حيث نقف معها على الاحاديث المتواترة التي يسوقونها عن النبي وعن الائمة من آل الرسول، مع استدلالات مستفيضة وبراهين جمه[3]،

وهكذا فان البشارة بظهور المهدي في آخر الزمان، ثابتة في القرآن، وعن النبي وآله بالتواتر. سجّلها المسلمون على اختلاف نزعاتهم فيما رووا من اخبار وما ساقوا من احاديث.

هذا وان فكرة المهدوية ليست مستحدثة طارئة، تبناها الشيعة كحلم بالخلاص من هذا الذى لا قوه من تشريد وظلم وجور، فنشدوا منتصرا للحق لينشر لواء العدالة وليطهر الارض من رجس الظلمة المستبدين[4].

وانما كانت كما بيّنا - فكرة مرصودا لها خلال آي القرآن الكريم، وعبر الاحاديث النبوية التي تتحدث عن المهدي، واخبار الائمة الأطهار، حتى وقرت في الاذهان واستقرت في النفوس.

ولولا ثبوت فكرة المهدي عن النبي «على وجه عرفها جميع المسلمين، وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها، لما استطاع ان يستغل هذه الفكرة بعض مدّعي المهدوية في

---

(١) نفسه ص٣٢٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد وبتفصيل اكثر.

(٢) نفسه ص ٣٢٥.

(٣) من هده الكتب على سبيل المثال : اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ الصدوق حيث قسم هذا الكتاب الى ابواب في النص على المهدى يبتدئها في نص الله تبارك وتعالى عليه، ثم نص النبي، وامير المؤمنين، فالائمة واحدا واحدا حتى الامام الحسن العسكرى عليه السلام والد القائم المهدى.

(٤) عقائد الشيعة للشيخ محمد رضا المظفر ص ٥٥.

القرون الاولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين، خدعة للناس ووصولا لآرابهم في طلب الملك والسلطان[1].

بعد هذه الوقفة العجلى مع المهدوية، وبعد ان عرفنا ان الامام المهدي حجبه الله عن العيون، وهو مترقب امر الله، ليشهر سيف العدل والحق في وجه الطغاة المارقين، ليبني دولة المستضعفين في الارض، المؤمنين بالغيب، العباد الصالحين، المهتدين الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم هؤلاء الذين سيُستخلفون في الارض، لصبرهم وطول انتظارهم فيكونون مصداق قوله قدس ذكره «جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء، ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين[2]».

وبعد ان عرفنا ان الايمان بالمهدى من اخص خصائص الشيعة الاثني عشرية، لان «المنكر لاخرنا كالمنكر لاولنا»[3]. كما يقول الامام الصادق عليه السلام.

فهل كان الشاعر موضوع الدراسة، ممن استلهم هذه الناحية من الايديولوجية الشيعية، وهل انتظمت شعره فيما انتظمت، ام انه تجاوزها ولم يُلق اليها بالا؟؟

---

(١) عقائد الشيعة ص٥٥.

(٢) يوسف/ ١١٠.

(٣) اكمال الدين واتمام النعمة ص١٤.

المهدوية
في شعر السيد حيدر الحلي :

لو تفحصنا شعر هذا الشاعر وبخاصة ما كان منه في اهل البيت النبوي . لرأينا ان المهدوية من ابرز سمات هذه القصائد ، حيث تتمثل فيها على اكثر من صعيد .

شعره في عترة الوحي ، خاصة في حسينياته ، ترجمة صادقة لارتباطه الوثيق مع الايديولوجية الشيعية .

فالصورة التي نستخلصها من شعره ، خصوصا ما كان منه في الامام المهدي ، انما هي هذا الحلم المشرق الوهّاج ، الذي يترقرق عبر قصائده ، لا يخامره شك من انه سيتقمص في حقائق . وهوعنده ـ عبارة عن تلاشي المسافة بين اليقظة والرؤيا ، بين الواقع والحلم . .

. . انه تجربة العذاب المرير . والصبر الغصص . متمثلين باصطدام امنياته المنتظرة لقرب الفرج ، بالايام القاسية والاحداث الماساوية التي لفّعت بغلالتها لاحياته فحسب ، بل حياة الشيعة عبر التاريخ مما فجر في نفسه ينابيع الشعر المعانق للايديولوجيا بتمثل واعتناق .

ان القصائد التي تمور باستنهاض صاحب الامر كثيرة . كذلك تلك التي تناجيه من عمق المآسي التي تنوب ، يدعوه للخروج ، لينقذ المستضعفين ، وليعيد بناء دولة الحق . وثمة قصائد خاصة في صاحب الامر ، تنمّ عبر تدافع امواجها عن عمق معاناته وصدق تجربته الشعرية .

ففي قصيدة له في ذكرى البعثة النبوية ، قيلت في سامراء حيث يوجد مقام الامامين علي الهادى والحسن العسكري ، والمقام الذى غاب عنه المهدى ، نراه يعرّج على ذكر الغيبة وما خلفته في النفوس من عميق الاسى .

وبنا عرّج على تلك التي اودعتنا عندها الغيبة داء[1]
حجب الله بها الداعي الذي هو للأعين قد كان الضياء

بعد ان يذكر الداء العضال الذى تركته الغيبة في نفوس منتظري دولة الحق،وبعدما حجب ضياء عيون الهدى باحتجاب القائم المهدى، لنستمع اليه يقول عن مهجة ذائبة ينضحها من العينين دماء:

يـــا امـــام العصر مـــا اقتلهـــا	حسرة كانـت هي الـداء العياء[2]
فمـــتى تـــبرد احشاء لنـــا	كـدن بالانفـاس يضر من الهواء
ونرى يـا قـائم الحـق انتضـت	سيفهـا فيـك - يد اللـه انتضـاء
افهـــل نبقـــى - كما تبصرنـــا -	ننفـــذ الايـــام صـــبرا ورجـــاء

اية دعوة حارة، واية صرخة لاعجة يبتعثها هذا الشاعر الذي ينتظر الداعي لله بمهجة ذائبة وهي جدار صبرها، وبأحشاء لاهبة احرقها الشوق حتى كاد ان يضرم الهواء دفّاع زفيرها. وفي هذا كبير دليل على مدى معايشته للايديولوجيا التي يؤمن بها الا نرى لهذا التعلق الشديد بصاحب الامر، وايمانه الرائع به. اكثر ما يتجلى هذا الايمان الملتزم، حين يروح يستنهض بشوق عارم، لان شجرة صبره جفت عروقها، وأسرع الذواء الى غصونها، فهو يساله ان يدركها قبل ان تهوى اعجازا خاوية[3].

ارايت الى هذا الاندماج الرائع، او قل الحلولية - اذا سمح لنا المتصوفة - بين الشاعر وايديولوجيته، حتى اصبحت القضية العامة قضيته الشخصية الخاصة، فهو يرى كما يرى الشيعة ان الله حجب الامام عن اعدائه، وان فجر ليل انتظاره لا بد ات.لكن ليل الانتظار استطال حتى كأن ليس له من آخر. فحلت النكبات بالمنتظرين، ونابت الويلات حتى بات الصبر لظى يسجر، فلاذ الأتباع بمنقذهم يستغيثونه عن مهجة ذائبة فهي تسيل من العينين دما بدل الدموع.

فراح الشاعر وقد تجسمت في اعماقه كل مآسيهم يستنجد بامام العصر ليؤاسي من هذا الداء العياء، الذى نزل بالناس وأنشأ يفترسهم بلا هوادة.

ولكن ما الذى ينقذ من هذا الداء داء الاثرة والاستبداد، والظلم والطغيان غير امتشاق سيف الحق والعدالة على يد المهدى، فينقذ المؤمنين من براثن الشرك،

(١ و ٢) الديوان ج١ص٣٠.

(٣) من الجدير بالذكر هنا اننا نحاول حين التحدث عن معانقته لايديولوجيته ان نضمن كلامنا نفس تعابير الشاعر قدر المستطاع.

لتبرد لواعج اشجانهم في ظل راية العدل والحرية، وهكذا يتحقق ما وعد الله به المؤمنين المستضعفين في الارض ليجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين.

لقد انتظر الشاعر واصطبر، رغم المعاناة التي لا تطاق، لكن صبره لم يكن صبر القنوط واليأس، بل كان صبر الامل والرجاء «ننفذ الايام صبرا ورجاء». على حد تعبيره.

وهنا تتبدى ابعاد التزامه الايديولوجي العميق، بترقب قيام دولة الحق.

ونحن سنحاول فيما يلي ان نستعرض بعضا من شعر السيد حيدر الحلي في تعبيره الايديولوجي عن المهدوية، باستثناء ما كان من ذلك في القصائد الحسينية، اذ سنترك الحديث عنها متكاملة في فصل الرثاء، حرصا على ان لا يجرنا التقيد الحرفي بشكلية التقسيم الى الإبتسار.

لو حاولنا ان نتّبع تعبيره عن الايديولوجيا عبر فكرة المهدوية، لطالعنا التزام الشاعر باملاءات الايديولوجيا الشيعية، وباسلوب شعرى ناء عن التقريرية والمباشرة، بعيد عن التكلف والتصميم المسبق.

من الجدير بالتنويه هنا اننا آن نقرأ اشعاره ننسى ان الشاعر يعبر عن ايديولوجيا بعينها، وانما نحس انه يعبر عن اشيائه الخاصة، عن قضيته هو ذاته، حتى انتظمت تلك الايديولوجيا اشعاره تبعا لدفع داخلي عميق، واحساس كياني متوهج، الّح على الشاعر ليعبّر، فعبّر بعمق معاناة وصدق تجربة، حتى بتنا نعايشه في شعره ذلك معايشة حميمة، فلم يعد يهمنا عن اى شي يتحدث،لانه كان يصدر عن قضايا انسانية، عن معاناة انسان للظلم والاستبداد،فسهر الشوق في عينيه متطلعا الى فجر الخلاص.

ينظر الشاعر كما يتبين من خلال قراءة شعره، ينظر الى المهدوية ـ شأن الشيعة الامامية ـ على انها قضية الهية. لان الامامة ليست بالرأى والاختيار وانما هي تعيين من لدن الله الحكيم الخبير، اذ يستحيل ـ وفاق قاعدة اللطف الالهي ـ ان يحيل الله تعالى الى خلقه هذا الاختيار، الذى عليه مدار الاحكام وتمييز الحلال من الحرام، وكشف حقائق الاشياء، وتمييز التكاليف التي امر بها الله سبحانه، اذ انه تعالى لم يحل اليهم شيئا امر به من الواجبات، ولا المستحبات، اذ ان في تلك الاحالة

بعثا على اثارة البغضاء والمنازعة الشديدة، كما حصل للمهاجرين والانصار، بعد وفاة النبي «ص»[1]. بل لقد كانت المناداة باحالة ذلك الى الناس مثار خلاف بين المسلمين على مر العصور... كما انه لا يرضى العقل للنبي المختار رحمة للعالمين، ان يوصي باشياء عرضية، ويغفل بما لو اطيع به لارتفعت الفتن، ولجنب الخلق ان يغدوا في هرج ومرج ولا يقيم لهم ما يصلح امورهم ويسير بهم في الطريق المستقيم[2].

ما دامت هذه هي النظرة الشيعية للامامة، فلا غرابة ان يرى فيها الشاعر كذلك وانسجاما مع ايديولوجيته التي يعتنق مبادئها وتجاوبا مع ما قرره القرآن من آن الاختيار هو لله سبحانه «وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون[3]» فحسب سياق الاية نلاحظ ان المناداة بأن يختار الناس انما هو نوع من الشرك.

لذلك حين نظر السيد حيدر الى المهدي، على ان رب السماء انتجبه لدينه، لينقذ الناس من ظلمات الجور والاستبداد، كان تلاقيا حميميا مع الايديولوجية الشيعية ومع مبادى القرآن....

يـــا ابن الامـــام العسكرى ومن رب السماء لدينـــه انتجبـــه[4]

وهو عبر حديثه عن المهدى لا يقف بجمود وتقوقع، وانما استجابة للشحنات الشعرية، الشعورية نراه ينطلق، متجاوزا كل قيد.

لذا رايناه في هذه القصيدة يستطرد الى ذكر ناحية مهمة من الايديولوجية الاسلامية تلك التي تقول بان سبب خلق الدنيا، انما هو النبي وآله[1] وذلك في قوله:

أيضيـــق عنـــا جاهـــكم ولقـــد وسع الوجود وكنتم سببـــــــه[2]

---

(١) يلاحظ كشف الغطاء ص ٦ للشيخ جعفر الجناجي المعروف بكاشف الغطاء.

(٢) يلاحظ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ص٢٠٢ - وكشف الغطاء ص ٦.

(٣) سورة القصص/٦٨.

(٤) الديوان ج١ ص٣١.

(١) يلاحظ حول هذه الاحاديث كتاب غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام للسيد هاشم البحراني. الباب الاول من هذا الكتاب يدور حول احاديث الرسول: انه لولا الخمسة محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ما خلق الله جل جلاله آدم ولا الجنة والنار ولا السماء ولا الارض الخ.. ويسوق هنا تسعة عشر حديثا من طريق العامة اولها من كتاب الشيخ ابراهيم الجويني من كتابه: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين.

(٢) الديوان ج ١ص٣١.

وهوعبر هذه القصيدة يعبر بصورة غير مباشرة عن مدى تلاقي النبوة والامامة وان الثانية امتداد للأولى ، وراعية لمبادئها ، فالنبي أرسل رحمة للعالمين ، وكذلك يرى الشاعر انّ الامام رحمة من الله وذلك عبر قوله :

غضــب الالــه وانــت رحمتــه يــا رحمة اللــه اسبقي غضبــه [٣]

من هذه الاستطرادات المحببة عبر حديثه عن المهدي والتي تنمّ عن مدى معانقة الشاعر للايديولوجية الشيعية . ومدى انصهاره في بوتقتها ، وتكشف عن تعمقه الشديد في اخبار النبي وآله ، وعن مدى تغلغل ذلك في اعماقه حتى اصبح جزءا من كيانه ، ومنهلا ثرّا من مناهل أحاسيسه ووجدانه ، قوله متحدثا عن الائمة في قصسدة يمدح بها الامام المهدى متحدثا عن دار غيبته حديث المتيّم الصوفي ، حتى ينتقل على جناح الشحنة الشعورية الى الحديث عن الائمة الاطهار الذين:

لهم عــــلى الكرسي قبـــة سؤود عقــد الالــه بعرشه أطنابهـــا [٤]
كانوا أظلـــة عرشه ، وبدينــــه هبطوا لدائرة غــدوا أقطابهـــا

قبل ان نرمي الشاعر بالمغالاة ، ونذهب الى القول بان المحبة الشديدة التي يُكنّ في قلبه لائمته هي التيَ دفعته الى اعطائهم هذه المراتب . يجدر بنا ان نتذكر حديثا قدسيا مسندا عن رسول الله ، يتحدث فيه النبي « ص » عن الليلة التي اسري به فيها ، وبعد ان يذكر ان الله اشتق اسم النبي محمد من اسمه وكذلك اسم الامام على وبعد ان يحدثنا عن دور ولاية النبي والائمة التي طالب بها المؤمنين ، يخبرنا النبي بان الله سبحانه وتعالى طلب الى النبي ان يلتفت الى يمين العرش فالتفت فاذا بعلي وفاطمة والائمة كلهم في ضحضاح من نور ، قيام يصلون ، وهو في وسطهم يعني المهدي كأنه كوكب درى »[١]

بعد ان عرفنا هذا الحديث المسند عن النبي ، نقف على مدى التجاوب بين الشاعر وايديولوجيته ، حين استلهم حديث الرسول بفضل اهل البيت ، وعرضه علينا عبر التجربة الشعرية ، والشحنة العاطفية.

---

(٣) الديوان ج١ ص٣١.
(٤) الديوان ج ص ٣٢.
(١) يلاحظ كشف الغطاء ص ٧ حيث يذكر الحديث بتفصيله ، وكذلك غاية المرام للسيد هاشم البحراني ص٦٩٢ حيث ينقل نفس الحديث عن اخطب خوارزم وهو من اعيان علماء العامة.

أرايت هذا الشاعر كيف يصدر عن ايديولوجية ملتزمة وعقيدة، بنآءة، تعايش في احنائها جميع الائمة، دون ان يجنأ شعره في اصداف التقريرية، ودون ان يقع في جفاف النثرية.

وهذه الظاهرة ليست بالنزرة ولاباليسيرة في شعره، وانما تتبدى في اكثر من مجال وعلى اكثر من صعيد، لنستمع اليه يتحدث عن جبّلة النبي وآله:

فاللـه صوّر (آدمـا) من طينـة لهم تخيّر محضهـا ولبابهـا[1]

هذه الصورة الشعرية الرائعة التي ساقها لنا، ليست من تزويق الخيال المترف المغرق في سبحاته، وانما هي مستوحاة من حديث الرسول عند خلق آدم، اذ رأى على يمين العرش نور خمسة اشباح سجدا ركعا، فاخبر الله آدم عنهم وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

«يا آدم هؤلاء صفوتي بهم احييكم وبهم اهلككم»[2].

هنا يتراءى لنا مدى استلهام الشاعر لقضيته، ومدى تعمقه في استيعابها وتمثّلها.

لو تصفحنا حديثا آخر من احاديث الرسول الاعظم في محاولة استجلاء لمدى تسرب ايحاءاته في شعر السيد حيدر، لراعنا بهذه المقدرة العجيبة على استلهام الاحاديث النبوية وعرضها عبر شريط شعره. ففي حديث مسند عن الرسول عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله يقول:

«خلقت انا وعلي بن ابي طالب من نور عن يمين العرش نسبح الله ونقدسه، قبل ان يخلق آدم باربعة عشر الف سنة. فلما خلق آدم نقلنا الى اصلاب الرجال وارحام النساء الطاهرات ثم نقلنا الى صلب عبد المطلب. وقسمنا نصفين، فجعل النصف في صلب ابي (عبد الله) وجعل النصف الثاني في صلب عمي (ابي طالب) فخلقت انا من ذلك النصف وخلق علي من النصف الآخر».[3].

بعد ان وقفنا على هذا الحديث سنحاول ان نرى كيف استوحى الشاعر هذا المعنى وضمنه في شعره، حين يتحدث عن اهل البيت، وكيف ان الله تقدس ذكره صوّر آدم من طينة تخير للنبي محضها ولبابها، الى ان يقول انسجاما مع ما جاء به الحديث النبوى الشريف:

---

(1) الديوان ج1 ص32.

(2) يلاحظ نص الحديث بتمامه في غاية المرام للسيد هاشم البحراني ص5.

(3) نفسه ص6.

وبراهم غررا من النطف التي هي كلها غرر وسل احسابها
تخبرك انهم جروا في أظهر طابت وطهّر ذو العلى اصلابها[1]

أرأيت كيف استوحى الحديث الآنف الذكر، وكيف تغلغل في حنايا شعره، واستطاع ان يكون شاعرا ذا قضية حين اندمج بها اندماجا جعل من الصعب علينا ان نفرق بينه وبينها، حتى تراءىلنا يتحدث عن نفسه وعن اشيائه الخاصة، وليس عن مذهبية بعينها، وهذا لعمر الحق أسمى ما يصبو اليه الشعر الايديولوجي.

هذا وانا لنراه يتسلسل في التعبير الايديولوجي، حتى تحمله الشحنات الشعورية الى أبهاء المهدوية، قضيته التي تملكت مشاعره، فعبر عنها بحرارة وصدق، ساعد على تاجيج اوارها ظروف بيئته واحداث زمانه ولذلك يكمل الصورة السابقة فيقول:

وتناسلوا فاذا استهلّ لهم فتى نسجت مكارمه له جلبابها
حتى اتى الدنيا الذي سيهزها حتى يدك على السهول هضابها
وسينقضي للحرب مختلب الطلى حتى يسيل بشفرتيه شعابها[2]

..هنا ينبغي ان نقف عند كلمة حتى اتى، حين يتحدث عن صاحب الامر، فهو هنا يقر بولادة صاحب الامر، انسجاما مع المذهبية الشيعية، وينبغي ان نلاحظ مدى اعتقاده بحتمية مجيء المهدى، حين عمد ـ جريا على الاساليب القرآنية ـ باستعمال الصيغة الماضوية ايذانا بحتمية الوقوع.

ثم ان في كثرة استعماله لكلمة« حتى » لكبير دليل على ايمانه بحتمية ما يذهب اليه.

في هذه الابيات يتراءى لنا كيف يتحدث عن صاحب الامر الثائر للحق، كما مر معنا في الحديث القدسي قبل صفحتين، هذا الذى سيصدع بامر ربه فيهز الدنيا هزا عنيفا، حتى يعيد لدين الحق دعائمه، ويقتص للضعيف من القوى، وللمحروم من المستبد، منتضيا في حرب الطغاة سيفا علويا، ذا شفرتين، وكأنه ذو الفقار، يحتلب من رقاب الاعداء الكافرين دماءها، ثم نراه يعود فيؤكد ـ وهنا يتجلى مدى ايمانيته الملتزمة ـ ان هذا الامام العظيم لا بد وان يدرك ثأره من اعداء الله. ولا جرم، فقد

(١) الديوان ج١ ص٣٢.
(٢) الديوان ج١ ص .

وكل الله سبحانه له طلاب هذا الحق وادراك ترته. كما اكد على ذلك الرسول العظيم في احاديث كثيرة جدا، وهذا ما اشار اليه الشاعر:

ولسوف يدرك حيث ينهض طالبا ترة، لـه جعـل الالـه طلابهـا[1]
هو قائم بالحق، كم من دعوة هزته، لولا ربه لأجابها

..يتبدى لنا هنا عمق مسار ايديولوجيته في مشاعره واحاسيسه وعلى مستويات مختلفة حتى جاء شعره معبّرا عنها، ولا ادل على ذلك من قصيدته «المعجز الباهر». والتي انشدها:

«لما هبت من الناحية المقدسة نسمات كرم الامامة فنشرت نفحات عبيرها بتلك الكرامة، فأطلقت لسان زائر من اعتقاله، عندماقام عندها ملحفا بتضرعه وابتهاله»[2].

كـــــذا يظهر المعجز الباهر فيشهده البر والفاجر[3]
ويروي الكرامــــــــة مأثورة يبلغها الغائب الحاضر

حتى اذا وصل الى مدى تسرب الفرحة الغامرة بهذا الانتصار، وبهذا المعجز الباهر، وآن راحت تحتويه الكرامة العباقة بين اجنحتها الملائكية صاح من فرط اعجابه وتاثره:

اجـل طرف فكرك يـا مستـدل وانجـد بطرفـك يـا غائر[4]
تصفـــــــــح مآثر آل الرسول وحسبـــــك مـــــا نشر الناشر

٤٠. ..فها هو الشاعر حين تشابكت في نفسه محبة آل الرسول، ولما غمرته الفرحة بنشوتها الساحرة، راينا الصورة عنده تكاد ان تسبق التعبير. وهو هنا مرتكن الى الايحاء، الى الاشارة، حين يعرض للحديث عن مآثر آل الرسول، فهي كثيرة كثيرة، رغم كل المحاولات التي قامت في وجه ذيوعها وانتشارها بل في سبيل وأدها وتشويهها، وبحسب من يتطلع الى هذه المآثر، بحسبه هذا النزر اليسير الذي قيّض له ان ينشر، وهذا يذكرنا بقولة الخليل بن احمد الفراهيدى متحدثا عن الامام علي ومآثره

---

(١) نفسه ص٣٣.

(٢) مقدمة القصيدة كما كتبها الشاعر نفسه في تبيان نظمها، يلاحظ الديوان ج١ ص٤١.

(٣) نفسه نفس الصفحة.

(٤) الديوان ج١ ص٤١.

الجمة ،مآثر امرئ اخفى محبوه امره خيفة، وكتمه اعداؤه، كرها، فخرج من بين هذين ما ملأ الخافقين.

عبر هذا التمازج الشديد بين الشاعر وايديولوجيته، والانتشاء بشفاء الاخرس ببركة صاحب الامر، لا ينسى وهو في تلك الحالة، وهذا دليل معايشة دائمة لقضيته، لاينسى ان يستغيث المهدي الذى هو الملاذ والمغيث اذا نضنض الحادث وحزب الامر:

إيكبو مرجّيــــه دون الغيـــاث وهو يقـــال بـــه العاثر[1]
أُحاشيـــه، بـــل هو نعم المغيــث اذا نضنـــض الحـــادث الفاغر

حتى اذا بلغ التفاعل بين الحادثة والشاعر اوجه، راح يصطرخ من نشوة فرحته وعميق بهجته بهذه الكرامة الارجة الفواحة:

أدم ذكرهـــا يـــا لسان الزمـــان وفي نشرهـــا فمـــك العاطر[2]

وهكذا يحيل الشاعر الصورة التقريرية المباشرة - بوهج رؤاه وعمق تجربته، يحيلها الى فعل وصيرورة يتوهجان بحرارة اللقاء بين الذات والموضوع، وصدق التمازج بين الذات الشاعرة والقضية الشعرية.

لو تصفحنا شعر السيد حيدر الحلي في صاحب الامر، لاستطعنا ان نقف على مدى تعلقه الشديد به، وتوقه المتوقد ليوم الفرج المنتظر، لذلك لا تفوته مناسبة من مناسبات القائم المنتظر الا وعايشها معايشة حارة.

ففي عيد مولد صاحب الامر، عبر تسجيله لذلك اليوم العظيم من خلال شعره نراه يطالعنا بلوحة شعرية رائعة يتبدّى لنا فيها الكون وكأنه على موعد مع ميلاد صاحب الامر، انه في عيد البشرى بولادة المنقذ، والشاعر الذي هو الطائر الغرّيد في حديقة المهدي، أيطل عيد ميلاده ولا يسكب الحانه من حبات قلبه، ولا يرفرف في سنى الافاق يزف البشرى بذلك العيد؟ الا يبحر الشاعر المحب على شراع محبته في نهر الفرحة اللألاء، يتهادى بهجة وحبورا؟ وهل ثمة ما يغلغل البشر في القلب اكثر من ذكرى هذا الميلا دالميمون، انه بداية تحقق الحلم بالخلاص، فكيف لا يرفع عقيرته بالغناء الهازج النشوان:

بشرى فمولــــد صاحـــب الامر أهـــدى اليـــك طرائـــف البشر[3]
وبطلعــــة منـــــه مباركـــــة حيّـــا بوجهـــك طلعـــة البـــدر

(١ و ٢) نفسه ص٤٢.
(٣) الديوان ج ص٤٤.

فتبارك هذا القدوم الميمون، وسعدت هذه الاطلالة المشرقة، تحل حاملة آنق خلعة، مكثت تنمقها زمنا طويلا يد الفخر.

لقد هبت نسمة ناعمة خضلة، مضمخة بأرج هذه الذكرى القدسية النفحات انه ارج النبوة:

فحبتــــك عطرا ذاكيـــا وسوى ارج النبوة ليس من عطر[1]

الله..الله.. لهذه البشرى الرائعة بمولد صاحب الامر، ولهذا البُرد الموتق تنمقه يد الفخر، انه من طراز الوحي، فلا نزع عن عطف مجده حتى آخر العمر.

ويا لروعة هذه الفرحة النشوى التي سكر الشاعر بخمرتها الالهية العطرة، والتي تمور بأرج النبوة ونشر ميلاد المهدي، والى كون هذا الميلاد نعمة من الباري تبارك مجده ليبتهج الدين بعودة الدماء الى عروقه، ويفتر ثغر الامامة عن ابتسامة جذلى بحفاظه على الرسالة، ففي هذا الميلاد العظيم:

الآن اضحـــى الـــدين مبتهجـــا وفم الامامـــــــة باسم الثغر[2]
وتباشرت اهل السماء بمن حفّـــت بـــه البشرى الى الحشر

عبر هذه الفلذات التي اقتطفناها من شعر السيد حيدر الحلي، تبدت لنا معالم مذهبيته الامامية كما تبدت ديمومة التعايش الايديولوجي في ذلك الشعر عبر غمرة الفرح والإيناس، فتراءى لنا الشاعر طائرا نشوان بالفرحة، يسكب أغانيه في حديقة المهدوية فيزيدها ألقا وبشرا، ويبثها في نفوس المتلقين لشعره، حتى يقوم تلاحم حميم، وتسود جواء عابقة بأرج الامامة الذي هو امتداد للأرج النبوي كل ذلك في صياغة شعرية رائعة، تنبض بالحياة وتخفق بالحيوية.

هذا في صفحة الفرح والبشر، فما عن ذلك في الصفحة المقابلة من صفحات الحزن والالم؟؟.

(١ و ٢) الديوان ج١ ص٤٤.

مظاهر المهدوية

في حالة الحزن والألم :

بعد ان عرضنا لمظاهر المهدوية في شعر السيد حيدر الحلي، عبر شريط الفرحة الغامرة بميلاد صاحب الامر، عبر تحقيق المعجزات ببركته، علينا ان نلتفت ضمن اطار المهدوية، وبدافع من خاصة التداعي، الى اللوحة الثانية المقابلة، لوحة الشجن والالم، التي رسم خطوطها الاسيانة يراع الصبر الذى استعلى على الطاقة البشرية، ولونتها ريشة الانتظار الطويل الذى يوهي العزائم مهما صلب تماسكها.

القضية عند الشاعر - في هذا الجانب - شديدة الوضوح وهي ان القيم العليا تمرّغت في وحول هذا الزمن الوصولي الشهوتي وان رسالة النبي محمد ﷺ، اصبحت في عضين، والدين الالهي يتظلم شاكيا مما نزل به على ايدي الذين نصبوا انفسهم قيمين عليه.

الشاعر هنا - حين يجعل نفسه احدى الشموع التي تذوب بليل الانتظار، وحين ينذر نفسه جسرا للعبور الى مطامح العدالة ودولة الرحمة، فانما يدعونا باسلوب غير مباشر لان نلتزم طريقه، ونعانق انتظاره.

قد يتفق القارىء مع الشاعر - وقد يختلف في هذه النظرية التي يؤمن بها، ولكنه لا جرم سيعايش معه مآسي جيله بل الأجيال كلها، وشقاء مجتمعه، وسيضيء في عينيه - على غراره - مصباح الالم، ويستنشق في عبير ايامه المضنية لواعج المعاناة ولوعة الاكتواء بنار التجربة، لأعظم تجاوب يقوم بين قارىء شعر والايديولوجية التي يعبّر عنها ذلك الشعر.

.. لقد احتبكت في نفس الشاعر معالم ايديولوجيته، وتزاوجت مع معاناته الرهيبة لوطأة الظلم والحرمان والاستبداد، فراح ينتظر قيام القائم المهدي، بشوق الزهرة الذابلة صوّحها الهجير لقطرة طل، حالما بيوم الفرج الموعود، يوم يصدع المهدى بأمر ربه، حاملا راية العدالة والحرية، فينضوي تحت لوائه، منافحا عن دين الاله، ثائرا في وجه الظلم، الذى عطل الحدود، ومنع الحقوق ومارس الوان الاضطهاد

ضد ابناء الشعب الكادحين بما لم يدر مثله على خاطر، حتى غدا الصبر لايطاق، فكانت من جرّاء ذلك ـ تلك الصرخة الوالهة، اللاعجة تتردد من اعماق الشاعر فتشف عن خليفاتها الدفينة مناجية صاحب الامر:

أقائم بيت الهدى الطاهر ... كم الصبر فتّ حشا الصابر[1]
وكم يتظلم دين الاله ... اليك من النفر الجائر
يمدّ يدا يشتكي ضعفها ... لطبك في نبضها الفاتر
نرى منك ناصره غائبا ... وشرك العدى حاضر الناصر

فيا للحزن العميق، ويا للألم الممض، ينفجران عبر هذه الصرخة اللاهثة، تستنهض صاحب الامر وقد جاوز الظالمون المدى، لينقذ الدين من براثن الجائرين قبل ان يفرسوه، ويأتوا على ما تبقّى من شلوه. ويا لهؤلاء المنتظرين يتجرعون كؤوس الشقاء وغصص الحرمان.

لكن هؤلاء الصحب المسهدّين في ليل الانتظار، يعرفون ان منقذهم انما يترْيث ـ رغم مناجاتهم له واستغاثتهم به ـ ليأتيه امر الله بالنهوض، حينذاك يمتشق صارمه الصقيل، ليحصد رؤوس الكفرة الفجرة المارقين.

في هذه القصيدة نلاحظ اشعاعات الامل وبوارق التفاؤل تنسل من بين سجف ليل الانتظار، موكدة ان نهضة صاحب الامر، لا بد آتية، ولا جرم ان تاتي اكلها مها استطال امد الانتظار. وهذا وفاق حديث الرسول «ص» المسند عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس: «والذى بعثني بالحق بشيرا ونذيرا، لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي..»[2].

خروج المهدي هذا الذى ينتظره الشاعر بالتزام ايديولوجي ليس فيه ادنى اهتزاز ولا اقل تأرجح، بل بيقين ثابت وايمان مطمئن، وايمانه الصادق بهذا الامام وبظهوره، دفعه ان يهيب بمن يتأشب حوله. مخاطب صاحب الامر:

لا بد من ان نرى الظالمين ... بسيفك مقطوعة الدابر[3]
بيوم به ليس تبقي ظباك ... على دارع الشرك والحاسر

(١) الديوان ج١ ص٧٣
(٢) يلاحظ هذا الحديث في كتابه غاية المرام ص٦٩٣.
(٣) الديوان ج١ ص ٧٣.

هذا النهوض المنقذ، انما يراه الشاعر، وبدافع من مذهبيته الشيعية، ياتي عن امر البارى عز وجل، ويرى - انطلاقا من الايديولوجية الشيعية ايضا، بان الامام ينبغي ان يكون معصوما، وهو افضل اهل رمانه علما وحلما، وخلقاً وخُلُقا، لذلك راح يخاطب صاحب الامر انسجاما مع مبادىء ايديولوجيته يدعوه للنهوض:

ولكن نرى ليس عنـــد الالـــه   اكـــبر من جاهـــك الوافر[1]

فهو في هذا الرأى يصدر عن تجاوب عميق مع عقيدته. فالامام عند الشيعة، يشترط ان يكون كالنبي معصوما عن الخطأ والخطيئة، والا لزالت الثقة به. لان الغرض من تنصيب الامام هو تكميل البشر وتزكية النفوس. لهذا ينبغي ان يكون افضل اهل زمانه في كل فضيلة، واعلمهم بكل علم، ولزوم العصمة للامام يتبدى صريحا[2] عبر الآية الكريمة التي يخاطب فيها الله تعالى ابراهيم عليه السلام «اني جاعلك للناس اماما، قال ومن دريتي، قال لاينال عهدي الظالمين[3]».

وانطلاقا من هذا راى الشاعر انه ليس اكبر في زمانّنا - عند الله من جاه المهدي، لذلك راح اعتمادا على هذا يطلب الى صاحب العصر والزمان ان يسأل الله تعجيل ظهوره لما له - عند الله - من وافر الجاه وعلوّ المقام:

فلو تسأل اللـــــه تعجيلـــــه   ظهورك في الزمن الحاضر[4]
لوافتـــــك دعوتـــــه بالنهوض   بأسرع من لمحـــــــة الناظر

كل ذلك انما هو لاقامة دولة العدل واعادة تشييد بناء الدين المتقوض، وهنا يجنح الى النسج على منوال الأسلوب القرآني في استعمال الصيغة الماضوية، ايذانا بحتمية تحقق ما يذهب اليه، لنصغ اليه مستعملا ذلك الاسلوب متحدثا عن الدور الذى سيتركه ظهور صاحب الامر في النفوس:

فثقـــف عدلـــك من ديننـــا   قنـــا عجمتهـــا يـــد الآطر[1]
وسكن امنّـــك منـــا حشا   غـــدت بـــين خافقـــي طائر

---

(١) الديوان ج١ ص٧٣.
(٢) اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص٩٨.
(٣) البقرة /١٢٤.
(٤) الديوان ج١ ص٧٣.
(١) نفسه ص ٧٤.

ما دامت حشا المؤمنين - لطول ما عانت - قد غدت بين خافقتي طائر، فلا غرابة في ان ينفجر الشاعر في ثورة عاطفية عارمة. لقد اوهى جدار الصبر طول الانتظار، وما يلاقونه من صنوف المحن وويلات الكروب: الشقاء والحرمان يخيمان في كل مكان، زوار الحسين ينهبون على طريق كربلاء والنجف، المدن العراقية المقدسة تتعرض للهجوم والغزو اكثر من مرة سواء الحلة موطن الشاعر او النجف او كربلاء. التفرقة العنصرية يزرعها جاثوم الاحتلال التركي في النفوس، والجماهير اخذت تئن تحت وطأة اقدام الغزاة المستبدين[1]. لكن ثمة وعد بالخلاص على يد صاحب الامر.

وهذا بعض من ايديولوجية الشاعر التي يسير على هداها مستلهما مقولاتها ولهذا راح يصطرخ مستنهضا الامام المهدي:

الام وحتـــام تشكو العقـــام لسيفـــك ام الوغـــى العاقر[2]
وكم تتلظـــى عطـــاش السيوف الى ورد مـــاء الطـــلى الهامر

وهكذا وقد تأججت نفسه بنار تلك الآلام، وقد انصهر في اتون الاسى والشجن والصبر المرير، حتى تراءى ليل الانتظار وكأنه بلا آخر، فصاح من اعماق جراحه:

امـــــا لقعودك من آخر أثرهـــا، فديتـــك من ثائر[3]

ولكن استفهامه هنا استفهام الامل المرتجي، لا اليأس القانط، يؤكد ذلك حين راح يطلب الى الامام المنتظر ان ينهض مقتادا الابطال فوق صهوات مذاكي الخيل، هؤلاء الذين سينضوون تحت لواء القائم، والذين هم كما يصورهم الشاعر، شوس صناديد لأنهم سيكونون خيرة اهل الارض، فهم النخبة التي على ايديها سيقوم بناء المجتمع الجديد مجتمع العدالة والحق:

أولئـــك آل الوغـــى الملبسون عدوّهم ذلـــــة الصاغر[4]
هم صفوة المجـــــد من هاشم وخالصـــــة الحسب الفاخر
كواكـــب منـــك بليـــل الكفـــاح تحف بنيرهـــــا الباهر

آل الوغى هؤلاء الذين يتحدث عنهم، والذين سيلبسون عدوهم ذلة الصغار، سيجتمعون تحت لواء المهدي، من اقطار الدنيا، ليقيموا بناء دولة الحق.

---

(١) يلاحظ الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي من ص١٠ حتى ٤٨ حيث يوجد تفصيل لمعظم تلك الحوادث وفي اماكن متفرقة من الكتاب.

(٢ و ٣) الديوان ج١ ص٧٤

(٤) الديوان ج١ ص٧٤.

هؤلاء يخاطبهم الله تعالى بقوله « فاستبقوا الخيرات، اينما تكونوا يأت بكم جميعا، ان الله على كل شي قدير »[1]

مهما يكن من امر فان هذه القصيدة مصدر ممرع نستجلي فيها ايديولوجيا الشاعر، ففي كل مقطع بل في كل بيت نلمح ذلك المسار الايديولوجي الشعري الذي ينتظم كل قصائده الملتزمة.

في هذه القصيدة المهدوية التي عرضنا لقسم منها، يحتل تصوير الصبر الذي يعاني الشاعر ورهطه منه دورا مهما في إلهاب النفوس والمشاعر، ونقل الحالة النفسية التي ولّدها تجرع كؤوس الصبر المرة التي كانت نوعا من الانتحار، لقد غدا الامر عسيرا لا يطاق فكيف اذن يناشدون الصبر وعلى ماذا يصبرون:

أصبرا على مثل حز المدى — ولفحة جمر الغضا الساعر[2]
أصبرا وهذى تيوس الضلال — قد امنت شفرة الجازر
أصبرا وسرب العدى راتع — يروح ويغدو بلا ذاعر

اية حالة اجتماعية بائسة هذه التي يعانون منها، والتي تطالعنا عبر هذا الحزين الشعوري الأليم.

هنا في هذه القصيدة ينبه الشاعر في وعينا عن غير ما قصد، قضية السيدة الزهراء حين ابتُزّت منها الارض التي ورثّها اياها اباها الرسول المسماة ب(فدك).

فليس عن طريق المصادفة ان تجيء كلماته، هنا، نفس الكلمات التي رددتها بضعة النبي محمد« ص »، وانما يتراءى لنا في هذا التلاقي التعبيرى، مدى تمثله للايديولوجية الشيعية، ومعايشته لجميع احداثها حتى اغتدى قسما منها او اغتدت هي قسما منه.

لقد قالت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الاحتجاجية على أخذ فدك « او نصبر منكم على مثل حزّ المدى »[4] وهو نفس تعبير الشاعر « اصبرا على مثل حزّ المدى »[5].

(١) البقرة : ١٤٨ يلاحظ تفسير البرهان وتفسير علي بن ابراهيم حيث يذكر ان هذه الايات نزلت بأصحاب القائم.

(٢) الديوان ج١ ص٧٦.

(٣) دلائل الامامة لابي جعفر الطبرى ص٣٤، ونلاحظ الخطبة كلها في نفس الكتاب من ص ٣١ - ٤١، وهي جديرة بالقراءة لبلاغتها وفصاحتها وحسب، بل لاسلوبها الحقوقي ودفاعها المنطقي المدعوم بالحجج والادلة.

(٤ و ٥) الديوان ج١ ص٧٦ و٤.

وهكذا راحت تمر امام ناظري الشاعر سلسلة الحوادث التي ألمّت بأهل البيت وشيعتهم، وذاقوا منها ما لا تبرك على مثله الابل، على حد التعبير القديم .من هذه الخطوب المتوالية .، والمآسي الدراميتيكية المتتالية، ان سيف الظلم والجور، ما زال مُنتضى فوق هاماتهم، يسامون منه خطه لا يرضى بها سوى الكافر، وهذا ما عبر عنه الشاعر بقوله متحدقا عن هؤلاء الظلمة المارقين:

فنشكو اليهم ولا يعطفون كشكوى العقــــيرة للعاقر[٣]

هنا يدير وجهه ناحية صاحب الامر بعد ان أوقفه على ما هم عليه من معاناة ظلم، وجور الحكام ليخاطب المهدي مستغيثا:

وحــين التقــت حلقـات البطـان ولم نر للبغي من زاجر[٤]
عججنــــا اليــــك من الظالمــــين عجيــــــج الجمال من الناحر

هكذا ايها المحيي الشريعة، ومعيد تشييد بناية الدين، ان ما يعانونه من ظلم الاتراك وتعسف ولاتهم. رما يتحملون من استبداد طغاتهم، يمتّ بأمتن الاسباب كما يقول الشاعر نفسه، الى يوم الامام الحسين جد المهدي، فالقوم ابناء القوم:

فباطن ذاك الضــــلال القــــديم مضمره عــــــين ذا الظاهر[١]

لقد آن الاوان ايها المعدّ لمحو الضلال، وقطع دابر الظالمين، لقد آن الاوان لتستجيب لدعوة المضطر الذى مسه واهله السوء، لتدرك ترتهم، فآلامهم لا تطاق، وجراحهم تُنكأ كل يوم فتدمى من جديد، ولا تجد سابرا يعمل على مداواتها، وانما تعمق وتوغل ابداً ،انها يا ابن الرسول:

الى الان تعمــــق تلــــك الجراح واوجـــــع منهــــا نوى السابر[٢]

وانسجاماً مع ما هو فيه من حالة نفسية، وقد برزت على صفحة وجوده كل همومه ومآسيه، يلتفت مخاطبا صاحب الامر، معتمدا الاشارة والرمز، مشيحا عن التفصيل والاسهاب ولكن بمنطق الحكمة واسلوب الحجة، عارضا للامام قضيته الذاتية الغيرية في آن معا، لانها قضية المعذبين المستضعفين في الارض، مسائلا بصيغة الاستفهام ولكن ليقرر، مخاطبا المهدى:

فعنــــك انطوى اى تلــــك الخطوب فتحتــــاج فيــــه الى الناشر[٣]

---

(١) الديوان ج١ ص٧٦.
(٢ و ٣) الديوان ج١ ص٧٦.

هذه القصيـدة تكاد ان تكون من خير ما يعبر الشاعر به عن قضيته. والى جانب تبنّيه للمهدوية - هنا - كمطلب اساسي، وهذا يبرز عمق التزامه، نراه يتمثل كل الحوادث والغير التي المت باصحاب هذه الايديولوجيا منذ القديم. وهنا يتبدى لنا صدق معاناته وعميق تجاوبه، عبر معايشته لتلك المراحل الاليمة التي كانت تمر بها هذه الايديولوجيا، معايشة فريدة فذة، يتراءى لنا - عبر تسرب تلك المراحل من خلال شعره - انه قد عايش كل تجربة قاسية انتابت الشيعة.

خلال مطالعتنا لاشعاره، نحس بوهج وحرارة تلك التجارب، وكأن الشاعر يعانيها ويكتوي بلهبها لتوّه، وهذا أرفع ما يسمو اليه شاعر ملتزم في معانقة ايديولوجيته.

فأن نعيش مع هذا الشعر مراحل العذاب والالم عبر مسارها الطويل، ننسى ان الشاعر يتحدث عن شيء تاريخي مرّ عليه الزمن، وانما نعايشها عن كثب، ويلفح وجوهنا وهجها.

لهذا آثرنا ان نتبع مراحل هذه القصيدة محاولين ان نقف عبرها مع تجاوب الشاعر مع ايديولوجيته، وبخاصة قضية المهدوية.

وهو آن يعرض هذه القضية - في القصيدة - لا يقدمها مقسرة منبترة، وانما يعرضها عبر الشريط المسلسل الذى تأتي في نهايته تتويجا وحلا بالانتصار، برغم الظلم الذي عانوا من وطأته، والاستبداد الذي ران بكلكله.

والشاعر آن يخاطب صاحب الامر مستفهما مقررا ان الخطوب التي مر بها المسلمون لم ينطو عنه شيءٌ منها، ومع ذلك يذكر كثيرا منها ويسردها على مسمعه متسلسلة، لان في ذلك نوعا من تنفيسة المكروب، ومواساة الكليم الذى نوى سابره، وغاب ناصره، يرددها لا ليفثأ من غلوائها، ويهدّأ من فورتها، ولكن ليعاين مدى لفح هجيرها، ولتكون اذ يعرضها امام صاحب الامر شاهدة معه ان الصبر على معاناة الويلات لم يعد بالاستطاعة تحمله، والظلم الذي ران بجاثومة لم يعد يطاق.

هكذا استيقظت في نفس الشعر تلك الخطوب الجسام. فهذا ابو سفيان يهتبل الفرص لينقض على الدين الاسلامي، مضرما أوار الفتنة في صفوف المسلمين، خصوصا وان المسلمين - بعد وفاة النبي - يختلفون فيما بينهم انصارا و مهاجرين، وهكذا:

فهــب ومــا نــام حقــد القلوب ولكن رأى فرصـــــة الثائر[1]
فأضرمها فتنة لم تدع رشادا لبـــــاد ولا حاضر

اى فتنة ادهي من ان يحال بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب وبين ان يثبت قواعد الاسلام في النفوس، ويغرس تعاليمه كما إرادها النبي. ولكن الامام صبر على محنته تلك - كما يقول طه حسين - اجمل الصبر[2] فحافظ على التئام عرى وحدة الدين، مشيحا عن كل دعوة - مهما بلغ اغراؤها - لانه ادرك بعميق رؤياه ما يراد بالاسلام من ويلات ومن شرور. فالاسلام عنده هو الغاية والوسيلة، ولن يسمح للغاية ان تبرر التواءات الوسيلة، بل ان الغاية السامية لا يمكن ان تحققها الا الوسائل السامية، لذلك لم يكن ليألو في النصح للخلفاء ابلغ النصيحة، وان يقف الى جانبهم عند كل شدة تنزل او ملمة تنوب، مسدّدا وموجّها، حتى كانت اقوال عمر الخالدة: «لولا علي لهلك عمر» «لاكنت لمعضلة ليس فيها ابو الحسن»[3] - خير ما يُبره على منا صحته للخلفاء والأخذ بيدهم عند كل مزلقة.

بعد هذا ينتقل الشاعر ليعرض علينا لوحات مسلسل المآسي الذى مر به آل النبي الاطهار، مرورا ب(فدك) وما لاقت السيدة الزهراء في ابتزازها تلك الارض التي هي إرثها من ابيها، وما كان من المحاولات الكثيرة التي كانت دائما تفسر بالاصبع الاموية التي لم تكن تدخر جهدا في العمل على اذواء فرع الهدى الناضر.

فراح ابو سفيان ومن حازبه ينصبون اشراكهم لغيلة عترة الوحي، ومحاولة وأد الدعوة النبوية، عبر ملاحقة آل البيت، حملة مشعل الرسالة بعد النبي، لانهم يأبون الا الحفاظ على شجرة الهداية التي غرّسها ونمّاها النبي «ص»، فقاموا من بعده يتعهدونها ويحافظون عليها لتظل فارعة ممرعة ميادة.

هنا تتمثل ابعاد المأساة متتالية امام عين الشاعر، فينقلها لنا - وقد تمثلها - في صورة راعفة بالالم، موّارة بالاسى.

فهذه السيدة الزهراء تدفن تحت ستر الدجى، مغلوبة على امرها، مُستلبا

(١) الديوان ج١ ص٧٧.

(٢) الفتنة الكبرى لطه حسين ج٢ ص١٧٢.

(٣) يلاحظ الجزء الثاني من فضائل الخمسة في الصحاح الستة ص٢٧١ وما بعدها في رجوع ابي بكر لعلي، وص ٢٧٣ وما بعدها في رجوع عمر لعلي، وص ٣٠٠ وما بعدها في رجوع عثمان لعلي.

حقها، وهذا امير المؤمنين، سيف الله المصلت في وجه المشركين والمرتدين والمتآمرين هذا الذي حبه - كما يقول النبي - عنوان صحيفة المؤمن، وان من سبه فقد سب الله ورسوله، وان حبه ايمان وبغضه كفر[1]

هذا الامام العظيم معلي راية الاسلام اذا احتدمت الوغى وتفرقت الانصار، ومجلي المبهمات اذا حزبت الامور وطمست المعالم، يقتل غيلة في محرابه وهو ساجد يصلي لباريه، فيخضب من نجيعه القاني.

ومثلما قضى امير المؤمنين شهيد الذياد عن حياض الرسالة النبوية، كذلك قضى الائمة الاطهار من بعده، محتذين نفس السمت، حتى لاقوا ربهم مظلومين مُدافَعين عن حقهم، ولا همّ لهم الا ان يبقى صرح الدين شامخا ممردا[2].

اغتيل امير المؤمنين، ودُسّ للحسن السم حتى برى احشاءه، بعد ما كان من نقض معاوية لكل العهود والمواثيق التي اخذها الحسن منه.

ثم ولي يزيد سدة الملك العضوض بعد ابيه ممعنا في مجونه وتهتكـــــــه، وزرايته على الدين، حتى اذاقام الحسين بن علي ينافح عن دين الله ورسالة جده السمحاء، لان يزيد اراد اطفاء جذوته، واخماد لهيب شعلته، ليستحيي الجاهلية الراعنة بعد اندثار، فما كان من نصيب منافحة الحسين الصارمة، الا ان يخر صريعا، شهيد الدفاع عن الحق والحرية والعدالة، حتى:

قضى والهدايـــــــــة في مصرع ووسّد والرشد في قابر[3]

هنا يوقف الشاعر مسلسل لوحاته المأسوية، فهو ليس مؤرخا ناثراً يريد ان يعرض علينا تاريخا بعينه، وانما هو شاعر يريد ان يوقظ في النفس احساسا، ويستفز شعورا، يريد ان يشرفنا على لهاة الخطوب الفاغرة التي احتوشت آل الرسول، الى ان يصل بنا الى حمى المعدّ لمحو الضلال الساهر من تواتر الهموم، يبغي النهوض، منتظرا امر الله سبحانه وتعالى[4].

---

(١) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ في الصفحات ٢١٨، ٢٢٣، ٢٠٧.

(٢) تلاحظ القصيدة التي تعرض في صورة شعرية تلك الاحداث ص٧٥ - ٧٨ من الجزء الاول.

(٣) نفسه ص٧٧.

(٤) نفسه ص٧٧.

بعد ان قدم الشاعر عبر شريط شعري ملهم بعضا من حيثيات حكمه بدعوة صاحب الامر للنهوض، وبعد ان أطلعنا على موجبات استنهاضه عبر عرضه للوحات الماسي الدراماتيكية التي مرّ بها اجداده والتي تلح عليه بان يقتص لهم، ويدرك ترتهم، نراه يذعو المهدي ويناجيه ليصدع بامر ربه وينقذ المستضعفين وكيف لا، والذى قد حلّ بهم انما هو:

مصائب يصد عن قلب الجليد وينضحن دمعـــا حشا الصابر[1]

فهل ينشد الصبر في مثلها ومـــا مثلهـــا دار في خاطر

لقد تبدى ـ لنا ـ بعد ـ بعض معالم ايديولوجية هذا الشاعر. حيث لمحنا تجاوز الـ (انا) في طريقه الى المثل الاعلى الذى يعانقه،وصولا الى المنبع الذى يمتح من منهله.

اما الطريق الذى سلك الى معانقة هذه الايديولوجيا، فقد تعدّى الوصف الخارجي، وسلك مسربا داخليا عبر معايشته الحميمة، ومعاناته الرهيبة، في محاولة للخروج من ضيق دائرة الانتظار، الى رحاب واحة الوصول، من الشخصانية الى العالم، من تربص على جمر الترقب، ولظى الصبر، الى التغلغل الوثيق في حنايا الرسالة التي يؤمن بها.ويأمل ان يشارك في تحقيقها عبر محاربة الظلمة المستبدين، ورفع مداميك بناء دولة المستضعفين في الارض، اصحاب الحق الصراح.

لقد استبان لنا ـ في هذه الوقفة مع ايديولوجيته ـ التزامه الشعري بالتعبير عن قضيته، عبر الاندماج فيها، فاستوعبت وجوده، وتوزعت كيانه، ثورة انتصار للحق، وحرارة تعبير، وصدق تجاوب، وعمق معاناة.

لقد نقلنا الشاعر عبر شريط الكلمة الشعرية الموهوبة الى رحلات قصية، استوقف خلالها الزمن بمقدرة عجيبة. اذ ان الزمن لا يعرضه تمثال، ولا ترسمه لوحة، ولا تناغمه سمفونية، بقدر ما تذخره وتعيه كلمة شاعرة، تلبسه طيلسان تمرد على كل تحريف، وبجاد ثورة على كل تبديل، حين تروح تمده بالدم النقي الذي يجري في اوصاله رعدة الحياة.

وان تلامسه الكلمة الشاعرة بانامل الحنين، تعرضه بملاءات الخيال، وصور الشعر، عالما يمور بالحياة، فنعروري من ثياب البعد المتهم، ونعانقه في لهفة المعاناة

---

(١) نفسه ص ٧٨

الصادقة، ووهج التلاقي المستعر، الذى هو لهب يمد سراجنا بالشعلة، ويكشف سر الضياء الذى هو جوهر المحتوى، وغاية المسار،.

وهكذا فقد حاولنا ـ عبر عرضنا لايديولوجيا الشاعر، ان نقف على مدى التزامه بخاصة عبر فكرة المهدوية التي كان الشاعر شديد التعلق بها، وفاق ما أملته عليه ظروف عصره وأحداث زمانه، وحاولنا ان نختصر قدر الامكان حفاظا على منهجية البحث، وحتى لا نخرج شططا عما رسمنا من مخطط الموضوع.

لقد عرضنا هنا ـ للمهدوية وغيرها من المظاهر الايديولوجية، خلال مديح الشاعر لصاحب الامر ومناجاته له، باستثناء ما كان من ذلك في غضون رثاء الامام الحسين، اذ تركنا الحديث عنها لمبحث الرثاء حتى الا يجرنا التقيد الشديد بالتقسيم الى شكلية محضة، يفقد معها البحث رونقه وتسلسله.

والواقع ان في رثاء الشاعر للامام الحسين اكثر من ظاهرة ايديولوجية، فما عسانا ان نلتقي في رثائه لهذا الامام العظيم.؟؟



الفصل الخامس :

رثاء الامام الحسين في شعر الحلي

تمهيد:

الرثاء - كما يراه الدكتور شوقي ضيف - هو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الانسان، ووجد امامه هذا المصير المحزن: مصير الموت والفناء[1] ».

انواع الرثاء:

الرثاء ثلاثة انواع: منه بكاء الاقارب حين يعصف بهم الموت، ورثاء النفس حين يجد الانسان نفسه على فم الهاوية بين شدقي الموت، ومن هذا الصنف بكاء من ينزلون من المرء منزلة النفس والاهل ممن يحبهم ويؤثرهم وهذا هو الندب. ومراثي الشيعة من خير الامثلة التي تصور ذلك.

ومنه التأبين وهو ادنى الى الثناء المحض منه الى الحزن الخالص والنواح الثاكل. انه ضرب من التعاطف والتعاون الاجتماعي، تعبير عن حزن الجماعة في فقدها لاحد نجومها اللوامع آن يخر من سماء المجتمع. وهذا الضرب من الرثاء محاولة تسجيل للفضائل.

اما النوع الثالث فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، ينفذ الشاعر في غضونها من حادثة الموت الى التفكير في حقيقة الموت والحياة، والى ما ينتهي به هذا التفكير من معان فلسفية عميقة وآراء حكميّة صائبة، وهذا هو العزاء[2].

---

(١) سلسلة فنون الادب العربي: فن الرثاء لشوقي ضيف المقدمة ص .

(٢) نفسه ص٥و٦ .

في المعنى اللغوى للرثاء نلاحظ الاشارة الى معاني الوجع والالم، والتخثر. وهذا اشارة الى مصدره ودوره في تختير الاحزان بالتعزية والمواساة، الى جانب ما تومئ اليه المعاني الأخر، من تعداد المحاسن وذكر المناقب. وجاء الاصطلاح قريبا جدا من هذا المفهوم، وكلاهما لا ينسى دور التعزية والتهدئة من فورة الحزن.

اما سبيل الرثاء فهو - كما يقول ابن رشيق في عمدته - ان يكون ظاهر التفجع، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام ان كان الميت «ملكا او رئيسا كبيرا[1] ».

«ولقد جعلت المراثي تسلية لمن عضته النوائب بأنيابها، وفرقت حوادث الموت بين نفسه واحبابها، تأسية لمن سبق الى هذا المصرع، ونهل من هذا المشرع[2] ». كما يقول النويري.

هذا هو الرثاء اذن، متعدد الجوانب كما رأينا، مساحته فسيحة رحبة، ويجد القلب الكليم، عبر نافذته - مُتَنفسا. وهو متباين الاسلوب مختلف الاطراف والشعوب فمنه المفجع النائح الذي يصمي القلب، او المسلّي الذي يعزّي النفس بلطيف المقال، ويصرفها عن موارد الهلاك[3].

اذا كان هذا هو الرثاء فما كان دور شاعرنا معه؟؟

---

(١) العمدة لابن رشيق ج٢ ص١٤٧.

(٢) نهاية الارب للنويري ص١٦٤ من الباب الثاني من السفر الخامس.

(٣) نفسه ص١٦٥.

الرثاء عند السيد حيدر الحلي:

لا غرابة ان يجيد السيد حيدر الرثاء.

بل من البديهي ان يعزف على قيثارته الشجية ارق انغام الحزن وأشجى ألحان الألم. وكيف لا يكون ذلك، وفي مهاد الحزن والالم ترعرع، فثكل اباه ولما يتم عامه الثاني بعد..

فشب في دنيا الحزن الخالص، ترفّ من حوله غربان الشجن، وتحوم غيوم الأسى... الحكم التركي يفرض سلطته الاستبدادية، يكمّ الأفواه، يضيق الفضاء، يغتال الحرية، يصب سوط الظلم والنقمة، يمتص دماء الشعب، يفرض الضرائب الغاشمة، ويبث التفرقة والشقاق بين السكان، ويذّر بذور الفتنة بين الطوائف، يعيث من كل ناحية فسادا ويبث رعبا.

الى جانب جاثوم الاحتلال البغيض، انتشر الغزو المحموم، يحمل معه الاضطراب، يوزع الخراب، فضربت مدينة كربلاء، وهُدم ضريح الامام الحسين[1]، وهوجمت النجف، وكذلك الحلة،... النهب قامت قيامته على طريق زوار الامام الحسين والامام علي،ومحاولات« تتريك » العراق[2] على يد العصابات التركية بصنوف الارهاب والتنكيل..

كل هذه الحوادث تجرى، وكل هذه النكبات تترى: فترى العين، يستوعب القلب، تتملى الافكار، يهتز الكيان، وما في اليد حيلة، فالشعب ضعيف مستضعف، لا يكفيه ما هو فيه من ويلات ودواءٍ عنصرية، حتى راح ينقسم على نفسه، فتحمل السلاح فئة على فئة، وقبيل على قبيل، ومع هذا الموج المائج والحزن المنتشر، تعصف رياح الاوبئة الفتاكة، فتخترم المنية للشاعر اكثر من فلذة كبد، ويُرزأ باكثر من حميم، من جلة اودّائه واصفيائه، الى جانب كونه «ضعيف البنية، عليل الجسم[3]».

---

(١) يلاحظ الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ٤٠ - ٧٩ حيث يذكر جلّ هذه الحوادث.

(٢) نفسه ص٩٦.

(٣) تاريخ الحلة الجزء ٢ص١٤٣.

هل ثمة من غرابة ان يستجيب ـ بعد ـ لدواعي الحزن، وينصاح لبواعث الأسى، فيجيد الرثاء، هذا الذى انصهر في بوتقة الاشجان وعايش تجارب الالم.

اسباب انهياره على الرثاء:

لهذا الذى قدّمنا، كان من الطبيعي ان ينهمر الشاعر على الرثاء، ويتوفر على تعاطيه، مدفوعا بوفائه الشديد، الذي يترجمه جودة رثائه، اذ ان الرثاء يعمل على الوفاء كما ينقل ابن قتيبة(١).

ومن الوفاء للصحاب، والاخلاص للأصفياء، ان نرثيهم، نترجم ابعاد الحزن الذي خلّفه في النفس مّض فراقهم، الى جانب هذا الوفاء المخلص، كان للنكبات التي ألمّت على جميع الاصعدة دور في انهيار الشاعر على الرثاء. فان مهاجمة المدن المقدسة، وهدم الاضرحة الشريفة فيها، كان نوعا من تجديد حوادث الطف، وايقاظ صورتها في النفوس.

وهناك ظاهرة كان لها دور في توفر كل شاعر على الرثاء في عصر شاعرنا، تلكم هي حفلات التأبين التي كانت تقام لكل ذي جاه مرموق اجتماعيا او ادبيا او سياسيا.

فهل يمكن ان يغيب عن هذه المطلات شاعر بمستوى السيد حيدر.

وهكذا تعاضد حزن من الداخل وحزن من الخارج على احتواء الشاعر، وتوجيهه نحو الرثاء، الى جانب سيادة الروح الانهزامية التي دبّت في صفوف الشعب. اذ افتقد الداعية القوي الذى يؤلف حوله الجماهير، ويتبنى مطالبهم، ويقودهم لانتزاع حقوقهم. الى ما في الرثاء من مجال لتطامن العاطفة، وكونه متنفسا للمعاناة. هذه العوامل تآلفت جميعها لدى الشاعر، فجعلته يجد في الرثاء نوعا من الخلاص سواء في ذلك الرثاء العام او رثاء الامام الحسين.

لهذا كله كانت المراثي اجود اشعار السيد الحلي، والمراثي كما ينقل العقد الفريد اشرف اشعار العرب، لانهم يقولونها وقلوبهم تحترق(٢)، وكأن اعينهم كانت على السيد حيدر حينما عمدوا لإصدار هذا الحكم في الرثاء.

---

(١) الشعر والشعراء ج١ ص٢٣.

(٢) العقد الفريد الجزء الثاني لابن عبد ربه ص ٢.

أقسام الرثاء عند السيد حيدر الحلي:

لو تصفحنا مراثيه عبر ديوان شعره، في محاولة للوقوف على اقسام هذا الرثاء لامكننا ان نرد ابرز هذه الاقسام الى اربعة مناح. اولها رثاؤه لنفسه، انطلاقا من ماساته الخاصة، وصدق معاناته وحرارة تجاربه، ثانيها رثاء اهل البيت بصورة عامة، والامام الحسين بصورة خاصة، حيث كان هذا الرثاء مسرحا لعرض ايديولوجيته على جناح الشعر، اما القسم الثالث فهو رثاء الاحباب والاصدقاء الودودين، الذين احتلوا من قلب الشاعر المكان الاسمى.

ورابعهم الرثاء التقليدي، وهو رثاء الرجالات المرموقين ممن كان لهم دور مجتمعي بناء، فرثاهم والحياة من حولهم تمور.

رثاؤه لنفسه:

كيف تتصور حياة شاعر ترفّع عن التكسب والتزلف، وتسامى عن اراقة ماء الوجه مهما ألمّ به من نكبات، وحل به من صروف، شاعر يتمتع بسمو النفس واباء الضيم[1]، في زمن كالذى عاش فيه، كيف تتصور حياته الا قاسية عجفاء، مدعاة للرثاء، احساسا بالمصير الاسود، والخطر المدلهم، فلا جرم ان تنفرج شفتاه عن هذا النداء الراعف بالأسى، الخضل بالألم:

ومـا احـد الا ويقـبر ميتـا	وهـا أنـذا حيّ قـبرت بمنزلي[2]
عـلى ان هـذا الدهر طبّـق سيفه	الجوارح منّي، مفصـلا بعـد مفصـل
وحملـني اعبـاءه فكانـني	عـلى كاهـلي منهـا انوء بأجبـل

اما نرقّ لهذا الشاعر الذى راح يرثي نفسه وقد قبر حيا بمنزله، وكيف لا يرثي نفسه والهموم تتراكم عليه من كل ناح صوب، حتى بهظت كاهله بجُبال اعبائها التي تهدّ الانسان مهما كان شديد القوى، صلب العزيمة، ولكنه رغم ذلك ما استسلم للياس ولا نفض يديه من الوجود. وكيف يستسلم من يصدر عن ايديولوجية بناءة، تغلغلت في اعماق كيانه، وكيف لا يلوذ بمن هم الوسيلة الى البارى على حد تعبير السيدة الزهراء، كيف لا يستغيث بمن هم ابواب الرجاء مشرعة للقاصدين، وحياض الهدى

(١) شعراء الحلة او البابليات لعلي الخاقاني الجزء الثاني ص ٣٤٢.

(٢) الديوان ج١ ص٤٧.

نجعة للواردين، فلذلك وان طبّق سيف الدهر جوارحه مفصلا بعد مفصل ... ظهر المجن فهو سيقرع باب الامام الحسين «ع» مزورّا عن الدهر، الذى سد في وجهه ابواب الرجاء ملتفتا الى امامه، الذى يشرع ابوابه ابدا لكل قاصد:

ومذ سد ابواب الرجاء دون مقصدى	قرعت بعتبي منك باب التفضل[1]
أأصدر ظمآنا وقد جئت موردا	رجائي من جدواك اعذب منهل
وتسلمني للدهر بعد تيقني	بانك مها راعني الدهر معقلي
فهب سوء فعلي من صلاتك مانعي	فحسن رجائي نحو جودك موصلي[2]

وهكذا نراه في رثائه لنفسه ـ وهو المؤمن الملتزم ـ لا ينصاع لدواعي اليأس ولا يرتمي في احضان القنوط، وانما يتوسل الى ربه مستشفعا بائمته الاطهار، وهذا دليل على صدق التزامه، و معايشته الايديولوجية التي يصدر عنها فلا يجافيها حتى وهو يتحدث عن نفسه مباشرة.

هذه الابيات تذكرنا بفقرة من فقر دعاء الصباح لامير المؤمنين علي عليه السلام، وهذادليل آخر يشير الى تمثل الشاعر لايديولوجيته ومعايشته لها على كل صعيد، لا ادل على ذلك من تسرب دعاء الامير الى حنايا شعره.

وبديهي تأثره بدعاء الامير وتوفره على مطالعته، لما عرف عنه من تهجد وتعبد[3] وطول مناجاة، ما دام قد عرفه عن كثب فلا جرم ان يستوحي فِقرة من فقره التي يقول فيها الامير:

«الهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي، وهربت اليك لاجيا من فرط اهوآئي»

والبيتان الثاني والثالث ـ وهذادليل تاثره بدعاء الامير ـ يمتحان من فقرة ثانية من دعاء الصباح وهي التي يقول فيها الامام علي عليه السلام «الهي كيف تطرد مسكينا التجأ اليك من الذنوب هاربا، ام كيف ترد ظمآناً ورد الى حياضك شاربا، كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول...»

واما بيته الاخير: « فهب سوء فعلي من صلاتك مانعي » فينبه في وعينا قولة الامام زين العابدين في احد ادعيته: « فانا لعفوك ارجى مني لعملي ».

---

(1) فاعل سد هو الدهر.

(2) الديوان ج1 ص48.

(3) ... ات اعلام الشيعة لاغابزرك القسم الثاني من الجزء الاول ص687.

* هكذا وجدت منونة بخط امير المؤمنين ع، في الصحيفة العلوية وقد استعملها السيد حيدر كذلك في ديوانه ج1ص48

** يلاحظ الصحيفة السجادية تحقيق السيد محسن الامين ص274 في دعاء الامام زين العابدين بعد صلاة العصر يوم الجمعة.

وهذا أليس دليلا على مدى معانقة الشاعر لايديولوجيته، وعلى مدى علوقها بنفس الشاعر، حتى راينا استئناسه بالأساليب والتعابير وحتى الالفاظ التى يرددها الائمة الاطهار عليهم السلام.

وقريب من هذا المؤدى، والذى يمكن ان يسلك في عقد رثائه لنفسه وان بطريقة غير مباشرة، ابياته التي يتوسل فيها بالامام الحسين واولاده بين يدي الله لكي لا يتردى الى مهوى الذل وسوء ال من يسوى ومن لا يسوى[1].

ومما يمكن ان يعد في باب رثائه لنفسه، رثاؤه لمجتمعه، فهو رثاء للنفس من خلال المجتمع، اليس هو خلية فاعلة من خلايا المجتمع. فاذا غمر البلاء، وطفح موج الخطر، والشدائد توالت والرحاب ضاقت، واستغرق رجس الضلال مطارح الارض، كيف يمكن للشاعر - انئذ - ان يكون بمناى عن المجتمع.

لذلك كانت قصيدته اثر عزم الوالي عمر باشا[2] على تطبيق نظام التجنيد الاجبارى في العراق سنة ١٢٧٤م. تعبيرا عن هذا الرثاء. لقد قامت حوادث رهيبة مهيبة، قابلها الوالي بعنف وظلم مبالغين في القسوة. لقد اراد ان يستخدم ابناء الشعب ضد قضاياهم. وضد مصيرهم المشترك فرفضوا ذلك. وكانت نقمة الوالي عاتية عتو العقلية التركية التي تحكمت بمصائر البلاد العربية، غشيمة ظالمة كممارساتهم الظالمة الغشيمة فما كان يعينهم، ان يلذوا والناس من حولهم بالمون، ولا يستثيرهم ان يكرعوا كؤوس مسراتهم ومزاجها دموع الشعب ودماؤه بل ان «ساديّتهم» كانت تجد الراحة كل الراحة في ان تنعم في بلهنية العيش، والناس من حولهم يتجرعون الشقاء والحرمان كؤوسا حنظلية.... ولنستمع الشاعر يصور لنا تلك الحالة التاعسة البائسة، وتلك الغمرة الغريبة العجيبة.

يـــا غمرة من لنـــا بمعبرهـــا	موارد الموت دون مصادرهـــا[3]
يطفـــح موج البلاء الخطـــير بهـــا	فيغرق العقـــل في تصورهَـــا
وشدة عندهـــا انتهـــت عظما	شدائـــد الدهر عـــلى تكثرهـــا

(١) تلاحظ هذه الابيات في الديوان ج١ ص٤٨.

(٢) يلاحظ هامش الديوان ج٢ ص٢٧ والشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ص ١٩٤ - ١٩٧.

(٣) الديوان ج٢ ص٧.

فهذه الخطوب التي نابت وعايشها السيد حيدر الحلي بحرارة وجدانه، اندمج في معاناتها مع الشعب فراح يعبر عنها كقضية خاصة عامة في وقت معا.

فيا لهذه الشدة التي هانت عندها شدائد الدهر الكثيرة التي كانت تلم بالشاعر وبمجتمعه هذه الشدة التي:

ضاقت ولم يأتها مفرّجها فجاشت النفس في تحيرها[1]
الان رجس الضلالة استغرق الارض فضجت الى مطهرها
وملة الله غُيِّرت فغدت تصرخ لله من مغيّرها

هكذا غمر البلاء الشاعر والمجتمع، واستغرق رجس الضلال اقطار الارض، وغُيِّرت شريعة الله، فراحت تضج وتستغيث من هؤلاء الذين غيّروا وبدّلوا. وهو كعادته آن تضيق في وجهه الرحاب، وتتوالى الخطوب، يلتفت الى ايديولوجيته مستلها من تعاليمها مستهديا بمنارتها، التي ترسل الاضواء نحو المنقذ المخلص نحو صاحب الامر فراح يناجيه:

لم صاحب الامر عن رعيته أغضى، فغصت بجور اكفرها[2]
ما عذره نصب عينه اخذت شيعته وهو بين اظهرها

وهو هنا اذ راح يعرض علينا حال الشعب ومآل الشيعة راثيا لحالهم، وهنا يتبدى مدى التمازج بين رثائه لنفسه ولمجتمعه، وفي كلتا الحالتين يستصرخ صاحب الامر ليواسي النكبات ويقوّم الأمت الذى صار عليه المجتمع فلقد طغت الفحشاء واستفحل المنكر، وعطلت الحدود والهدى مات، لذلك صاح من عمق اساه مستغيثا بالمهدى :

يا غيرة الله لا قرار على ركوب فحشائها ومنكرها
سيفك والضرب ان شيعتكم قد بلغ السيف حزّ منحرها
مات الهدى سيدى فقم وأمت شمس ضحاها بليل عثيرها[3]

من الملاحظ في هذا الرثاء الاجتماعي اذا صح التعبير. انه يسجل كل النكبات والويلات التي تلم به وبالجماعة التي هو احدها خصوصا الشيعة لما سامهم الظالمون المستبدون من انواع الخسف ومنعوهم النصف. وصبوا عليهم اسواط النقمة. فطالما تعرض الشعب باسره لاصناف ممارسات الحكام الاتراك التعسفية وناء تحت تسافل اخلاق

(١ و ٢) الديوان ج٢ ص٧.

(٣) الديوان ج٢ ص٧.

موظفيهم. الى الحد الذى جعل الشاعر- عبر تصويره لتلك الحالة البائسة والشقاء المحيق بالشعب ان يرى بان الموت اشهى من هذه الحياة. فقد اندثر الايمان ومعالم الهدى اندرست. فاصبح تمني الموت مع ما كان عليه الشعب من الضعف والاستعباد خير ما يرثى به هذه الحياة:

ماتــت شعـــار الايمـــان واندفنـــت ما بـــين خمر العـــدى وميسرها[1]
أبعَـــــد بهاخطــــة تراد بهـــا لا قرّب اللــــه دار موءثرهــــا
الموت خـــير من الحيـــاة بهـــا لو تملـــك النفس من تخيرهــــا

هذا النوع من الرثاء للمجتمع يبين لنا عمق ايمان الشاعر؛ فرغم أنّ الموت اضحى في خضم هذه الصروف، اشهى من الحياة الا انه بدافع من ايمانه والتزامه يرفض الانتحار اليائس والاستسلام القانط....ولنقف على الحالة التي كان عليها الشعب من بؤس وشقاء اشد ما يكون من البؤس، واعنف ما يكون من الشقاء، لنستمع اليه يرثي لتلك الحالة، يبكيها بكلمات مدادها من دم القلب، ومن توتر الاعصاب،ذلك ما يتبين عبر تصويره لتلك المأساة الرهيبة التي كان يتدهدى فيها أبناء الشعب:

فرب حرّا حشى لواحدهــــــا شكــت الى اللــه في تضورهــا[2]
توشك انفاسهـــا وقـــد صعـــدت ان تحرق القوم في تسعرهــــــا

ودائما نلاحظ ان رثاءه هذا للمجتمع، يتمازج تمازجا وثيقا مع رثائه لنفسه ودائما نراه رغم هول ورهبة ما يحل به من صروف، يجد متنفسه وتفريج كربه عند الائمة المنتجبين لذلك فهو لن يتسكع على العتبات مهما بلغ به ضيق العيش ومهما انتابه من جسام الحوادث، وانما يلوذ بامير المؤمنين علي بن ابي طالب مستصرخاً:

أمـــير المؤمنـــين أغـــث صريخـــا ألم بجنـــب قـــبرك مستغيثـــا[3]
اتـــاك يحـــث ناجيـــة المطايـــا وصرف الدهر يطلبـــه حثيثـــا

ونحن لو حاولنا ان نقف على هذا الرثاء للنفس عبر تصفحنا لألفاظ البيت الاول لهزنا ما هو عليه من بؤس وشقاء جديرين بالرثاء.

---

(١) نفسه ص٨.
(٢) الديوان ج٢ ص٨.
(٣) نفسه ج١ ص٣٤.

يكفي ان نلتقي في بيت واحد هذه الالفاظ : اغث صريخا، بجنب قبرك، مستغيثا لنعلم اية مهاوى بؤس تدهده اليها . ولكن وهو المؤمن الملتزم، يرى انه اذا استغاث امير المؤمنين فانما يحث المطايا الناجية التي لا تعثر به عبر رحلة البؤس والشقاء التي كان معها دائما على ميعاد.

وهو عبر رثائه لنفسه وتصويره لشقائه. كان يستغيث بمختلف الائمة ولا يقف عند استغاثة واحد بعينه منهم. ومن الائمة الذين استغاثهم عبر رثائه لنفسه، توجهه الى باب المراد الى الله الامام محمد الجواد لائذا به وبجده الامام الكاظم، يقدما بين يدى نجواه للباري:

فرجائي كيف يغدو خائبا عند بابين لجبار السما[1]

اما في غمرة الرثاء الجماعي، حين يصور النكبات العامة فهو يتجه نحو صاحب الامر تبعا لما وقر في نفسه من خلال مبادى ايديولوجيته، من انه سيخرج آخر الزمان فيطهر الارض من رجس الطغاة ويرحضها من اوضار المتعسفين . لهذا راح يناجيه. وقد نزل بهم اشد النوازل، مما لا يفرجه سوى لطف الامام[2] بمستغيثه واجابته لمناجيه:

وهنا يعوذ مما حل به وبمجتمعه من صنوف الحرمان والشقاء، لا بصاحب الامر وحده وانما بالغر الميامين من اسلافه: النبي والائمة الطاهرين:

أيروعنا ريب المنون وقد عذنا بجاه الغرّ من سلفك[3]

وهكذا لا يطالعنا الشاعر كما لاحظنا في هذا القسم من رثائه سواء الشخصي منه او الجماعي، لا يطالعنا سوداوي المزاج، مستسلما، منهارا على اعتاب القنوط، مرتميا في احضان اليأس فاتحا كوى ذهنه على مآسي الكون، وانما نراه آن تنفتح النوافذ المطلة على الاسى على الحرمان، على تجارب الالم، على المصير الراعب، على غثاء الوجود، آنئذ تشرق شمس ايمانه فتبعثر ما تراكم من غ سى، فيروح يستغيث بآل الرسول الاخيار لائذا بالائمة الاطهار من خلال نظر ثلة، يفوح منها عبير الرجاء المطمئن للنهاية، متطلعة الى الواحة الوارفة الخضراء التي سيفيء الى ظلالها كل من هدّه بعد السرى وأضناه طول الانتظار، فيلوذ اليها وقد قاده الايمان الثابت والطمأنينة التامة

---

(١) نفسه ص٣١.

(٢) الديوان جزء واحد صفحة ٤٧.

(٣) الديوان جزء واحد صفحة ٤٧.

كمن يسحب غطاءه ليستسلم الى حلم عذب جميل. وهناك ظاهرة جديرة بالتنويه من ظواهر ايديولوجية هذا الشاعر تطالعنا عبر رثائه لنفسه. تلكم هي نظرته المتفائلة المؤمنة الى الحياة. الحياة عنده ـ كما تراءت لنا عبر رثائه لها ـ مرحلة انتقال وجسر عبور الى حياة ما بعد الموت. وقيمتها انها مرحلة انتظار لترقب بزوغ فجر الحق والعدالة على يد صاحب الامر. لذلك رغم ما نابه من مآسيها فهي عنده لا تبث التشاؤم ـ ولا توزع اليأس بين يدي المأساة. وانما دائما تلوح له عبرها بوارق الامل واشعاعات التفاؤل. مهما تنقبت الدنيا بغاشية الارزاء.

رثاء اهل البيت:

هذا القسم من الرثاء هو قمة رثائه. لقد استطاع الشاعر ـ في هذا المجال ـ ان يبزّ سابقيه، بما أدخل على هذا الفن من روعة ابتكار، وبراعة اسلوب، «فهو أمير فن الرثاء بلا منازع[1]:

لقد اطاعته القوافي واستجاب له القريض، مسلسا القياد، حتى غدا «امام شعراء العراق بل سيد الشعراء في الندب والمراثي على الاطلاق»[2].

لا غرو ان تكون مراثيه في اهل البيت على هذا المستوى، وبهذه الصيغة، فهو انما يصدر عن وفاء مطلق. وهو يرى بهم محتذى البشرية في كل جيل، ومثال الانسانية في كل عصر، حلّ بهم من النكبات ـ في سبيل القضايا الانسانية ـ ما لم يحلّ باحد سواهم حتى غدت رزاياهم مصداق قول احد شعرائهم:

أنست رزيتكم رزايانا التي ... سلفت وهوّنت الرزايا الاتية

لقد بلغ الشاعر من التاثر بكارثة الطف، وما جرى على اهل البيت النبوي فيها، مدى بعيدا. فلم تكن بالنسبة اليه حادثة تاريخية مرّت وانتهت، وانما كانت دائما نصب عينيه، يعايشها عن كثب ولذلك «ما أهلّ شهر محرم الحرام الا وهاجت اشجانه، واطبقت عليه الهموم، وتمثل واقعة الطف وما جرى فيها على الهاشميين والهاشميات، واخذ يصوغ ذلك بلهجة الاروع الموتور، حتى بلغ حد الاعجاز في هذه المراثي، لانها كانت تصدر عن قلب محزون وفؤاد مكلوم[3].

---

(١) طبقات اعلام الشيعة، القسم الثاني من الجزء الاول ص٦٨٧.

(٢) نفسه، نفس الصفحة وينقل القول عن العلامة النورى في كتابه جنه المأوى.

(٣) نفسه ص٦٨٧.

و لا مشاحة ان تاتي مراثيه هكذا لانها صادرة عن احساس صادق، وشعور ملتاع «وليست النائحة الثكلى كمثل النائحة المستأجرة»[1].

يبدو ان الشاعر ـ في هذا القسم من الرثاء ـ استطاع ان ينجح اكثر من غيره في ربط الايديولوجية بالشعر . وشعره هذا قادر على البقاء لانه شعر صادق، وهو قادر على الانبعاث بين وقت وآخر لان هذه القدرة انما تقوم «كلما كانت القضية التي يقوم الشاعر بتوصيلها الى وجداننا ما تزال تنفث ضرامها في النفوس»[2]

و لا احسب ان قضية يمكن ان تحتفظ بحيويتها وتأثيرها في النفوس كقضية الامام الحسين. لانها قضية الصراع بين الخير والشر، بين النور والظلمة، بين الحرية والاستبداد، بين العدالة والمحسوبية، و لا احسب ان احدا استطاع ان يدافع عن هذه القضية ويقدم على مذبحها القرابين، بالشكل الذى اتاه الامام الحسين.

تصور انسانا يضحي بالنفس، بالاهل، بالاولاد، بالصحب على قلتهم، من اجل ان تمتد مساحات الضوء، ضوء العدالة ولتطمس ظلام الجور، من اجل ان يخفق نواء الحرية والكرامة الانسانية، التي من اجلها اصطُفي النبي محمد في كل مكان.

لهذا راينا الشاعر هنا ينطلق من عمق المأساة الدرامتيكية يسجلها عبر قصائده بكل الامها واحزانها.

الم يستيقظ على مآسي تعيد للذاكرة فوادح الطف[3]، الم يفتح عينيه على كوى الاسى نفسه الذى يرعش الكيان، ويذكر بوقفة الحسين الفذة اليتيمة في التاريخ البشرى، متحديا استبداد الطاغوت الاموى وجبروته، الذى ما احجم عن محاولة وأد الرسالة المحمدية حتى جعل الحسين من نفسه القنبلة الهائلة التي تفجرت، لتهدم مداميك الملك العضوض. الذى طالما امعن في امتصاص دم الشعب، وخنق الحرية، بابشع الاساليب الميكيافيلية الرعناء. فوهب الحسين نفسه للسيوف ذيادا عن حياض الرسالة المحمدية، ومنافحة عن دين الحق، وشعاره في اقدامه الجسور:

ان كـــان دين محمـــد لم يستقم الا بقتــلي يــا سيوف خذيــني

---

(١) يلاحظ هذا القول في العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الثاني ص٢، اذ سأل عمر بن ذر اباه ما بال الناس اذ وعظتهم بكوا واذا وعظهم غيرك لم يبكوا فأجابه بهذا القول.

(٢) شعرنا الحديث الى اين ص٢٠٢، لغالي شكرى.

(٣) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر ص١٢٥ لابراهيم الوائلي.

لقد تمثلت في نفس الشاعر كل مآسي هذا البيت العريق، فكل رجالاته قضوا شهداء الحفيظة عن دعوة الحق. وما استسلموا ولا ارتكنوا للغاصبين. حتى السيدة الزهراء وهي بضعة الرسول قضت مظلومة مقهورة. وكلهم مضوا على درب الشهادة على هدى امير المؤمنين علي، في سبيل احقاق الحق وانصاف المظلوم «واخذ الظالم بخزامته حتى يرد مورد الحق وان كان له كارها».

هذه هي سجيتهم كابرا عن كابر، حتى ان آخرهم المهدى وهو المعد لمحو الضلال واقامة دولة الحق، حُجب عن العيون، وارصد ليوم النصر المبين، يوم يصدع بامر ربه يشيد اركان دولة الحق، فتثمر شجرة العدالة من جديد على يديه، بعدما عراها الذواء، وأسرع اليها الذبول.

هذا الابتلاء الرهيب الذي تحمله اهل البيت بصبر واحتساب انما هو زكاة الاخلاص للمبدأ، زكاة الحفاظ على الشريعة السمحاء فسقوا شجرتها بزاكي دمائهم لتظل غصونها ممرعة ريّا.

لم يكن الشاعر - في هذا القسم من الرثاء - مجرد راثٍ وحسب، بل لقد اخذ الرثاء على يديه شكلا آخر، فلم يعد نوّاحا وبكاء، ولا تفجعا وتعزية، ولكنه ادخل عليه «ابتكارا وبراعة اسلوب»[1].

لقد استعلى هذا الفن الشعرى - بين يديه - عن ان يكون كما قيل عنه في القديم «اصغر الشعر لانه يعمل لا رغبة ولا رهبة»[2].

وهو لم يعد - معه - رديف المديح، وليس بينهما كما يقول ابن رشيق «الا ان يخلط بالرثاء شى يدل على ان المقصود به ميت»[3].

لقد غدا الشعر الرثائي - عبر تناول السيد حيدر له - قضية شعرية، ظاهرة رسالية. فربأ به ان يظل نواحا ونشيجا وحسب، اذ اعطاه نسغا جديدا، آن اغتدى - ضمن الاطار الشعرى - تعبيرا عن قضية من اهم قضايا الايديولوجية الشيعية، تلكم هي قضية الامامة وبخاصة المهدوية.

فطالما أنبه في وعينا، انالامامةمنصب الهي كالنبوة، وذلك بمنأى عن التقريرية والمباشرة، لقد ايقظ في النفوس هذا المعنى، دون ان يقصد الى ذلك، وانما تسرب

---

(١) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول ص٦٨٧ وشعراء الحلة للخاقاني الجزء الثاني ص٣٣٩.

(٢ و ٣) العمدة لابن رشيق ج٢ ص١٤٧.

هذا المبدأ خلال مناجاة الشاعر لصاحب الامر، عبر تموجات مشاعره المستثارة. لقد كان في دائرة تجربة شعرية، في حالة نفسية معينة،في غيبوبة لا شعورية، اذ راح يناجيه مصطرخا:

يـــا ابن الامـــام العسكرى ومن رب السماء لدينـــه انتجبـــه[1]

وهكذا راح من خلال الايمان الواقر في اعماقه، وبدون ان يكون ذلك غاية في ذاته - يلقي في رُوعنا ان الامام منتجب من رب السماء، وان نصبه واجب على الله تعالى لقاعدة اللطف الالهى[2]، فان الله تعالى يختار من يشاء للامامة كما يختار من يشاء للنبوة.

وهو عبر تبنيه لقضية الامامة، يطالعنا عبر شعره بمواصفات الامام من حيث العصمة، وان الامام ينبغي ان ينفرد بخصال لم تجتمع في سواه، من ذلك ان يكون الامام اعلم أهل زمانه، وافضلهم واشدهم تقوى وورعا، لان الغاية من الامامة تكميل البشر، وتزكية النفوس، وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح، وتقويمها بالارشاد[3]، وهذا المعنى تسرب خلال شعر السيد حيدر مناجيا الامام الثاني عشر:

يـــا قائما بالحـــق حـــلّ بنـــا مـــا لا يفرجـــه سوى لطفـــك[4]
بـــك عنـــه لذنـــا، حيـث لا شرف عنـــد الالـــه اجـــل من شرفـــك

ارايت كيف استطاع ان يعبر عن بعض ابعاد ماهية الامامة، ضمن اطار التعبير الشعرى. فغرس في نفوسنا - عن غير ما قصد - مقولة الشيعة الاثني عشرية في الامامة.

لو قمنا بتصفح حسينيات الشاعر، في محاولة استقرائية، لتجلى لنا، ما ادخله الشاعر على فن الرثاء من ابتكار اسلوب وجدّة صنعة. اذ استطاع ان يصوغ شعره - هنا - صوغا ايديولوجيا فذا، ظلّ - معه - في نطاق الشعر الموحي، دون ان يتدهدى الى برودة التقريرية، وجمود المباشرة، لانه معانقة للتجربة الشعرية بحرارة وصدق. لقد عايش المصائب الدواهي التي حلّت بحملة لواء الايديولوجية الشيعية، واكتوى بنار تجربتها عبر تمثله التاريخي لها، وعبر معايشته لانموذج حي لها في زمانه[5]، انها:

---

(١) الديوان ج١ ص٣١.

(٢) شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ص٢٠٢.

(٣) اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص٩٨.

(٤) الديوان ج١ ص٤٧.

(٥) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص١٢٥، وتاريخ الحلة ليوسف كركوش في اماكن متفرقة من الكتاب.

مصائـــب يفطرن قلـــب الجليـــد   وينضحن دمعـــــا حشا الصابر[1]

لو حاولنا الوقوف على اهم محطات الارسال الشعرى من قصائده هذه، وحاولنا ان نتعرف على اهم مخازن الوقود التي كانت تستمد منها تجربته الشعرية، نكاد ان نجدها متوزّعة عبر خمسة محاور متكاملة، سنحاول ان نعرض لها حسب اهميتها ومركزيتها في شعره وابرز هذه المحاور هي:

الامام الحسين، المهدى المنتظر، ملابسات الدعوة الاسلامية والخلافة بعد النبي الهاشميون واخيرا الأمويون.

اذا كانت قصائد الشاعر تراوح بين هذه المحاور الخمسة فهل يعني انها كانت قصيدة واحدة، الجواب نعم ولا في آن معا. نعم لان قصائده واحدة من حيث الجوهر الايديولوجي الذي يسكن في اعماقه الشاعرة، ولا لأنّ هذا الجوهر تتنوع اغراضه، وتتعدد الزوايا التي تشف عنه، ومن ثم فان كل قصيدة للسيد حيدر الحلي تطالعنا بشيء جديد ينضاف لهذا الجوهر، الذى يغتنى بتلك الابعاد التي تنطوى عليها التجربة وتمدها بالنسغ المحيَي.

..آن نقرَا قصيدة من قصائده، نحس ان تيارا شعوريا دافقا بالصور الجانبية ينتظم صلاة الاحتجاج التي يقيمها الشاعر مسكونا بالامل في النجاة من وهدة البؤس والشقاء، التي دُهده اليها الشعب، وبالاقتصاص من هؤلاء الساربين على خطى قتلة الحسين، وائدي الحرية وممتصي دماء الشعب بسعرٍ ونهم...

الامام الحسين في رثاء السيد حيدر:

ظاهرتان متداخلتان متناقضتان تطالعنا ونحن نتوفر على قراءة شعر السيد حيدر الحلي في الامام الحسين عليه السلام. هاتان الظاهرتان هما: ظاهرة الحزن والالم إثر تصوير المصرع الرهيب الذى لاقاه هذا الامام العظيم، والاساليب الرعناء السائمة التي مورست في غضون ذلك، والظاهرة الثانية ظاهرة تصوير البطولة الرائعة والصمود المعجز اللذين كانا من الحسين واصحابه، تجاه ابشع ممثلي القوى الاجرامية الاستبدادية في العالم ... لقد جسدوا في صمودهم ذاك - صمود الحق امام الباطل مهما بلغ الباطل من عتو وطغيان، وصمود النور امام الظلمة مهما كانت داجية صفيقة السجف، وصمود العدل امام الجور مهما تمادى في عنفوانه، واستعلاء الحرية على الاستبداد مهما بلغ من جاثومة الخانق الذي يرين به فوق الكواهل.

(١) الديوان ج ١ ص٧٨.

ظاهرة الحزن والالم:

مؤمن ملتزم، شاعر ملهم، يرى امامه مثاله الاعلى، خليفة النبي وريحانته، يلاقي من صنوف المحن وصروف النكبات، ما يصدع قلب الجليد، ويفت حشا الصابر، ينزل به من المصائب ما لايُنشد الصبر في مثلها، فانموذجها ما دار في خاطر ولا عنّ لبال.

الشاعر الى جانب كل ذلك كان حفيد الحسين، أُنشيء، مذ فتح عينيه على الكون، على جب هذا الجد، وعلى قول الشعر فيه، فكيف وقد وقف على المآسي التي حلت بهذا الامام العظيم - كيف لا ينوحه نوح الثكالى، كيف لا يسفح عليه بدل الدمع دما، وهو يعرف ما اعد الله من اجر للباكي والمبكي على الحسين، ويعلم ما ذخر الخلاق العليم لمن انشد شعرا في الحسين[1]، بل - مع تجاوز كل ذلك - كيف لايبكيه وقد بلغ من تمثله لوقعة الطف ما جعله يحيا في لهوات خطوب تلك الواقعة الفاجعة.

كيف لا يبكي الحسين، والنبي - من قبل - بَكاه اذ هو طفل حين اخبره جبريل[2] بما ينزل به، حتى اذا أنبأ المسلمين بما ينوب على ابنه الحسين ضجوا بالبكاء، فكانت قولته الخالده لهم: «أتبكونه ولا تنصرونه »، كيف لا يبكيه والنبي حض على بكائه ونصرته[3].

انلومه اذ بكاه - بعد - شعرا يفيض الما ويمور شجى.

والان كيف عبر الشاعر عن اله تجاه هذا المصرع الفذّ في التاريخ، وكيف بكاه عبر قصائده، هل وقف يصطرخ انا حزين أَلِيم أَسيان؟ هل كانت هذه طريقته في عبور هذه النكبات والتعبير عنها ام كانت له طريقة اخرى؟؟

لقد كان للشاعر طريقته الخاصة في الولوج الى التعبير عن حزنه وأَلَمه، وكانت له مفاتيح خاصة في الولوج الى هذا الهيكل.

---

(١) يلاحظ كتاب الايقاد للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي في فضل البكاء على الحسين في ص ٣ - ٩ حيث يعرض للاحاديث التي تحثّ على البكاء على الامام الحسين«ع » مروية بأسانيدها عن النبي والائمة الاطهار.

(٢ و ٣) يلاحظ فضائل الخمسة في الصحاح الستة من ص ٢٧٠ - ٣٢٤ من الجزء الثالث.

كيف رثى السيد الحلي الامام الحسين:

لكَل فنان ذي موهبة جواء خاصة، يتسرب عبرها من الخارج، من الوعي، الى عالمه الباطني، الى اللاوعي. يهرب من اعطاء النتيجة وتقديم الخلاصة، ليغدّ بنا في رحَلة المعاناة، ليتغلغل في معايشة الاحداث. ينأى ـ عبر تعبيره عن ذلك ـ عن سطوح نفسه، عن ظاهرها، ليندمج في اغوارها البعيدة، معانقا ومكتشفا.

الجو، المناخ، نافذة الايحاء بها، مفتاح الهنيهات الشعرية، مدخل الى حرم النفس. انها الوضوءالسابغ للولوج الى محراب الصلاة. اشارة الى ان الدخول محظور الا على ابناء الهيكل، المريدين، لو سمح لنا المتصوفة باستعارة اللفظة.

ونحن سنأخذ قصيدته الاولى « شاعبة النوى » لنحاول ان نتعرف على كيفية دخول الشاعر الى حرم النفس، كيف ولج الى ابهاء القضية.

يبدأ الشاعر هذه القصيدة بارساله استفهاما مطلقا، استفهاما لا يحتاج الى جواب، لانه الجواب والسؤال في وقت معا.

لقد تغشته موجة الحزن، ولفّعته ملاءة الاسى، اذ تراءت امام ناظريه ورقاء شجية اتخذها رمز شجاه.

هذا الجو، هذا المدخل، ليس جديدا على الشعر العربي، بخاصة عند ابي فراس الحمداني، والمعتمد بن عبّاد.

لكن الشاعر ـ هنا ـ يتناول القضية باسلوبه الخاص، ومن منطلقاته هو، حتى يلج الى ابهاء الهيكل.

أليست هذه قمة من القمم التي يصبو اليها الفنان، ان يضعك في جوه، ان يجعلك تعايش معاناته، ويحرك في نفسك محرّك الشعور، اذ راح يناجي ونغمة الحزن والالم تضيع بين يدي الكلمات:

كم ذا تطارح في منى ورقاءها ... خفّض عليك فليس داؤك داءها
أتظنها وجدت لبين فانبرت ... جزعا تبثك شجوها وعناءها[1]
فحلبت قلبك من جفونك ادمعا ... وسمت كربعي الحيا جرعاءها
هيهات ما بنت الاراكة والجوى ... نضج الزفير حشاك لا أحشاءها

(١) الديوان ج١ ص٥٠.

وهكذا بعد ان جعلنا نستشرف اعماق هذا الجو شيئا فشيئا، وضعنا على عتبة المناخ، مع ورقاء منى. ولست ادرى لماذا اختارها من «منبى» ألأن «منى» شعيرة من شعائر الحج، او لان هناك بالقرب من منى سيكون ظهور القائم المهدى، ام لان من ذلك المحيط كان منطلق الدعوة الاسلامية؟؟

المهم انها محاولة لان يوقظ في نفوسنا تلك الذكريات الحارة العزيزة على قلب كل مسلم بل كل انسان، ليدفع بنا- فيما بعد - بالشحنة التعبيرية ، بالكهربة الموقظة، حتى يفتح امام ناظرينا هذه الكوة ، التي نطل عبرها ، الى ان ابن بنت من علمنا تقديس « منى »، سيصبح جزر السيوف ، فيتألب عليه الناس غدرا ومكرا، دون ان يرعوا لجده فيه إلاّ ولا ذمة.

حتى اذا وضعنا امام باب الهيكل الملفّع بغلالة الحزن والالم ، ادار مفتاح الباب حين عقد مقارنة بين بواعث حزنه وبواعث حزن الورقاء: فألفها لم تصدعه شاعبة النوى، اذ ان الغمام لم يفطم كباءها. والغيث روى اراكتها حتى تمايلت زهواً اما هو فوحيد حزنه، فريد الهه. يتراءى امام عينيه - مصرع جده الامام الحسين مجدّد بناية التوحيد، تصطرخ نساؤه مستغيثة، وامامها فتيانها الصيد وقد شربت من نحرهم الظبا الخذم على حد تعبيره. [٢].

وهكذا يلتفت بنا الى ماساته الخاصة، يشرفنا على مطل ابعادها، مهيبا بعذّاله اللائمين الذين يحاولون - ضلة - ان يروضوا اباء نفسه، وبعثها على السلوى من الحزن [١]، ولكن ويل الشجي من الخلي فليتهم يعانون ما عانى ، ليعرفوا وقتئذ انهم يحاولون ان يداووا بريقة افعوان لسيعا مشى السم في خلايا جسده [٢]. وهنا تكتمل حركة المفتاح.

ويستوقفنا على عتبة الهيكل اذ تحركت مصاريع الباب وانفرج امامناعبر قوله:

لكنما نفسي بمعترك الاسى اسرت فوادح كربلاء عزاءها [٣]

هنا نلج الهيكل آخذين سمتنا صوب المحراب، لنأتم بالشاعر في صلاة حزنه وقد علا أذانه:

---

(٢) نفسه ص١٠٥.

(١) نفسه ص ١٠٨ - ١٠٩ حيث يصور هذه الحالة.

(٢) يلاحظ نفسه ص٥٠.

يـــا تربـــة الطـــف المقدسة الـــتي هالوا عـــلى ابن محمـــد بوغاءهـــا [1]

بعد ان يضعنا الشاعر معه في مناخه، واذ أنشأت دماء تجربته تتدفق في شرايين مشاعرنا - وهذا المنطلق يسجل للشاعر بتنويه - يلتفت محييا تربة الطف التى وارت روح الانبياء مستسقيا لها سحابة تحمل ماءها من كوثر الفردوس:

واريـــت روح الانبيـــاء وانمـــا واريت من عين الرشاد ضياءها [2]

فهل على الشاعر ملامة بعد، اذا استسقى لثرى الطف سحابة منهلة من كوثر الفردوس. وقد طالعته صورة الامام الحسين ضحى العاشر من محرم، وقد قضى اهل بيته واصحابه ظماء. والوقت هجير والعطش اذبل الشفاه، حتى الصغار منعوا من الماء فراحوا يحلّئون آل الرسول عن ماء الفرات، لقد تحجرت في قلوبهم الغليظة كل معالم الانسانية حتى صاح احدهم بالامام الحسين ثمرة فؤاد الرسول كما كان يسميه صلى الله عليه وآله وسلم :« انظر الى ماء الفرات كأنه كبد السماء، والله لن تذوق منه قطرة حتـــى تموت عطشا » [3] . وسدد لعين آخر سهمه المحدّد المسموم الى نحر طفل الحسين الذى لم يكمل شهره السادس آن طلب له ابوه الحسين شربة من الماء فكان الرد هذا السهم الذى ذبحه من الاذن الى الاذن:

طفـــل عـــلى حجر الامـــام ملـــثم بنجيعـــــه القـــاني فيـــا للرائي
من وردة حمراء صوّحهـــــا الظما فـــــذوت تحن لقطرة من مـــــاء

فكيف اذن لا يستسقي الشاعر السحاب الذي هو اكثر رافة من هؤلاء العلوج الضارية، تموت امام اعينها الاطفال عطشا ولا تسقى الا بحد السيف ونصل النبل. ونصب عينيه الامهات جف درّها وصغارها كالحشف البالي. ومن اين تكون تلك السحابة الا من كوثر الفردوس، الذى اعطاه الله للنبي محمد[4] لقد اعطى الله ذلك النهر العذب السائغ للنبي وجعله في الجنة . وهو كما يقول النبي « ص » عنه « لا

(١ و ٢) الديوان ج١ ص٥١.

(٣) يلاحظ فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٣ نقلا عن الصواعق المحرقة ان هذا العلج الذي تجرأ ان يقول للامام الحسين مثل هذا القول، قد استجيب فيه دعاء الحسين بالموت عطشا، فلم يكن يروى مهما سقي من الماء.

(٤) يلاحظ سورة الكوثر.

يشرب منه احد فيظمأ، ولا يشربه انسان خفر ذمتي ولا قتل اهل بيتي »[1]. لا غرابة ان يكون الكوثر مستسقى الحسين واهل بيته وصحبه. هؤلاء الذين قضوا ظمأ دون شريعة رب السماء. وهذا الاستسقاء الكوثرى يُنبه في وعينا قولة الامام الحسين لولده علي الاكبر حين نزل الى الميدان فصال وجال حتى اذاعاد الى ابيه يشكو له الظمأ، يُساله شربة ماء يتقوّى بها على الاعداء، فكان جواب الوالد: امض الى نزال الاعداء وارجو ان لا تعود حتى يسقيك جدك بكأسه الاوفى شربة لا تظمأ بعدها ابدا ». وبعد اذا وقفنا على اعطاء الكوثر من الله للرسول، وجعله شرابا سائغا لا يظمأ وارده، محرما على اعداء عترة النبي، وبعد ان سمعنا قولة الحسين لإبنه ان يصبر حتى يمر على جده فيسقيه شربة لا يظمأ بعدها، هنا يطالعنا مدى تمثل الشاعر لخصوصيات الايديلوجية الشيعية، وتغلغله الى اعمق اعماقها، عبر استيحاء تلك الخصوصيات واتخاذها رافدا شعريا خصبا.

وهكذا نلج الهيكل ويقفنا الشاعر على ابعاد المأساة الانسانية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا، مخاطبا ثرى الطف الذى ضرّج بدم الامام الحسين وهو ينافح عن رسالة الحق، رسالة انبياء الله جميعا من لدن ادم حتى خاتمهم، متمثلا ما حل به من رزايا فادحة حمل الائمة الاطهار كربها وبلاءها وهم اذ دفنوا الامام الحسين في تلك التربة انما:

دفنوا النبوة وحيهـــا وكتابهـــا بــك والامامــة حكمهـا وقضائهـا

..ما دامت رزية بالنبوة وبالامامة معا، فان المصاب لفادح والرزء لجلل، لهذا الذى نزل بالدين فاذن يا مصيبة كربلاء، يا ذكرى الكرب والبلاء كما قال الحسين من قبل، واحتذاه الشريف الرضي[2]، اذن:

لا ابيـضّ يوم بعـد يومـك، انـه ثكلـت سماء الـدين فيه ذكاءها[3]

واذ ثكلت سماء الدين شمسها المنيرة، واظلم الكون، فلتتغش الدنيا بغاشية الحزن، لهذا ليوم الانكد المشؤوم يطل على الدنيا بروعة واسى، ولتقطب الدنيا وقد

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٣١٢.

(٢) اشارة الى قصيدته المنواحة المشهورة»

كربـــلا لا زلـــت كربـــا وبـــلا مـــا لقي عنـــدك آل المصطفـــى

تلاحظ هذه القصيدة في ديوان الشريف الرضي الجزء الاول المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٣٠٩ باشراف محمد سليم اللبابيدي ص ٣٣ - ٣٦

(٣) الديوان: ج١ ص ٥١

طرقتها سالبة البهاء، اذ كيف تسفر عن وجه البشر من سلبت الخطوب بهاءها ورونقها، وحائمة الرجاء، رسالة النبي محمد، كيف لا تغدو طريدة، كيف يمكن ان تجد سجلا ينقع برد احشائها:

وحشا ابن فاطمة بعرصة كربلا   بردت غليلا وهو كان رواءها[1]

اذن ما دامت الرزية بالحسين هي رزية رسالة سيد الخلق، وما دام به قد ثكلت سماء الدين ذكاءها، اذ فطرت عطشا حشا وديعة الرحمن، سبط الرسول وهو يذب عن حمى الرسالة السماوية، رسالة الحرية والمواساة والاخاء، اذن لا غرابة ان يصطرخ الشاعر لفداحة هذا الخطب الذى ألمّ بالسماء ان تطبق على الارض، فقد وقفت عصائب الباطل والطاغوت بكثرتها الكاثرة، وقفت في وجه الحق الذي يمثله الامام الحسين حتى استشهد على مذبح الاخلاص للمبدأ واذن:

فلتطبق الخضراء في افلاكها   حتى تصك على الورى غبراءها[2]

فوديعة الرحمان بين عباده   قد اودعته امية رمضاءها

هكذا وقف الامويون في وجه الرسالة المحمدية وصرعوا متعهدها وحامي حماها، فكسوه وقد نهب الناهبون مطارفه، ثيابا نسجها نقع الحرب، وسقوه ظمان انابيب القنا السمراء.

وهذا اليوم الرهيب وهذا الرزء الجلل، يوم تبعث شيع الضلال شقاءها:

اذا القح ابن طليق احمد فتنة   ولدت قلوبهم بها شحناءها[3]

حشدت كتائبها على ابن محمد   بالطف حيث تذكرت اباءها

وهنا يعقد الشاعر مقارنة بين النبي «ص» وموقفه من ابي سفيان يوم دخل مكة فاتحا وكان ابو سفيان قائد قوات المشركين، فعفا الرسول عنهم وقال لهم «اذهبوا فانتم الطلقاء» وبين هؤلاء الطلقاء انفسهم، شيع الضلال الشقية، وكيف جازوا الرسول على عفوه عنهم، بان قتلوا ذريته وسبوا نساءه وجزروا الاطفال بوحشية وسائمية ما عرف لها التاريخ مثيلا.

---

(١) الديوان ج١ ص٥١

(٢) الديوان ج١ ص٥٢.

(٣) الديوان ج١ ص٥٢.

بذكرنا الشاعر هنا ايضا بقولة شيع الضلال، طلقاء احمد، بموقف الحسين وهو يذكرهم بالله، برسالة جده المصطفى وبدوره منها، اذ هو حاميها، ومتعهدها، فلا يحل لهم قتله ولا قتاله، فما كان جوابهم، الا « نقاتلك بغضا منا لابيك وما فعل باجدادنا يوم بدر وحنين ».. فلنقارن بين الموقفين على مدى عبودية اعداء الحسين والذين هم كما يقول نيتشيه:

« ان ثمة فئة من الناس يفقدون آخر مزية لهم اذا هم انعتقوا من عبوديتهم ».

هؤلاء الطلقاء اذن لم يتحرروا من رقهم، ولم ينطلقوا من عقال جاهليتهم، لذلك ظلوا طلاب ثأر، لم تختمر العقيدة الاسلامية في نفوسهم، بل لم تجد سبيلا اليها، ولم تجر في مدار تفكيرهم وهذا ما اراد ان ينبهه الشاعر في وعينا عن طريق الايحاء الشاعرى،وقد كان.

في هذا الجانب من رثاء الامام الحسين وقد ولجنا مع الشاعر الى ابهاء الهيكل، وقفنا امام المحراب، نلاحظ كيف كلله الحزن وغمره الاسى وقد تمثل واقعة الطف امام عينيه، وما كان فيها مما لا يدور في خاطر، و لا يعن على بال، لقد حملته الهنيهات الشعرية عبر رحلة المعاناة، وفي مناخ نفسي غيريّ، فراح يناجي الغمام المثقلْ بالمطر وقد ترأءت امامه فاجعة الطف التي حلت بابناء النبي حتى تفطرت قلوبهم عطشا راح يناجي الغمام وقد اختنق بالدموع الكلمات:

واراك تنشيء يا غمام على الورى	ظلا وتروي من حياك ظماءها[1]
وقلوب ابناء النبي تفطّرت	عطشا بقفر ارمضت اشلاءها

ليس هذا اعمق ما في المأساة، وابعد ما في الفاجعة، ان ابناء النبي صرعوا على الرمضاء، احتزتِ رؤوسهم، أُشرعت على الارماح، ولكن ليست هذه هي امضّ الغصص التي جرّعوا، ولا هي اقسى الخطوب التي قدحت بجانحة الهدى ايراءها، وانما هي:

هتك الطغاة على بنات محمد	حجب النبوة خدرها وخباءها[2]
فتنازعت احشاءها حرق الجوى	وتجاذبت ايدى العدو رداءها

حتى اذا بلغ بنا الشاعر هذه المرحلة من رحلتنا داخل الهيكل، واذ اضاء في اعيننا مصباح الالم، وفتح نافورة الحزن في احشائنا، متمثلين هذا الذى كان من جسام

(١ و ٢) الديوان ج١ ص٥٤

الخطوب، عندئذ أرانا نتجاوب مع الشاعر وقد بلغت منا المشاركة الوجدانية معه ،شأوا بعيدا، اذ عايشناه في لظى معاناته، وصدق تجربته، وهذا غاية ما يطمح اليه الشعر .واذ بلغنا هذه المرحلة لا نملك انفسنا من ان نهتف من اعماق اسانا مع الشاعر، متعجبين من حلم الله، كيف صبر على تلك الطغمة الفاجرة التي أراقت دماء الوحي بكل قسوة وتحجر قلب، ثم هجمت على خدر بنات النبي، هذا الحرم الامن الذي تكاد لهيبته أن لا تطوف به على حد تعبير الشاعر حتى الملائك لولا أنهم خدم أفلا نصرخ معه اذن لرؤية بنات الرسول سبايا بلا حام ولا كفيل.

عجبا لحلم الله وهي بعينه ... برزت تطيل عويلها وبكاءها[1]
ويرى من الزفرات تجمع قلبها ... بيد، وتدفع في يد اعداءها

فاية حال هي هذه التي صار اليها نساء آل المصطفى المختار، واية مأساة درامتيكية المت انها:

حال لرؤيتها وان شمت العدى ... فيها، فقد نحت الجوى احشاءها[2]
ما كان اوجعها لمهجة احمد ... وامضّ في كبد البتولة داءها

وهكذا نرى الشاعر هنا، ليس باكيا ناشجا وحسب، وانما يحتلب الدموع من أفاويق كل عين، عبر استجابة الدفق الشعرى له، ومن خلال طواعية القافية والبحر، اللذين استطاعا ان يجسدا التصوير بقدرة عجيبة رائعة، على يد شاعر صناع، لانه صادق التجربة عميق المعاناه، ثاكل نسيج وحده في ملكوت الشكل، يتمثل في لوعة ثكله، الحسين الرمز، لا الحسين الشخص، الحسين الامام راموز بيت الحرية[3] وحارسها كما يقول العلايلي ،لا الحسين اللحم والدم، ولذلك رايناه يتحدث عن الحسين في هذا المضمار، في غضون تصويره ليوم الطف على ذلك المستوى عبر قوله:

يوم ابيُّ الضيم صابر محنة ... غضب الاله لوقعها في الدين[4]
سلبته اطراف الأسنّة مهجة ... تفدى بجملة عالم التكوين

ما دام الحسين هو في هذه الصيغة رمزا ومحتذى، اذن لا غرابة ان يقول الشاعر فيه:

وقفت له الافلاك حين هويه ... وتبدلت حركاتها بسكون[5]

ولا جرم ان ينعاه الروح جبريل لما يمثل على صعيد الحفاظ على الدين اذ

(١و ٢) الديوان ج١ ص٥٤.
(٣) الامام الحسين العلايلي ص٤٢٤.
(٤ و ٥) الديوان ج١ ص١١٣.

هو المكمل لرسالة جده، انه البنآء الثاني بعده، حارب الوثنية في المجتمع، مثلما حاربها جده في الفكر(١)، حتى هوى على مذبح الحفاظ على دين الاله، دين الحق والخير والعدالة، لاجرم ان ينعاه روح الله اذن هاتفا:

اضمير عيب الله كيف لك القنا　　نفذت وراء حجابه المخزون(٢)
وتصك جبهتك السيوف وانها　　لولا يمينك لم تكن ليمين

وفي هذا المجال من تصوير الحزن والالم - كما راينا- يطالعنا عاملان قويان في تفجير ذلك الحزين الموّار بالاسى، هما تصوير مصرع الامام الحسين وتصوير ما لاقت بنات الوحي وعترة النبي بعد ذلك المصرع الرهيب، من هجوم الاعداء على خدرها للنهب والسلب، هاته النسوة الطاهرات اللائي ارعُبن وجرعّن من اصناف الغصص المرة ألوانا:

وحائرات اطار القوم اعينها　　رعبا غداة عليها خدرها هجموا(٣)
كانت بحيث عليها قومها ضربت　　سرادقا ارضه من عزهم حرم

سرادق العز هذا الذي كان حرما له من المهابة والاجلال، ما حرم الاطافة به حتى للملائك لولا انهم خدم، لقد سلبته نساء آل محمد بعد ما اودى حماته منافحين عن الحق والعدالة، وصارت هذه النسوة، ويا لقسوة المفارقة غرضا للنهب والسلب، فغودرت حاسرة بين ايدي الاعداء، تتعرض للسبي، وهن عقائل النبي، وعلى ايد اناس يزعمون انهم مسلمون، والاسلام منهم براء ولهذا صاح بهم السيد حيدر صيحته الهادرة الثائرة:

امية هي من كرى الشرك وانظرى　　فهل اسرت للانبياء عقائل(٤)

ولذلك لاتلام هذه العقائل الهاشميات اذ يتعالى نشيجها وبكاؤها، تجاوب في ذلك، احداهن الاخرى، تجاوباً منواحاً بقلب الدين منه اوار(٥) وكيف لا تحن هذه العقائل وكيف لا تسفح الدمع وتشق الجيب، وامام أعينها فتيتها المناجيد كلهم قد شربت من نحرهم الظبا الخذم(٦)، كيف تمتلك صبراً او تميل الى عزاء هذه الحرائر التي

(١) الامام الحسين للعلايلي ص٤٩٠.
(٢) الديوان ج١ ص١١٣.
(٣) الديوان ج١ ص١٠٥.
(٤) الديوان ج١ ص٩٩.
(٥) نفسه ص٨٣.
(٦) نفسه ص١٠٥.

لقد رفعت عنها يد القوم سجفها وكان صفيح الهند حاشية السجف[1]

مصرع الإطفال عطشا:

وثمة ناحية معالجة عند الشاعر، الى جانب تصوير مصرع الحسين، ورؤية نسائه وبناته سبايا، تلكم هي حال اطفال الحسين وآل البيت في ذلك اليوم الرهيب، وبخاصة رضيع الحسين عبد الله، الذى لم يكن يناهز سنه شهره السادس يومئذ. لقد جف ريقه عطشا ودرّ امه انقطع، وبات هو يثغو كما الطير في القفص في صحراء مجدبة حتى صار كالخشبة اليابسة لسانه، فاستسقى له ابوه القوم، فكان شربه سهما محددا مسموما، انزرع في نحر الغلام فأخذ يرفرف في حجر ابيه كالطير المذبوح من الالم:

ومنعطـــف اهوى لتقبيـــل طفلـــه فقبّـــل منـــه قبلـــه السهم منحرا[2]

لقـــد ولـــدا في ساعـــة هو والردى ومن قبلـــــه في نحره السهم كبّرا

الله ..الله للظالمين. يزعمون انهم مسلمون، ويحولون بين الحسين وبين اتباع سنة جده، فبدل ان يدعوه يكبّر في اذن وليده، يتركون السهم المسموم يكبّر فيها على يدهم، حتى ضرج بالدم، وابوه يقولُ مخاطبا الباري عزّ وعلا:

«هوّن عليّ ما نزل بي انه بعين الله تعالى.»

فيا للكلمة الرسالة، ويا للاحتساب الدرس، يعطينا هما الحسين في كل حركة، وفي كل سكنة. ما دام ان هذا مما جرى على حملة اعباء الرسالة الانسانية السمحاء الا نرى مع الشاعر بأن الدهر اطفئت عيناه يوم الطف، حتى راح يتعثر بكل عماد من اعمدة المجد التي لآل الرسول:

مشى الدهر يوم الطـف اعمى فلم يدع عمادا لهـــا الا وفيـــه تعـــثرا[3]

لقد عثر الدهر، ويرجو ان يقال من هذه العثرة، الا بعدا له ولهؤلاء الذين كانوا وراء تعثره من اعداء الدين. كيف يطلب زلال العفو وقد حرّم الماء الزلال على اهل حوض الله:

(*) المتوف ص٦٦

(١) نفسه ص ٩٦.

(٢) نفسه ص ٨٠.

(٣) نفسه ص٨٠.

أزلال العفو تبغي وعــــــلى اهل حوض الله حرمت الزلالا[1]

« اهل حوض الله ». هذا التعبير الذى طالعنا به الشاعر هنا يوقظ في نفوسنا ـ وهذا دليل تعمقه في الايديولوجية الاسلامية ما يكون يوم الحشر من وقوف الناس عند الحوض يطلبون الماء وقد برّح بهم الظمأ من شدة الهجير[2] اما صاحب الحوض والقيم عليه فهو الامام علي الذى يكون حاملا للواء الحمد، يذود الكفار والمنافقين عن الحوض كما يذود السقاة غريبة الابل على حد تعبير الرسول الاعظم[3].

بعد ان وقفنا على ناحية تصوير الالم والحزن، واشرنا الى بعض صورها عند الشاعر بقي علينا ان نلتفت الى الناحية الثانية في رثاء الحسين، وهي ناحية تصوير البطولة والصمود والأباء. وهذه الظاهرة من ابرز مظاهر التجديد في مجال الرثاء عند الشاعر. لقد مزج الشاعر ـ ثمة ـ الحزن والالم بالبطولة والصمود، ليعطي الدرس ويدعو للاحتذاء.

فنحن كما يقول العلايلي ـ احوج ما نكون الى زعيم كالحسين، ومجاهد كالحسين وقدوة كالحسين، نسايره ونوازن بما نجد عنده[4] »

ظاهرة البطولة والصمود وعنفوان الاباء:

ان تجوز وهدة الانصهار في بوتقة الحزن والالم، توصلا الى معانقة الصمود وعنفوان الاباء، كما نجد عند السيد حيدر الحلي[5]، ذلك ليس بالسهولة التي نتصور وتلك منزلة لا يتبوأها كل فنان حتى وان كان موهوبا.

فأنت حين تقرأ هذا الشعر، تحس اللوعة، تستشعر المضاضة، يحتويك الحزن، ولكن بنفس الوقت، يؤجج عواطفك الاستنهاض، تستفزك محاكاة البطولة، تتحرك

---

(١) الديوان ج١ ص١٠١.

(٢) يلاحظ كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة اذ يفصل وبمختلف الاسانيد والروايات حديث الرسول حول حمل الامام علي لواء الحمد يوم القيامة وكونه القيّم على الحوض من ص ٩٥ ـ ٩٨.

(٣) نفسه من ص ٩٨ ـ ١٠٤.

(٤) الامام الحسين ـ العلايلي ص١٥.

(٥) شعراء الحلة ، لبابليات للخاقاني ص ٣٣٧ ومقدمة الديوان ج ١ ص ١٤.

في اعماقك دوافع الانتصار للمظلومين المستضعفين، يدق نفير الثورة[1]،... فبينما تعايش مصائب آل الرسول، تنشج لخطوبهم، لا يستحيل هذا البكاء وهذا الاسى يأسا وقنوطا بل عوامل بعث جديد، ينقلب الى وهج حراري خلاق، يدفع للوقوف في وجه الطغاة الظلمة، يحور الى خزين وقود يتلهف للانقضاض على الجائرين المستبدين، في سبيل بناء دولة الحرية، وإنماء غراس العدالة في كل مكان.

من تلكم الاشواط التي كان فيها السيد حيدر الفارس المبّرز السباق. اذ بينا يضعنا هو في مناخ الشجا والاسى، وبعد ان يستثير عواطفنا حتى البكاء، نراه، وبقدرة قادر موهوب يبدع من الظلماء فجرا، وينسج من خيوط الدمع بجاد صمود، ويرفع ثرى الموت قلاع حياة، فيستشرف بنا مطارح العز، وأفنية المجد وتطلعات المثال المنشود. ينقلنا الى المطمح الايديولوجي عبر رسالية الشعر.

فهو يحدثنا عما يحلّ باشابة الايمان واعمدة العز: الحسين واصحابه من قتل ذريع، وتشريد للنساء. وهتك للحرمات، عبر اصطراخه:

أترى تجـــــيء فجيعـــــة بأمـــضّ من تلـــك الفجيعـــة[2]
حيـــث الحسين عـــلى الـــثرى خيـــل العـــدى طحنـــت ضلوعـــه

فبينما يعرض الشاعر امامنا هذه الصورة موّارة بالحزن نضّاحة بالالم، نراه يلتفت من هذه اللوحة الاسيانة الدامية، الى لوحة البطولة والاباء والصمود والفخار، ويروح يرسمها بأروع اداء عبر قوله:

ومضرج بالسيـــــف آثر عزه وابـــــى خضوعــــــه[3]
الفـــــى بمشرعـــــة الردى فخراً عـــــلى ظمأ شروعـــــه
فقضى كما اشتهـــت الحميـــة، تشكر الهيجـــا صنيعـــه

(١) ادب الطف لجواد شبرج ١ ص ٢٤.
(٢) الديوان ج١ ص٩٠.
(٣) نفسه ص ٩١.

وعلى هذا المنوال يمرّنا بالتجربة، فنتعمق منها ابعاد الاهداف ومطامح الرسالة، فنستحلي الموت في سبيل العز، انتصارا للقضايا الانسانية الكبرى لنتمكن بالارتفاع بالانسان الى مشارف الحق والخير والعدالة.

حين يعرض الشاعر علينا هذا، لا ينسى ان يلقي في رُوعنا بأن هذا الذى حل باهل البيت انما كان لنُعطى درسا ونتخذه محتذى.. اذ ان هذه المحن التي نابت وعدهم بها الرسول من قبل، فقد روى انس بن الحارث بن نبيه عن ابيه قال سمعت رسول الله «ص» والحسين عليه السلام في حجره يقول: «ان ابني هذا يقتل في ارض يقال لها كربلاء فمن ادركه فلينصره»[1].

هذا لو حاولنا ان نستطلع تخلصه من غمرة الاحزان، الى اطلالة البطولة والاقتداء في مكان آخر لرأيناه بعد ان يضع نصب اعيننا مشهد الحسين واصحابه حين ضيّقت عليهم السبل، وسدت دونهم الطرق عصائب السوء وحزب الشيطان، فحرمت على هذه النخبة المصطفاة مطارح الامن وثواء الاستقرار، حتى ضاقت بهم الدنيا على رحبها اذ كانت تطالعها الحتوف انى توجهت. لكن هذه النخبة المختارة، وهذه الصفوة من المؤمنين«وقليل ماهم[2]» نذرت نفسها في سبيل العقيدة مستبسلة في الدفاع عن ايديولوجيتها، لذا:

فاستوطــأت ظهر الحِمام وحوّلــت للعز عن ظهر الهوان وطاءهــا[3]
طلعــت ثنيــات الحتوف بعصبــة كانوا السيوف قضاءهــا ومضاءهــا

وهكذا رحنا مع الشاعر نكاد نتجاوز تيار الحزن الغامر لنعانق رسالة البطولة وايديولوجيا الصمود، حين ارتفع الشاعر بنا الى مناخ ملحمي رائع، متحدثا عن بطولة وصمود الحسين واصحابه اذ هم:

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٢٨٠ ومن الجدير بالذكر ان انسا هذا كان في عداد من قتل مع الحسين في كربلاء، ومن الابيات التي صور صبرهم على المحن كما اراد الرسول الاعظم قول الحلي:

لقَلوبُهــا امتحن الالــه بموقــف محضتــه فيــه صبرهــا وبلاءهــا

الديوان ج١ ص٥٣.

(٢) سورة«ص» /٢٤.

(٣) الديوان الجزء الاول ص٥٣.

من كـل منتجـع برائـد رمحـه   في الروع من مهج العدى- سوداءها
ان تعر نبعـة عزه ليس الوغـى   حـتى يجـدّل او يعيـد لحاءهـا[1]
يعشو الحمام لشعلـة من عضبـه   كرهـت نفوس الدارعـين صلاءهـا

أرأيت ـ في الجانب البطولي ـ لهذا التصوير الملحمي الرائع ، ولهذه المقدرة العجيبة على تحريك النفوس وهز المشاعر ، حتى ارانا نستطيب ـ مع الشاعر ـ الموت ونؤثر الجهاد تشبها بهؤلاء الكرام البررة ، الذين عشنا معهم- عبر هذا الشعر الموهوب- لحظات ولا اروع ، والذين لا اجد ما اقول فيهم سوى ان اشفعَ الصورة السابقة بما يكملها من شعر الشاعر :

وأشم قـد مسح النجوم لواؤه   فكـأن من عذباتـه جوزاءهـا[2]
زحم السماء فمن محـك سنانـه   جربـاء لقبّـت الورى خضراءهـا

..هؤلاء الصامدون الاباة لقد صبروا في امتحان الايديولوجيا الذى فرض عليهم فنالوا قصب السبق فيه ، حتى غدوا محتذى الاجيال على مر العصور لما كان من صبرهم الجميل ، وبلائهم الرائع في ذلك الامتحان...:

في حيـث جعجعـت المنايا بركها   وطوائـف آلاجـال طفن ازاءهـا[3]
فوفـت بمـا عقـدت وزوّجت الظُلى   بالمرهفـات وطلقـت حوباءها

..هكذا اذ يُعرض الشاعر لوحات الحزن والالم ملوّنة باحاسيسه ومشاعره ، يجعلنا لمقدرته الشعريّة وصدق معاناته نعايش معه ذلك الحزن.

واذ يرسم لنا لوحات البطولة والصمود مؤطّرة بعواطفه لا نملك انفسنا من ان نعانق تلك البطولة وذيالك الصمود ، مكبرين وقفات العز التي وقفها الحسين واصحابه انتصارا لقضايا الانسانية الكبرى.

تطالعنا ـ هنا ـ ميزة خاصة انفرد بها السيد حيدر وهي تضييق الرقعة بين الحزن والبطولة ، وتقليص المسافة بين الالم والصمود ، وهكذا وبمقدرة فائقة يبقى الحزن حزنا مؤثرا وعميقا عنده ولكنه يتحول ، عبر عبقرية الشاعر ـ من حزن يستدر الدمع الى

(١ و ٢ و ٣) الديوان الجزء الاول ص٥٣.

مشاعل تضيء درب البطولة وتستشرف مطلات الاباء والصمود، مشكّلة معالم لا غنى عن الاستهداء بها في مسيرة النضال.

ينتقل بنا الشاعر من مشاهد تترقرق بالحزن والالم الى معارج تمور بالانفة والاباء- كل ذلك باسلوب بديع مبتكر، وبمنهجية قادرة موهوبة، حتى استطاع ان يزاوج ما بين الحزن والالم من جهة والبطولة والانتصار من جهة ثانية حتى في البيت الشعرى الواحد.

فهو حين يتحدث عن مصرع الحسين يحملنا - وبمقارنة عجيبة من مرأى سبط الرسول مضرجا بدمه على الرمضاء الى رؤيته وقد احال من قبل ضحى الحرب المستعرةالى دجى داجية لكثرة ما اثار من نقع الوغى اذ حصد رؤوس الاعداء، فلاذ منهم من لاذ بالفرار خوف الحسام الجراز والعضب الذى لا ينبو.

فـــان يمس مغبّر الجبــين فطالمــا ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبّرا[1]
وان يقض ظمآنـــا تفطّر قلبــــه فقــد راع قلب الموت حتى تفطرا

هذه اللوحة ليست يتيمة في شعره وانما هي كثيرة، تمتاز ابدا بهذه المقدرة الخلاقة والاسلوب المبتكر، في التوفر على هذه المزاوجة الفذة، التي تنم عن عبقريته الشعرية وتملكه لزمام الشعربمهارة وجدارة. الى جانب الحرارة والصدق في التعبير ومن تلكم اللوحات الموفقة:

لعمرى لئن لم يقض فوق وساده فموت اخي الهيجاء غـــير موسّد[2]
وان اكلت هندية البيض شلوه فلحم كريم القوم طعم المهنّـــــــد
وان لم يشاهـد قتلـه غـير سيفـه فذاك اخوه الصدق في كل مشهد

وهكذا تتتابع عنده هذه اللوحات، وفي معظم قصائده الحسينية، وكلها مما يثير ويستوقف ولعل المقدرة في الجمع بين هذه المتناقضات، التي هي كذلك على صعيد المظاهر، ولكنها في الواقع تتلاقى بحميمة وصدق. اذ هل الصبر على ملاقاة الاهوال

---

(١) الديوان الجزء الاول ص٧٩.
(٢) نفسه ص٧١.

ومجالدة الاعداء بشجاعة فذة وبطولة مستميتة حتى يُقضي على المنافح خارا عن ظهرجواده وما استسلم ولا هان، هل هذا الا البطولة التي لا تُسامى والموقف الايديولوجي الذى لا يُرام.

لهذا راينا الشاعر وقدتراءىامام ناظريه نجل علي يهوي عن صهوة فرسه لم ينهر امام فظاعة المشهد، وانما تراءت له صورة النسر الذى دوّخ الفضاء، وارعب الصقور، فصاح من خلال غمامة الاسى الصفيق، منطلقا من ركيزة الذاكرة الى ابهاء الحلم السني الذى كان يتطلع اليه:

ثوى اليوم احماها عن الضيم جانبا	واصدقها عند الحفيظة مخبرا[1]
واطعمها للوحش من جثث العدى	واخضبها للطير ظفرا ومنسرا
قضى بعدما رد السيوف على القنا	ومرهفه فيها وفي الموت اثّرا
ومات كريم العهد عند شبا القنا	يواريه منها ما عليه تكسرا

هذه المزاوجة الرائعة، وهذا الانطلاق من ملاقاة المصرع الى معانقة الانتصار، او هذا التلاقي المعجب بين السفح والذروة، لا يفارق الشاعر حتى عند حديثه عن نساء آل الرسول حين هجم الاعداء على خبائهن واستباحوا حرمته بعدما قضى حماة ذلك الحرم الآمن في معركة الذود عن كرامة الانسان وارساء معالم الحرية والعدالة.

انه يطالعنا بهذه المطابقة التصويرية وفي تركيب شعرى بديع.

لقد رفعت عنها يد القوم سجفها	وكان صفيح الهند حاشية السجف[2]

او كهذه الصورة الثانية:

وحائرات اطار القوم اعينها	رعبا عداة عليها خدرها هجموا[3]
كانت بحيث عليها قومها ضربت	سرادقا ارضه من عزهم حرم[3]
يكاد من هيبة الاّ يطوف به	حتى الملائك لولا انهم خدم[4]

---

(١) الديوان الجزء الاول ص٧٩

(٢) نفسه ص ٩٦.

(٣) نفسه ص ١٠٥.

(٤) نفسه ص١٠٦.

..بعد ان اوقد امامنا ـ هذه الشعلة الملحمية الرائعة وبعد ان غرس في النفوس اكبار هده البطولة، واجلال هذا الانتصار لقضايا العدالة والحرية، وبعدما حول المطابقة في الاحداث الى انسجامية وتساوق، يعود بنا من جديد ليضعنا امام نهاية هذه الصفوة المخلصة الميفاء، فيلفعنا بغلالة الحزن، ثم يعرض علينا ـ لتتمكن الصورة في نفوسنا اكثر ـ اقدامية هؤلاء على الاصطلاء بنار الوغى ـ وتنافسهم على الموت في سبيل الحق، فنعانقهم بلهفة وشوق، ويتسرب التأثر الى اعماقنا اكثر انسيابا وابعد غورا .ألم يثبت في علم النفس ان ما يؤثر فينا عن طريق الحزن اخلد اثرا، واكثر استمرارية في نفس المتلقي؟؟

لذلك نقلنا الشاعر الى مناخ الحزن من جديد، محمولين على صهوة البطولة والصمود معجبين بتفاني هؤلاء المكافحين، نروم ان نتشبه بمواقف هؤلاء العظماء، النسخة المفردة في تاريخ البشرية الذين يقدمون:

متنافسين على المنية بينهم   فكأنما هي غادة معطار[1]

هكذا ظلت كوكبة الابدال على صمودها في خضم المعركة، وهنا نتذكر ما كان من ذهاب الحسين الى قبر جده قبل ان يقدم الى العراق، فغفا فرأى جده في المنام ـ فضمه اليه وقبل ما بين عينيه، ثم اطلعه على نهايته عبر قوله« ان الله شاء ان يراك قتيلا ».

ليقدم الله لنا بالحسين مثالا على التضحية البشرية، وراموزا للاباء، وهذا ما عَبّر الشاعر عنه خلال حديثه عن اشابة الصمود والاباء: الامام الحسين واصحابه:

كره الحمام لقاءها في ضنكه   لكن احب الله فيه لقاءها[2]

هكذا تلاقى الحزن والبطولة، وتعانق الالم مع الصبر، وتمازج الانتصار للعدالة والحق مع الصمود وحسن البلاء، حتى تكونت في اعماق الشاعر وشائج ايديولوجية بنّاءة اصبح معها واحدا من صحب الحسين، رادة الحرية وراموز الحفاظ على شريعة السماء حين اعتنق اسلوب بطولتهم واصبح خلية حية في جسم ايديولوجيتهم...لقد اغتدى الموت عنده، في سبيل العقيدة، سنى حلم يهل حول اجفانه برضى وطمأنينة،

---

(١) الديوان ج١ ص٨٣

(٢) نفسه ص٥٤.

وحتى صار الحسين كما هو وكما استطاع ان يرسم الشاعر صورته بريشته الصنّاع ناموس التضحية وعنوان الوفاء للمبادى، ورمز الدعوة الى خوض غمار الموت دفاعا عن العقيدة المؤمنة الملتزمة.

وآن حصل هذا التزاوج الحميم بين قضيته الخاصة والقضية العامة المتمثلة بالامام الحسين «ع» بما يرمز اليه من منافحة عن القيم الانسانية المتمثلة في الخير والحق والعدالة. هذا الاندماج البناء بين الشاعر وايديولوجيته جعله ينسى في غمرة تجربته الشاعرية الثرية قضية الامام الحسين على صعيد التعبير المباشر عنها، لأنها اصبحت قضيته الخاصة، وبهذا اصبح التعبير عنده اكثر حرارة وابعد اثرا، وهذا قمة التوصيل الشعورى من خلال الشعر. لذا رايناه يتحدث عن قضيته التي هي قضية الامام الحسين وقد تداخلتا واتحدتا مهيبا بقوى الاستبداد والظلم:

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم ... فلا مشت بي طرق العلى قدم[1]

لا بد ان اتداوى بالقنا فلقد ... صبرت حتى فؤادى كله الم

ومن هذا المنطلق مضى الشاعر ينسج تطلعاته واهدافه بعزيمة صادقة، وتصميم جاد على مجابهة التحديات مهما بلغت من التمادى والتهديد.

حتى اذا استعرت في داخله نيران المعركة المرتقبة، وانشأ الدفق الشعرى يمدها بزخم وحيوية تبدى لنا مدى تعمق التمازج بين قضية الشاعر والقضية الحسينية، هذه القضية التي عكست في اعماقه اشعة بطولتها وصمودها فتوهجت في نفس الشاعر، وانصهرت في غور كيانه، ثم راحت تنثال من بين شفتيه كلمات تمور ثورة وتلتهب بطولة. عندئذ مضى الشاعر يقسم بظبا قومه البتّارة، تلك التي اعتادت ان تلتمع أسنّتها في دجى المعارك فتضيء جنباتها، مكللة ابدا بأكاليل المجد والبطولة.

فلطالما حمدت الهيجاء صنائع تلك المواضي ومناقبيتها، فحملتها المطاعين ينزلون -ابدا- الى الساح وفوقهم يرفرف بند البطولة والشجاعة، لانهم لا يعرفون الى الخور والجبن سبيلا، فهم يلوذون بشفار السيوف حين يلوذ الهيّابة النكص بقمم الجبال، نشدانا للسلامة وهربا من مواجهة المواضي، لذلك شفع قسمه العظيم بسيوف قومه التي لا تنبو بهذه الثورة العارمة:

---

(١) الديوان ج١ ص١٠٤.

لأحلبنّ ثديَّ الحرب وهي قنا   لبانها من صدور الشوس وهو دم[1]
ما لي اساكم قوما عندهم ترتي   لا سالمتني يدّ الايام ان سلموا

ما احرانا ان نتوفر على قراءة هذه القصيدة لنقف على مدى معانقة الشاعر لايديولوجيته بحرارة وعمق ووفاء. فما اخلقنا ان تتمشى في اوصال كبوتنا رعدة الحياة هذه مفيدين من ايديولوجيا الشاعر ومعانقته لقضيته الانسانية.

هذه الرعدة الحياتية التي تتفجر في اوصالنا بفعل هذا الدم الشعرى الحار الذى رفدنا به الشاعر، يدفعنا لان نتمثل سيرة الامام الحسين في مسيرة تحرير وطننا العربي من اوضار التخلف والانهزامية، واعتاق نفوسنا من رقدة الاستسلام والخنوع.

فذكرى عاشوراء -كما يقول العلايلي- ألزم ما تكون لنا في مرحلتنا الانقلابية التي نعايش[2].

اذا توفرنا على قراءة اى حسينية من قصائد الشاعر، نراه دائم الحضور، معايشا ابدا لتجربة الامام الحسين البطولية، معتمدا على تفجير خزين الذاكرة لتسيير عربة الحلم في المخطط المرسوم لها، مدفوعا بوهج التمثل والاحتذاء، ملقيا في رُوعنا بأسلوب غير مباشر ان ليس مع حياة الذل الا الفناء الدائم والعار المستمر، لذا خلد ذكر الحسين، وعاش رمز البقاء في أخلاد الناس، لانه رفض ان يكرس وجوده الا لدفع ضيم او تثبيت حق في حين ان مناوئيه الميكيافيليين لم يبق منهم الا رماد العار ووصمة الشنار[3]

لهذا راح يهيب بنا عبر تبنيه للايديولوجيا الحسينية في مخزون عواطفه، وعبر تمركزها في لا وعيه، يهيب بنا عبر اهابته بنفسه، ان نستعلي فوق المصاعب، وان لا ننكل امام الانتصار لقضايا الحق والعدالة، لان الحياةالحقيقية تتوهج حيث تتقصف

(١) الديوان ج١ ص١٠٤.

(٢) الامام الحسين لعلايلي ص١٠٩.

(٣) لعل من خير ما صوّر مآل الوصوليين مصّاصي الدماء، الجافين للحق المحاربين للعدالة من الشعراء المعاصرين الشاعر السوري محمد المجذوب اذ يخاطب معاوية:

اين القصور ابا يزيد ولهوها   والصافنات وزهوها والسؤود
اين الدهاء نحرت عزته على   اعتاب دنيا زهوها لا ينفذ
آثرت فانيها على الحق الذي   هو لو علمت على الزمان مخلد
تلك البهارج قد مضت لسبيلها   وبقيت وحدك عبرة تتجدد

سمر القنا في سبيل ارساء قضايا الانسانية الكبرى، والخلود والبقاء للصامدين في ذلك المعترك كالمتنافسين لهذه الغاية على المنية:

لا تحذرنّ فما يقيـــك حـــذار　　ان كـان حتفـك ساقـة المقـدار[1]
وارى الضنـــين عـلى الحمام بنفسه　　لا بـدّ ان يفنـى ويبقـى العـار

بعد هذه الوقفة مع ظاهرة الحزن والالم في شعر الحلي، وبعد ان قدمنا نماذج لرثائه خصوصا من قصيدته« شاعبة النوى » التي اخترناها كأنموذج لرثائه الايديولوجي مع ان كل قصيدة من حسينياته جديرة بهذه الانموذجية، وجعلنا اغلب الاستشهاد من ابياتها لنبقى في مناخ القصيدة الواحدة، مما يكون اجدى في استخلاص الخصائص وحتى لا تبتر الصلة في ذهن القارى الغريب عن ديوان الشاعر ... لقد تبدى لنا الشاعر دائم الحضور في هذه النماذج، حميم الصلة واللقاء بالقصيدة والايديولوجيا التي يمتح من معينها، وذلك بعدما طالعنا ما طالعنا من مراحل ومحطات ارسال واسترسال، تبث على موجات عدة اشبه بشعاعات الدائرة، تنطلق في كل اتجاه، ولكنها تلتقي جميعا في المركز الذى هو ايديولوجيا الشاعر.

بعد هذا بقي علينا ان ننتقل للحديث عن المهدوية في قصائد الشاعر الحسينية فماذا عنها؟؟

المهدوية في حسينياته: .

يندر ان نقرأ قصيدة حسينية من قصائد الشاعر، دون ان نراه يعرّج بها على ذكر صاحب الامر. وهذا التعريج لا يجئ مبتورا، ولا ياتي مبتسرا، وانما يأتي حيث ينبغي له، وحيث تطلبه الشحنة الشعورية، متنفسا للمعاناه، ومنقذا من هول الملمات.

(١) الديوان ج١ ص٨٢.

هذا وان استنهاض المهدي دليل سخط الشاعر[1] ويأسه من الحكم الذى خلا من نأمة حق او وازع ضمير.

المهدوية ـ كما عرفنا ـ من ملزمات الايديولوجية الشيعية. اذ ان الشيعة ينتظرون خروج المهدي كما وعدهم بذلك القرآن، وكما اخبرهم النبي محمد في احاديثه القدسة عن الله، وفي احاديثه هو عن هذا الذي سيخرج آخر الزمان ليبني دولة المستضعفين في الارض[2].

لقد وضعت في هذا المجال المؤلفات والأسفار الكثيرة التي اعدت لمدارسة هذه الناحية، وحتى اليوم ما تزال تؤلف الكتب في سبيل تبيان هذا الجانب العقائدى المهم عند الشيعة.

المهدوية الى جانب هذا، هي وسيلة للتحدث عن احوال المجتمع وبؤس الناس، ومعاناتهم الرهيبة للالم والاستبداد، انها رصد لهذه المظالم بانتظار ان يأتي يوم تنقلب فيه هذه الموازين، فينتصب قسطاس الحق، ويسود مجتمع العدالة، مطيحا بأعمدة الفساد والطغيان، اذ ينتصر تيار الغيرية والعدالة الاجتماعية على تيارالشهوتية والاستبداد..

ان الشيعة يتشوفون دائما الى هذا اليوم المنشود، خصوصا وان الحالة اصبحت لا تطاق، لقد ذر قرن الفساد، والتقت حلقات بطان الظلم والاستبداد والقضاء على معالم الدين، وتشويه الرسالة المحمدية، حتى كان استصراخهم لصاحب الامر على لسان السيد حيدر:

عججنـــــا اليـــــك من الظالمـــين	عجيــــــج الجهال من الناحر[3]
وبتنـــــا نود الردى كلنـــــا	لننقـــــــل عنهم الى قابر

---

(١) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص١٢٥.

(٢) من تلكم الكتب: الغيبة للنعماني والغيبة للطوسي، واصول الكافي، للكليني عند الحديث عن المهدي، واكمال الدين واتمام النعمة للصدوق، الزام الناصب، الارشاد للمفيد، المجالس السنية للسيد محسن الأمين. الخ...

(٣) الديوان ج ١ ص ٧٦.

وهو هنا اذ يستنهض صاحب الامر، فلانه يرى ان الحالة التي يتسدهدى في مهاويها المجتمع ليست غريبة عن حالة المجتمع في ايام الامام الحسين.

أجـــل يومنـــا ليس بالاجنـــبي من يوم والـــــدك الطاهر [1]

وهو اذ يعزض للمهدي بأن الحالتين واحدة، فلكي يقول بلغته الخاصة واسلوبه الشعري ان موجبات نهوض الامام الحسين ودق ناقوس الثورة هي نفسها اليوم فهلا امتشقت الحسام واعلنت الثورة ايها المعّد لمحو الضلال.

المسحة المهدوية تكاد تنتظم سلك الشعر العلوي بعامة، وشعر السيد حيدر الحلي بخاصة.

لقد كانت بواعث الشعر العلوي -خصوصا في القرن التاسع عشر- ثورة على الحكم وعدم رضا بالمصير الاسود[2].

هذه الثورة العارمة كان من اقدر الشعراء تعبيرا عنها السيد حيدر الحلي[3].

لذلك راينا المهدي عند السيد حيدر انما هو المعدّ لمحو الضلال، الناشر لراية الحق، المنعش لجد التقى العاثر، المجدد لرسم الهدى الداثر، الطالب بماضي الذحول وبالغابر، المدرك بسيفه ترة الهدى[4]..

وليس غريبا ان يغدق عليه هذه النعوت ما دام هو المنقذ والمخلّص الذي ينتظره من منطلق ايماني..

في هذه الناحية الايمانية يعبر عن نفاذ الصبر وطول الانتظار:

كفى اسفـــا ان يمر الزمـــان ولست بنـــــــاه ولا آمر[1]
وان ليس اعيننـــــا تستضيء بمصبـــاح طلعتـــك الزاهر

وهذه الناحية ناحية التعبير عن فعل الانتظار في النفوس، وعن تجاوز الصبر

---

(١) الديوان ج١ ص ٧٦.

(٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص١٦٢.

(٣) نفسه ص١٩٠.

(٤) نلاحظ هذه المواصفات في قصيدته الرائية في الديوان ج١ ص٧٥.

(١) الديوان ج١ ص٧٥

لمدى طاقتهم على التحمل، تنتشر في تضاعيف حسينيات الشاعر، وتكاد تكون الظاهرة التي تقضّ مضاجع الشاعر، فلذلك يطالعنا بها في اكثر من مكان، وعلى اكثر من صعيد، ويتناولها من مطلات مختلفة، ناقلا ذلك على نياط قلب متقطعة او حشرجات صدر مختنقة، من هذه المطلات التي اشرف منها على هذه الظاهرة استنهاضه للقائم المنتظر مصطرخا:

كم توعد الخيل في الهيجاء ان تلجا ... ما آن في جريها ان تلبس الرهجا[٢]
وكم قنا الخط كف المطل تفطمها ... ما آن ان ترضع الاحشاء والمهجا
وكم تعلّل بيض الهند مغمدة ... عن الضراب ولما تعترق ودجا

هكذا يناجي المهدى، مستنهضا له، عارضا بين يدي استنهاضه الاسباب التي قال عنها النبي بانها من دواعي نهوضه، ومن مقدمات الفرج، اذ يغدو القابض على دينه كالقابض على الجمر.

عبر هذه الدعوة، يبث الشاعر لواعج اشجانه، ويسكب اختلاجات نفسه، عبر شكوى غير خائبة، مطمئنة الى نهاية المصير، فصاحب الامر لا بد وان يخرج، معيدا الحق الى نصابه، مهما استطال ليل الانتظار، فان الموعد الصبح، اليس الصبح بقريب[٣].

لم يستتر تحت ليل الريب صبح هدى ... الا وللخلق منه كان منبلجا[٤]

صبح الهدى هذا، المستتر تحت ليل الريب، لا بد ان ينبلج للخلق، ويظهر القائم مُجرِّدا خيل الحق الشقراء فيعيدها خضيبة بنجيع اهل الضلال القاني، وقد نسج عليها نقع الهيجاء إهابا ضافيا:

المورد الخيل شقراً ثم يصدرها ... حمراً عليها ـ إهاب النقع قد نسجا[١]
والضارب الهام يوم الروع مجتهدا ... في الله ليس يري في ضربها حرجا
والطاعن الطعنه النجلاء لو وقعت ... في صدر يذبل وهو الصلد لا نفرجا

هذا هو صاحب الامر كما يراه الشاعر من منطلقات ايديولوجيته الشيعية وقد اطلعنا عليه ممتطيا صهوة القوة اشارة الى الاسلوب الثوري الذي سينتهجه، اما اصحابه الذين سيلقحون الغارات الشعواء في وجه الكفرة المارقين فهم ـ كما يراهم

(٢ و ٤) الديوان ج١ ص٦٥

(٣) اشارة الى الاية ٨١/ سورة هود ان موعدهم الصبح اليس بقريب.

(١) الديوان ج١ ص٦٥.

الشاعر- اما شيخ نهى نجد، يهب الى دعوة الداعي للحق، واما كهل حجي، لما وقر في نفسه من قيمة المضي على هدى القائم المنتظر، ومكانة الانتظار للفرج. ألم يقل رسول الله «ص» «افضل اعمال امتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»[1]

وقال الصادق «من مات منكم على هذا الامر منتظرا كان كمن كان في افسطاط القائم»[2]

انطلاقا من هذا نراه آن يتحدث عن صحب القائم يرى انهم سيكونون:

الفارجين مضيق الكرب ان نُدبوا والكاشفين ظلام الخطب حيث دجى[3]
ان ظلّلتهم سماء النقع يوم وغى كانت وجوههم في ليلها سرجا

والشاعر عبر ندبه صاحب الامر لان ينهض بامر الله، وعبر الصورة التي يرسمها لصحبه يدعو الجماهير- في غضون رسالته الشعرية، وباسلوب غير مباشر- لان يهبوا من سبات الاستسلام ويتحدوا في وجه الاستبداد، ويهيئوا انفسهم لما يسمو بهم الى مرتبة اصحاب القائم المنتظر، فيرفضون الهوان ويأبون الضيم. هنا تستيقظ في مشاعره قضية الامام الحسين، وقضية ادراك ثأره، تلك التي طال مداها، لذا راح ينتدب القائم المهدي هاتفا:

يا مدرك الثار كم يطوي الزمان على امكان ادراكه الاعوام والحججا[4]

دعوة صاحب الامر لان يأخذ ترة الحسين من اعداء الحسين، اعداء الانسانية في كل جيل، تكاد تلازم استنهاض المهدي، وفي طليعة اسباب دعوته للنهوض، عند الشاعر، انه يريده ان يخرج ليثأر للحسين الرمز، ليثأر للحق من الباطل، وللمستضعفين من المستبدين، حتى تعود جبال الظلم التي استطالت قاعا صفصفا، لا يرى بها كما يريد الشاعر- امتا ولا عوجا. ان انصار الباطل غدوا وهم الآمرون الناهون ودعاة الحق هم المستضعفون، لذلك راح يناجي صاحب الامر ان ياخذ ترته من هؤلاء المارقين الذين ولجوا يوم الطفوف على امام الحق غاب عز قط ما ولج.

---

(١) اكمال الدين واتمام النعمة ص
(٢) نفسه ص٦٠٣.
(٣) الديوان ج١ ص٦٥
(٤) الديوان ج١ ص٦٥.

لذلك وقد وافت ايام شهر محرم، الشهر الذي استشهد فيه الامام الحسين، يراها الشاعر قد جاءت صارخة تستغيث بصاحب الامر مما استحلوا به من حرم، فسفكوا دماء ابن بنت النبي راموز بيت الحرية وحامي حماه. هذه الايام كما يراها الشاعر- قد راحت تملأ سمع صاحب الامر من اصوات ناعية ثكلى طال نواحها وبكاؤها حتى كأن في مسمع الدهر من اعوالها صمما، انها يا صاحب الامر:

تنعى اليـــك دماء غـــاب ناصرهـــا حتى اريقت ولم يرفع لكم علم[٢]
مسفوحـــة لم تجـب عنـد استغاثتها الا بادمـــع ثكـــلى شفّهـــا الالم

اتريد اكثر من هذا يا حجة الله المهدى، مأساة الحسين لا تزال ماثلة امام الاعين تنتظر من يثأر لها، لانها مسألة الحق والباطل، مسألة العدل والظلم. انها ما تزال تتكرر كل يوم، فيغير الغائرون على زوار ابي عبد الله، نهبا وسلبا وقتلا وتشريدا على ائدي الغزاة المارقين. كذلك الحكام الاتراك يمارسون - في ايام الشاعر - ضد الشعب الوان الاَساليب الوحشية في القمع ووأد الحريات، وامتصاص دماء ابنائه، والالقاء بهم في لهوات الخطوب الفاغرة- ابدا - افواهها. والشريعة المحمدية شريعة الله السمحاء التي جاءت لتخرج الانسان من الظلمات الى النور، اصبحت الان مهددة. مجافاة لا يعمل بمبادئها، لذلك فهي تصرخ مما حل بها مستغيثة تناجيك يا صاحب الامر:

ألـــلـــه يـــا حامي الشريعـــة أتقر وهي كـــذا مروعـــه[١]
بـــك تستغيـــث وقلبهـــا لـــك عن جوى يشكو صدوعـــه

وهكذا تتسلسل في غضون دعوته المهدوية موجبات هذه الدعوة ومقتضياتها وتتوضح خلفياتها. وهنا يبرز الالتزام الايديولوجي مطالبا الشاعر بان يصبر وان على مثل حزّ المدى، لان الفجر قريب مهما استطال الليل والفرج آت من مشكاة الغيب. لكنه شاعر، يحق له ما لا يحق لغيره، والتزامه الايديولوجي لا يعني التقيد بالحرفية والجمود، والا فقد الشاعرية، وانطفأت شعلة الشعر الوهّاجة، لذلك تجاوز هذه

---

(٢) الديوان ج١ ص١٠٥.

(١) نفسه ص٨٨.

الدعوة بالصبر، على جناح الشعر، ومن املاءات النفس الواهة التي لاقت فوق ما تستطيع، وتحملت اكثر ما ينبغي حتى ان دواء هذا الداء العضال انحصر في حمل السلاح في وجه الظلمة مع صاحب الامر انتصارا للحق والعدالة، وهذا ما حدا بالشاعر ان يصطرخ من اعماقه:

لا بد ان اتــداوى بالقنــا فلقــد صــبرت حــتى فؤادى كلــه الم[1]
لا حلــبنّ ثــديّ الحرب وهي قنــا لبانهــا من صــدور الشوس وهودم

ملابسات الدعوة الاسلامية في شعره الرثائي:

في هذا القسم من رثائه نراه يعرض لملابسات الدعوة الاسلامية والخلافة بعد النبي «ص» فيأتي على ذكر خلافة ابي بكر الصديق[2]. وما رافقها من عوامل واحداث، وما قام من نزاع بين المهاجرين والانصار، كلهم يبغي الامارة، بعد ان يعرض علينا تلك الوقائع، ويبين كيف تم اخيرا الاتفاق على تعيين الخليفة، لا ينسى الشاعر ـ في غضون ذلك ـ منزلة الامام علي من الرسول وأهليته الفذة في هذا المضمار. فالشاعر وهو الشيعي الملتزم، الذى توفر على مدارسة العلوم الدينية، آن يعرض هذه المرحلة من التاريخ الاسلامي، وآن تراءت امام ناظريه ملابسات الخلافة وما رافقها من ادوار وعوامل، لا جرم ان تطالعه في خضم ذلك مكانة الامام علي عند رسول الله والمسلمين، واقوال النبي فيه واحاديثه المتواترة عنه عند جميع المسلمين[3]، التي تبين مركزية الامام علي وكونه خليفة الرسول، وصاحب الحق في ذلك بغير منازع، الى ما كان من مؤاخاة النبي له وجعله وليا للمسلمين كولاية الرسول لهم يوم غد يرخم وقولته الشهيرة يومذاك:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

الى غير ذلك من الاحاديث الجمة المتواترة في هذا المجال، آن تمثلت تلك الاشياء جميعها في نفس الشاعر، وآن استضاءت تلك الزوايا امامه راح يعلن هاتفا:

اعــد نظرا نحو الخلافــة ايهــا احــق بــأن تضفو عليــه ثيابهــا[4]

---

(1) نفسه ص١٠٣.

(2) نلاحظ قصيدته من ص ٥٨ ـ ٦٣ الجزء الاول من الديوان.

(3) يلاحظ حول ذلك كتاب الفضائل الخمسة في الصحاح الستة في اجزائه الثلاثة خصوصا في الصفحات ٢٩٩، ٣١٩، ٣٣٣، ٣٣٧، من الجزء الاول.

(4) الديوان ج١ ص٥٩.

فحمل الشاعر مصباحه في دجنة تلك الاحداث الجسام التي ألمت بالدعوة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاعظم، وأبحر شراع شعره في خضم تلك الملابسات التي رافقت الخلافة منذ البدء. فوقف عند سقيفة بني ساعدة[1] مومئا الى ما حصل ثمة من محاورات ومنافرات بين الانصار والمهاجرين، اذ طمحت كل طائفة منهم ان ترتقي سدة الخلافة، والا «فمنا اميرومنكم امير»، حسماللنزاع وحتى لا تستأثر طائفة بالخلافة دون اخرى، ناسين ان النبي وجّه الانظار منذ البدء نحو الامام علي. واعدّه بامر من الله سبحانه وتعالى لهذا المنصب، لكفاءته وتفرده بمزايا لم توجد في غيره.

هذه الملابسات التي رافقت خلافة الرسول، والمنازعات التي نشبت انما حصلت كما يتراءى للشاعر- لان الامام علي وهو الاكثر اهلية لخلافة الرسول على مختلف المستويات أُبعد عنها؛ مما مهد كما يقول العلايلي[2] الى عمل الاضطراب في حكومة الخلفاء، وقدّم مادة الانقلاب الكبير[3]، فكان ذلك سابقة تبرر كل مزاحمة حتى لصاحب الحق بلا مدافع[4] ».

فدك ومهاجمة السيدة الزهراء عليها السلام:

مما عرضه علينا على شريط شعره من احداث تلك الفترة، قضية «فدك» الارض التي أقطعها النبي «ص» لابنته الزهراء[5]، اثر نزول الاية الكريمة« وآت ذا القربى حقه[6] ».

لكن الخليفة الاول ابتز السيدة فاطمة ابنة الرسول ما نحلها ابوها، فكان لها عليها السلام وقفة مشهودة، والقت خطبة في معشر المسلمين من الانصار والمهاجرين

---

(١) يلاحظ الديوان ص٥٩ حيث يتحدث الشاعر عن «السقيفة» ودورها في محورية الخلافة الاسلامية. وعن السقيفة وما دار فيها يلاحظ كتاب «السقيفة» للشيخ محمد رضا المظفر منشورات المكتبة الحيدرية في النجف سنة ١٣٨٤هـ. ١٩٦٥م.

(٢، ٣، ٤) الامام الحسين للعلايلي ص١٩ و٣٨.

(٥) يلاحظ تفسير السيوطي في الدر المنثور ج٤ ص١٧٧ فقد ساق حديثا مسندا عن ابي سعيد الخدرى ان الرسول لما نزلت هذه الاية دعا فاطمة سلام الله عليها فأعطاها فدكا، كما اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية «اقطع رسول الله ﷺ، فاطمة فدكا».

(٦) سورة اسرى/ الاية ١٧.

الذين كانوا يتأشبون حول الصدّيق، أبانت فيها أحقيتّها في ارث ابيها، مؤيدة ذلك بحجج وأدلة معضودة من القرآن الكريم، تنص على توريث الانبياء جميعهم لا بنائهم (٥)

حين اتي الشاعر على ذكر «فدك» في موجة شعرية دفّاقة، بلغ به تمثل الحادثة واستحضارها في نفسه، ان استعمل الفاظ السيدة الزهراء نفسها في احتجاجها على ابتزاز تلك الارض منها. لقد اصطرخت هي بالمتحلقين حول ابي بكر «إيهاً معشر المسلمين أأبتز ارثي يا ابن ابي قحافة[٦]».

لقد تعجب الشاعر لهذا الحادث ووضع علامات استفهام كثيرة عبر استعراضه لشريط الاحداث التي مر بها آل النبي بعد وفاته، الى ان قال مخاطبا المسلمين الذين لم ينتفضوا استجابة لطلب الزهراء:

أتبتز فاطمـــــة بينـــــكم	نحيلتهـــــا من ابي الطاهر[١]
وانتم حضور ولم تغضبوا	فيـــــا بؤس للمـــــلأ الحاضر

اما عن مهاجمة بيت السيدة فاطمة، وما كان من اجهاضها عليها السلام، فهو يعرضها عبر المألكة التي اراد ان تحمل لوليّ الأمر، مطوية على نفثات كلها ضرم وذلك عبر قوله مخاطبا صاحب الامر:

فلا وصفحك ان القوم ما صفحوا	ولا وحلمك ان القوم ما حلموا[٢]
فحمل امك قدما اسقطوا حنقا	وطفل جدك في سهم الردى فطموا[٣]

وهكذا الح عبر تهويمة الشعر هذه، الى هذا الذى تعرضت له سيدة نساء العالمين، وبضعة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولم يغرب عن باله في هذه القصيدة ان يحدثنا عن مبايعة عمر لابي بكر تلك التي كانت «فلتة وقى الله المسلمين شرها»[٤] كما قال ابن الخطاب عنها.

ثم عرض لتسلسل الحوادث بعد ذلك، الى ان اغتيل الامام عليه السلام في

---

(٥) تلاحظ هذه الخطبة في دلائل الامامة لابي جعفر الطبرى وما بعدها ص٣٠ وما بعدها.

(٦) نفسه ص٣٤.

(١) الديوان ج١ ص٧٧.

(٢ و ٣) نفسه ص١٠٤و١٠٥

(٤) الفتنة الكبرى جزء ٢ ص٦

محرابه، وهو يذوب في مناجاة ربه خشوعا وتعبدا. فكانت مصيبة الاسلام بذلك فادحة عظيمة:

قم ناشد الاسلام عن مصابــــــه اصيـــب النـــبي ام كتابــــه[٥]
ام ان ركب الموت عنه قد سرى بالروح محمولا عـــلى ركابـــه

هكذا راح الشاعر يصور مصرع الامام علي، وما حل بالاسلام من نكبات وما ألم به من صروف من جرّاء هذا المصرع الرهيب، غير ناس ان يذكرنا بقولة الامام عليه السلام وقد وقف نفسه على تربيب المسلمين، وغرس العقيدة في نفوسهم، وهم لا يزدادون الا نفورا وازورارا، حتى أهاب بهم في خطبته في الجهاد:« لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا ».

لقد استوحى الشاعر هذا الذى عاناه الامام عليه السلام، وما كان من صبره على ابعاده عن حقه حفاظا على وحدة الاسلام، وذلك عبر قوله:

مضى عـــلى اهتضامــــه بغصـــة غص بها الدهر مدى احقابه[١]

على هذا المنوال مضى الشاعر يوقظ في انفسنا بين الفينة والفينة، ملابسات الخلافة الاسلامية حتى استبدت امية بالحكم، وما كان من تحمل الائمة الاثني عشر لهذه الويلات التي كانت تلم والخطوب التي كانت تنوب، حتى قضى احد عشر اماما ما بين مضرج بالدم او قتيل بالسم، شهداء الذود عن شريعة السماء، والذب عن رسالة النبي، رسالة الحق والعدالة والحرية...

الامويون في شعره:

في معرض الحديث عن الامويين نلاحظ تلاقيا شديدا بين السيد حيدر الحلي والعلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ان :« كل بليات وبلبلات المحيط الاسلامي في عهد الخلفاء يمكن تعليلها بالاصبع الاموية[٢] ».

ويلتقيان ايضا في ناحية ثانية وهي ان خلافة ابي بكر كما اعترف معاوية في

---

(٥) الديوان ج١ ص٥٥.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١ ص١٦٥.
(١) الديوان ج١ ص٥٥.
(٢) الامام الحسين للعلايلي ص٥٧.

كتابه لمحمد بن ابي بكر وكما استنتج العلايلي بان هذه الخلافة « كانت سابقة سهلت لكل اصحاب المطامع سبيل المزاحمة[٣] ».

حين تدافع الشاعر تيار بليّات وبلبلات المحيط الاسلامي على امواجه المتلاطمة رايناه يجد انها كانت تتحرك باتجاه توصيل الامويين الى الحكم، كما راى العلايلي فيما بعد. اذ ظلت كرة الخلافة بعد ان أُقصي الامام علي - تنتقل من يد الى يد..

الى حيث بالامر استبدت امية فاسفر عن وجه الضلال نقابها[٤]
وابدت حقود الجاهلية بعدما لخوف من الاسلام طال احتجابها

حين يتحدث في قصائده الحسينية عن الامويين لا ينسى ان يبين لنا دورهم في شق عصا المسلمين. لقد غالوا الاسلام وهو رضيع ،وحالوا بينه وبين ان يشب كما ينبغي له، وان يبلّغ للعالم رسالة انسانية فذة على ايدي هؤلاء الذين اختمرت في نفوسهم العقيدة الصحيحة امثال الامام علي وابي ذر وسلمان وعمار. وهكذا حوروه عن دوره الرسالي البنّاء، واستغلوه للقضايا الخاصة، قضايا الاستبداد المقيت، والملك العضوض.

في هذا القسم من رثائه حين يتناول الامويين بالحديث يعرض لعدة مناح منها:

النسب:

النسب الاموى عرضة للتشكيك. اذ لو عقدنا مقارنه تاريخية بين سلسلة الهاشميين وابناء عمومهم الامويين، لطالعتنا المفارقات الهائلة بين الفريقين سواء على صعيد الخلق او الخُلق[١] . ليس اقلّ ما في هذا التشكيك ما كان من تزويج امية زوجته في حياته لعبده ذكوان. حتى ابو الفرج الاصفهاني وهو اموي النسب ذكر هذا التشكيك دون ان يعرض له بأي تفنيد [٢] ولا ان يقدم اى اعتراض.

هذا الطعن على صعيد النسب لم يكن شيئا مجهولا بل طالما عُيّروا به، يكفي ان نذكر في هذا المجال ما كان من قضاء نفيل بن عدي [٣] لعبد المطلب بن هاشم على

---

(٣) نفسه ص٣٠.
(٤) الديوان ج١ ص٥٩.
(١) ابو الشهداء لعباس محمود العقاد ص٤٠
(٢) نفسه ص٤١ وما بعدها.
(٣ و ٤) نفسه ص ٤٣.

حرب بن امية حين تنافرا وقال لحرب:

ابوك معاهر وابوه عـــــــــفّ   وذاد الفيـــــل عن بلـــــد حرام

لندع كما يقول العقاد « اختلاف الطبائع ومغامز النسب ثم ننظر في اختلاف النشأة والعادة مع اختلاف الخلقة الجسدية [٤]... فالفروسية والرياضة والدين والاخلاق صفات ملازمة لذرية الطالبيين على الاجيال ، ونقيضها للامويين على الاجيال [٥].

بعد ان وقفنا على معرفة هذه المغامز والمثالب التي تنتظم سلالة الامويين كما بيّنها العقاد ، لا نعجب ـ بعد ـ ان نرى السيد حيدر يعرض لبعض هذه الاشياء اللازمة لهم على الاجيال فلا غرابة بعد ذلك اذن ان نسمع السيد الحلي مهيبا:

أميـــة غوري في الخمول وأنجـــدى   فمالـك في العليـاء فوزة مشهـد [١]

هبوطــا الى احسابــكم وانخفاضهــا   فـلا نسب زاك ولا طيـب مولـد

هكذا ينسحب على هذا المنوال عارضا عبر تجربته الشعرية مخازي الامويين ملتقياً في ذلك مع مؤرخيهم الذين اسهبوا في ذكر مثالبهم وتعداد سوءاتهم، في مجال تحوير الرسالة الاسلامية وتحويلها الى ملك مستبد عقيم.

آن يعرض الشاعر لهذا الذي اتصف به الامويون، لا ينسى ان يعقد مقارنة بين موقف كل من الفريقين، فالهاشميون عندما يظفرون يكون موقفهم انسانيا الى اقصى حد ، بعكس الامويين الذين ان ظفروا تنسيهم احقادهم وضغائنهم كل ابعاد الانسانية. فالنبي محمد عفا عن ابي سفيان زعيم الشرك يوم دخل مكة فاتحا. وارسل فيهم قالته التي ما برحت تردّد صداها جوانب الدنيا وبقاعها« اذهبوا فانتم الطلقاء ».

هذه هي معاملة الهاشميين « العفو عند المقدرة »، اما الامويون فما كان منهم حين ظفروا الا ان أعملوا السيف في رقاب ذرية محمد،وسدّوا في وجههم الافاق تآمرا وملاحقة وتنكيلا. وهذا ما اشار اليه السيد حيدر اذ قال:

فسل عبـد شمس هل ترى جرم هاشم   اليهـا سوى ما كان اسداه من يد [٢]

وقـل لابي سفيـان مـا انـت ناقم   أأمنّـك يوم الفتــح ذنــب محمـد

فكيــف جزيتم احمدا عن صنيعــه   بسفــك دم الاطهــار من آل احمد

---

(٤) نفسه ص ٣٠

(٥) نفسه ص ٢٤.

(١) الديوان ج١ ص

(٢) نفسه ص٧١.

وهو لا ينسى في مجال عرضه للمآسي التي حلت باهل البيت على يد الامويين، لا ينسى اقدام الامويين على سبي بنات الرسول، وحملهم على اقتاب المطايا تتهادى بهم في البلدان ، وهم خيرة من على وجه الارض:

أمية هي من كرى الشرك وانظرى فهل اسرت للانبياء عقائل [1]

لكن هؤلاء المتجنين على عترة النبي لم يرعوا له ادنى حرمة، بل جافوا حتى مزايا العرب الاقحاح اولئك الذين يوفون بالعهد، ويعرفون بالشهامة والنجدة وحفظ الذمم.

لكن امية بعملها هذا ، حين جافت تعاليم الاسلام، وضربت صفحا عن قيم النجار العربي ، انها بذلك كما يقول السيد الحلي:

ليست بما صنعت ثياب خزاية سودا ، تولى صبغهن العار[2]

وهكذا يمدنا الشاعر بسيل من هذه اللوحات الاسيانة التي تبرزها ظلال الحزن والالم، وتلونها بشفق الدم الحسيني الذى صمد في الثلة القليلة من الصحب مجسدا صمود الحق للباطل ، والنور للظلمة.

لقد حارب الامام الحسين الوثنية في المجتمع بعد ان حارب جده الوثنية في الفكر [3]، فاكمل بذلك رسالة جده، وعلى نهجه سار.

يزخر شعر السيد حيدر- عبر تمثله الشعرى لمأساة الطف بالنقمة على هؤلاء الذين حاربوا الله ورسوله، حين قتلوا حماة الرسالة النبوية السمحاء، لذلك راح يخاطبهم، ويذكرهم بانهم اراقوا دم الاسلام يوم اراقوا دم الحسين:

درت آل حرب انها يوم قتله أراقت دم الاسلام في سيف ملحد[4]

لذلك فان الناعي الذى نعى الامام الحسين، انما نعى مقلة الاسلام وشطر قلب الدين، فلله ابوهم اى جناية جنوا، حتى نعاه جبريل في السماوات والارض:

---

(١) نفسه ص٩٩.

(٢) الديوان ج١ ص٨٣.

(٣) الامام الحسين للعلايلي ص٤٩٠.

(٤) الديوان ج١ ص٧١.

نعى من دعا بالدين حيّ على الهدى   اناسا دعوا بالشرك حيّ على الكفر[1]

هذه لمحة عن صورة الامويين في شعر السيد حيدر الحلي ونظرته التى تتلاقى مع نظرة كثير من المؤرخين المحلّلين، فماذا عن الهاشميين عنده؟؟

الهاشميون:

الهاشميون في شعره على نقيض الامويين، سادة نجب، مناجيد، مطاعيم، مطاعين، لباسهم الوغى، وهدفهم حماية الاسلام، راموز الوفاء والتضحية، وعنوان الحفاظ على العهد ورعاية الذمم.

نراه مأخوذا - عبر شعره فيهم - بنسبه الهاشمي، فقد اجتمعت فيهم النبوة والامامة، وكانوا رمز المثالية الاسلامية، وعنوان الشهامة العربية على مسار الزمن.

تتجلى نزعته القبلية اكثر ما تتجلى عبر افتخاره بنسبه، وخلال دعوته الدائبة للهاشميين لان ينهضوا طلبا لثأرهم، لذلك يخاطبهم مستنهضا:

اتوانيا ولكم باشواط العلى   دون الانام الورد والاصدار[2]

لكن هؤلاء الهاشميين الذين يخاطبهم، ويستصرخهم للنهوض دركا لترتهم وانتفاضا ضد الجائرين الظلمة. هؤلاء كما يتبدى لنا ليسوا الهاشميين نسبا وحسب، وانما هو يمزج بين الهاشميين ولاء ونسبا.

اكثر ما يستبين هذا التمازج عبر حديثه عن صحب المهدى. هؤلاء الكواكب الذين سيحفّون في ليل الكفاح بنيّرهم، وقطب وغاهم (صاحب الامر) . فهو آن يتحدث عنهم ينبه في وعينا مدى التداخل بين الهاشميين ولاء ونسباً. فاصحاب المهدي المنتظر كما تتحدث عنهم المصادر الشيعية، ليسوا من قبيل واحد، ولا من بلد واحد ولا من عرق واحد، بل هم من مختلف الاجناس البشرية، ومن مختلف البلدان.

وهو اذ يتحدث عن هذه الكوكبة الزاهرة، فانما يصورهم لنا بانهم آل الوغى الذين يلبسون عدوهم ذلة الصاغر امام عزة الحق وسؤدد العدل، و يراهم صفوة المجد من هاشم:

---

(١) نفسه ج١ ص٨١.

(٢) نفسه ص٨٣.

هم صفوة المجـــــــد من هاشم وخالصـــــة الحسب الفاخر[1]
كواكــب منــك بليــل الكفــاح تحف بنيرهـــــا الباهر

فنراه - هنا - يخاطب الهاشميين وعينه على كل اتباع الائمة وشيعتهم.

هذا التمازج بين الهاشميين ولاء ونسبا ليس دائما عند الشاعر، ولكن نراه في اماكن اخرى من شعره يخاطب الهاشميين حسبا ونسبا. اذ يناديهم ويهيب بهم باسماء جدودهم القدامي، أس العز، وسنام المجد. فكثيرا ما يفتتح قصائده بآل فهر وآل نزار، ولؤي، وغالب، وقصيّ، الى غير ذلك من اصول الفرع الهاشمي. لكن اكثر هذه الاسماء ترديداً هو اسم هاشم».

ولعل في استشراء النزعة القبلية في ايامه، والعنصرية التي كان يمارسها الاتراك ضد العرب يومئذ، لعل ذلك جعله يعتد كثيرا بقبيلته، ويرى ان اخذ الترة، كما هي عادة العشائر حتى اليوم، رهن بابناء القبيلة الموتورة لذلك راح يخاطب ابناء قبيلته:

أهاشم لا يوم لـك ابيـض او ترى جيـادك تزجي عارض النقع اغبرا[2]

ثم يلتفت مستوقفا ما يثيره معنى غالب من الغلبة، وكونه من اسماء الاسد حامي عرينه، فيهيب بقبيلة الغالبين التي الفت اكفهم الطعان متعجبا من قعودها متسائلا:

الى الان لم تجمع بك الخيل وثبة كانك لا تدرين بالطف ما جرى[3]

لعل وراء هذا الاحساس المتدفق بالفخر بهاشم، ما اكد عليه النبي محمد من ان مخلص البشرية ومقيم دولة العدالة الاجتماعية انما هو امام قرشي هاشمي من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام. من اجل هذا راح يستنهض الهاشميين عبر استنهاضه القائم المنتظر، يريدهم ان يسهموا في معركة الخلاص البشرى، لان في كل يوم نرى ممثلالبني هاشم وآخر لبني حرب، تجسيدا للصراع الدائم بين الحق والباطل، حيث كان قدر الهاشميين ان يمثلوا وقفة الحق في وجه الباطل على مدى التاريخ. لذلك استنهض صاحب الامر ملتفتا الى الهاشميين يهيب بهم لان يكون بمستوى الدور الرسالي المعّد لهم :

---

(١) الديوان ج١ ص٧٤.
(و ٣) نفسه ص ٧٨.

ان ضاع وترك يا ابن حامي الدين ... لا قال سيفك للمنايا كوني[1]
او لم تناهض آل حرب هاشم ... لا بشّرت علوية بجنين

وثمة ناحية جديرة بان نقف عندها- هنا في رثاء الشاعر الايديولوجي - وهي قضية الولاية وما كان لها من دور بارز.

ولاية الائمة الاطهارفي شعر السيد الحلي:

ان ولاية الائمةوالتقرب بحبهم وموالاتهم الى الله ناحية مهمة عند الشيعة الامامية، بله المسلمين جميعا. هذه الناحية جديرة بالوقوف عندها في رثاء السيد حيدر الحلي، خصوصا ما دمنا نتوفر على مدارسة شعره الايديولوجي.

ان ولاية الامام علي ذات دور فعّال وبارز على المستوى الايماني والعقائدي، يكفي ان نذكر هنا انه بعد ان نصبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم - خليفة ووصيا من بعده، بعد حجة الوداع عند غدير خم، يكفي ان نذكر هنا ان القرآن الكريم قد احاط ذلك التنصيب بهالة رائعة واضفى عليه من الاهمية بان جعل في ذلك اليوم وإثر ذلك التنصيب اكمال الدين واتمام النعمة[2].

«اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا»[3].

الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي وردت في حق علي واشارات الى منزلته من النبي ومن المسلمين.

هذا الى جانب الاحاديث المتواترة التي قالها النبي حول ولاية الامام علي ابن ابي طالب من انه: «قسيم الجنة والنار». و «حامل لواء الحمد». و «لا يجوز احد على

(١) الديوان جـ١ ص١١١.
(٢) لقد وضع الشيخ الصدوق كتابا بهذا الاسم.
(٣) المائدة الاية ٣.

الصراط الا بجواز من علي »[1] وفي « ان عنوان صحيفة المؤمن حب علي ابن ابي طالب ».[2]

لذلك لاينسى الشاعر دور هذه الولاية التي حثّ على التمسك بها الرسول الاعظم، ودعا المسلمين الى التعلق بحبالهالانها الطريق الى رضوان الله

الم يقل الرسول في ما قال « اهل بيتي امان لامتي »[3]، حاضا بذلك على توليهّم ومتابعتهم. الم يقل مبينا مدى اهمية اتباعهم، منبها الى فعالية ولايتهم « مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح »[4].

فكيف لا نتمسك بالولاية ونعانقها بلهفة ومحبة، وهي سفينة نجاتنا من كل طوفان.

هذه الولاية بما لها من ابعاد وآثار لا يمكن ان ينساها الشاعر وهو الايديولوجي الملتزم، لهذا رايناها انسربت في اعماق تجربته الشعرية انسرابا رائعا، تشير في ما تشير الى مدى تمثله لايديولوجيته ومعانقته لها على كل صعيد.

فهذه الولاية ولاية آل البيت مشفوعة بما عرف عنه من التزام ديني وايمان عميق هي ما يقدمه الشاعر بين يدي اعماله رجاة نوال ثواب الله ومغفرته.

بولاء ابنـــاء الرسالـــة اتّقي   يوم القيامـــة هولهـــا وبلاءهـــا[5]

انطلاقا مع التمثل لولاء ابناء الرسالة المحمدية نراه يستوحي احاديث الرسول في هذا المجال من مثل قوله عليه الصلاة والسلام « حب علي ايمان وبغضه نفاق »[6].

لقداستوحىالشاعر هذا الحديث وغيره من الاحاديث التي تدور في هذا الفلك، بمقدرة فذة وموهبة ملهمة، وذلك عبر قوله متحدثا عن مدى تغلغل حب آل البيت في اعماقه:

---

(١) نلاحظ هذه الاحاديث في كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة من ص ٩٥ - ١٠٦، ومثل هذه الاحاديث متفرقة في هذا الكتاب مع ذكر كتاب الحديث المأخوذة منه.

(٢) نفسه ج٢ ص٢١٨

(٣) نفسه ج١ ص٥٩.

(٤) نفسه ج١ ص٥٦.

(٥) الديوان ج١ ص٥٥.

(٦) فضائل الخمسة ج٢ ص٢٧.

لـيرى الالـه ضجيـع قلـبي حبهـا   وضجيـع جسمي مدحها ورثاءها[1]

يستبين لنا ـ هنا ـ مدى تغلغل هذا الحب ـ الايمان في اعماق قلبه ومقّومات كيانه، حتى راح يرتل انغام حبه على مسمع الدنيا، متخذا منها وسيلة يستشفع بها عند الله.

اما وقد افعم هذا الولاء للنبي وآله قلبه، وتغلغل حبهم في اعماق وجدانه فهو يرى ان الله لن يقلّده صحيفة شقوته، وانما سيعطيه كتابه بيمينه، ما دام ان جيد شعره تزينه قلادة مدحهم وثنائهم، لذلك راح يعانق الولاء بلهفة اشد وبحرارة اعمق، اذ ان صحيفة اعماله سيحملها في عنقه غير وجِل ولا هيّاب. ما دام قد ضمن جلاء تلك الصحيفة ولاؤه للرسول وآله فلذلك راح يردد مبتهجها:

بـل اين من عنقي صحيفـتي الـتي   اخشى، وقـد ضمن الولاء جلاءها[2]

وهو طالما اعتمد على هذه الولاية، وطالما تطامن لهذه الشفاعة، يقدمها بين يدي اعماله ويختتم بها رحلاته الشعرية في اقطار عظمتهم:

فتقّبلوهـــــا انــــــني   لغـــــد اقدّمهـــا ذريعـــــه[3]
أرجو بهـــــــا في الحشر را   حـــــة هـــذه النفس الهلوعـــة

هذه الشفاعة التي اشار اليها النبي والائمة والتي كانت سبيل محبّيهم الى دار الوصال، لم تكن وقفا على السيد حيدر الحلي، ولم يكن نسيج وحده في هذا المجال، يكفي ان نذكر هنا ان الصادق عليه السلام طمأن بها هشام بن الحكم اثر محاورته للمتكلم الشامي وانتصاره عليه، اذ قال الصادق لهشام « مثلك فليكلم الناس، اتق الله الزلة، والشفاعة من ورائك »[1]

---

(١) الديوان ج١ ص٥٥.

(٢) الديوان ج١ ص٥٥.

(٣) نفسه ص٩٢ويلاحظ ايضا ص٩٥، وص ١٠٠ حيث يدور في نفس الفلك الولائي.

(١) دارت هذه المحاورة بين هشام بن الحكم والمتكلم المتفقه الشامي الذي قصد الامام الصادق ليحاور اصحابه في المدينة حول الامامة والخلافة فحاوره بعض اصحاب الإمام الصادق وانتصروا عليه خصوصا هشام بن الحكم وقد كان يومئذ صغيرا لم تختّط لحيته، تلاحظ هذه المحاورة في كتاب الارشاد للشيخ المفيد ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠.

رثاء الاحبة والاصدقاء:

ما دمنا قد وقفنا مع رثاء الشاعر وبيّنا المجالات التي اجر فيها شراع شعره الرثائي ينبغي لنا ان نشير هنا - ولو اشارة عابرة، استكمالا للمنهجية - الى رثاء احبابه واصدقائه الودودين.

لعل اول ميزة في هذا الرثاء صدق الشعور وحرارة البث، وعمق التأثير، فهو يغمرنا بأمواج مشاعره المتدفقة، يلهب وجداننا بلظى الوجد الذي ينتابه، والاحساس الآسر الذي يخالج نفسه ، آن يفوّز واحد من هؤلاء الذين اشتبكت بينه وبينهم أواصر المحبة، ووشائج الالفة فتنفرج امامه النافذة التي تطل على الاسى، وتنفتح الكوة التي تشرف على تجارب الالم والحرمان، على المصير الرهيب.

هذا كما ان الشاعر الموهوب - ككل فنان اصيل - يتجاوز الاشياء المباشرة الى ما وراءها، فهو يستشف حقيقة الوجود، يتجاوز العرض ليدرك الجوهر، حتى اذا ألمّ قدر مرد بما يرفع السد الاني من امام الروافد الحزينة التي تصب في نهر شاعريته، يبدأ آنذاك التدفق او قل الفيض، فيمسك الشاعر بيراعته، يغطها بالمحبرة السوداء، ثم يروح ينغّم الحان اشجانه على اوتار هذه القصائد التي تفيض حزنا والما، وتنم عن وفاء فذ واخلاص فريد. من تلكم القصائد المستعبرة: قصيدته في عمه، قصائده في ولديه الذين اخترمتها المنون في ريعان العمر، وكذلك في اخيه، وفي اصدقائه الخلص من آل كبة والقزويني[1].

في هذا القسم من الرثاء نرى نوعا من التلاقي بين رثاء نفسه ورثاء احبابه امام غثاء الوجود وتجارب الالم.

---

(١) تلاحظ هذه القصيدة في الجزء الثاني من الديوان باب الرثاء

.. في قصيدته لعمه، نرى الاسى قد بلغ به ابعد مدى، لقد استطار فؤاده لموت عمه، وفت في عزيمته، ضعضع كيانه، حتى تمنى اللحاق به مناجيا اسياف الموت المصاليت:

أظُبا الردى انصلتي وهاك وريدي ذهب الزمان بعدتي وعديدي[1]

وهكذا يتسلسل في هذا الدفق الآسي والشعور الحزين، مدفوعا بميفائية عجيبة ان يفدّي عمه البر التقي، الذي كان احنى عليه من اب، وأرأف من أم، لشديد اعتنائه به ورعايته لمراحل تربيته ونشأته، حتى جعله في الارث كأحد اولاده، وبالغ في السهر على تعليمه، وتلّمذه على اساطين العلم والادب.

لقد كان هذا العم مجنّه - كما يقول عنه - ضد نكبات الايام، والواحة الوارفة التي يأوى اليها من اذى هواجر الحياة.

ونحن لنتعرف على مكانة هذا العم السامية على مستوى الدين والدنيا، يكفي ان نرى الشاعر بعد ان يعدد مزاياه ومناقبه، يجعل منه عميدا هاشميا ذا خطر، حتى ان رزأه يذكر برزء الاما م الحسين، خاصة اذا لم يغب عن بالنا ان الشاعر - كما قدمنا من قبل - ملتزم وكان من اشهر من رثى الحسين عليه السلام، يطالعنا هذا عبر حديثه عن الاسرة الهاشمية التي:

لم تقض فقد عميدها بمحرّم الا واردفها بفقيد عميد[2]

يبكي عليه الدين بالعين التي بكت الحسين اباه خير شهيد

وهنا يتبدى لنا عمق تأثره بمصرع الامام الحسين ومدى ملازمته لوجدان الشاعر حتى يذكره عند كل نازلة.

.. في هذاالنوع من الرثاء- نلاحظ كما اسلفنا- مدى التمازج بين رثائه لنفسه ورثائه لاحبابه عبر تصويره القدير للوعة والحزن واثرها بنفسه باعمق تصوير.

اكثرما يلاحظ ذلك في غضون رثائه لاولاده. ففي رثاء طفل صغير له يقول

---

(١) الديوان ج٢ ص٨٧.

(٢) الديوان ج٢ ص٨٩.

مخاطبا الزمان لكثرة ما صب عليه من مآسٍ :

هـــل يطربنـــك يـــا زمـــان نعـــائي ام انـــك استعذبـــت مـــاء بكـــائي[1]

هذا المطلع الى جانب كونه يصور غلبة الاسى على طبع الشاعر[2] الذى عصف به من النكبات وحلّ به من الخطوب ما جعل رثاءه لنفسه يمتزج برثائه لاحبابه حتى راح يصطرخ في اعقاب افتقاده لهم مكملا شكايته من الزمن:

لم تبـــق لي جلـــدا وكنـــت اخالـــني جلـــدا بكـــل ملمـــة دهيـــاء[3]

لقد نسج على هذاالمنوال من التفجع وتنكر الايام له في رثائه اخاه وولده سليمان قصائد تتفجر حزنا وتمور الما،-مخلفة في قلبه جرحا رغيبا لا يندمل.

..من هذا الرثاء الحزين في الخلان والاصفياء رثاؤه في آل كبة وال القزويني لما كان له مع افراد هاتين الاسرتين العريقتين من صلات ود ووشائج اخاء، جعلته يسجل الاعم الاغلب من افراح واتراح الاسرتين.

من ابرز ما في هذا الرثاء من ظواهر، انه لا يتحدث عن الحزن العميق الذي انتابه شخصيا وحسب، وانما يستطرد الى التعبير عن مدى تأثير الحزن على الصعيد العام. وهذا طبيعي ما دام يرثي سراة كراما من ذوى المكانة في المجتمع الذين قضوا والحياة من حولهم تمور.

ففي رثاء الحاج مهدى كبة يقول مصورا مدى الفجيعة بفقده:

غمضـــت بغتـــة جفون الفنـــاء فوق انسان مقلـــة العليـــاء[4]

ولـــه نقبـــت بغاشيـــة الحزن محيّـــا الدنيـــا يـــد النكبـــاء..

الشاعر في هذه القصائد اقرب الى الكلاسيكية، فله جولات طويلة مع كرم المرثي وهول فقده ورزء العفاة به، لكن في هذه القصائد من توشي الحزن وسيرورة الشعور بالفقد، ما يجعلنا نفرّق بينها وبين المدح بأكثر من التعبير بالصيغة الماضوية في الرثاء وذلك حين نصيخ اليه يهتف واجدا متأثرا في القصيدة نفسها:

(١ و ٢) نفسه ص ٦٣.

(٣) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤٣.

(٤) الديوان ج٢ ص٥٨.

يا عقيدى على الجوى كبر الخطب فأهون بالدمعـــة البيضـــاء[1]
اجر من ذوب قلبك الدمعة الحمراء حزنـــا في الوجنـــة الصفراء
عود صبرى من اللحا قد تعرّى فانبــذ الصـــبر لوعـة في العراء

ونماذج هذا النوع من الرثاء كثيرة.[2] كلها تنم عن الشاعرية المبدعة عند هذا الشاعر الملهم، ومن قصائده في الرثاء الجديرة بان نقف عندها قصيدته في العلامة الكبير السيد مهدى القزويني والتي مطلعها:

أرى الارض قد مادت لامر يهولها فهل طرق الدنيا فناء يزيلها[3]
واسمع رعدا قد تقصف في السما لمن زمر الاملاك قـام عويلهـا
تأمّل فاما الساعة اليوم فاجأت واما الـتي في العالمـين عديلهـا

ان في هذه الابيات التي اجتزأناها من اول القصيدة، الى جانب ما قدمنا من نماذج، لاكبر دليل على مدى الوفاء والصدق في الاخلاص عند الشاعر، كما انها دليل كبير على مدى قدرته وامتلاكه لزمام الرثاء عن جدارة واهلية.

وهنا ينبغي ان لا ننسى ان هذا الشاعر عاش في القرن التاسع عشر، ونحن ننظر الى هذا الشعر بتقدير واكبار، واذا ما زلنا - حتى اليوم - شديدى الاعجاب بهذا النوع من الشعر، وذلك عبر الترديد الدائم لقصيدتي شوقي والاخطل الصغير في رثاء سعد زغلول[4]:

وبعقد مقارنة بين هاتين القصيدتين وامثالها من قصائد القرن العشرين وقصيدة السيد حيدر الحلي، مع ما بينها من بعد زماني، نلاحظ كيف تقف قصائد السيد حيدر تياهة ميادة.

وهذا ما يجعلنا نتطلع نحو هذا الشاعر العبقرى بإكبار شديد ونسجل له تلك القصائد بذلك الاسلوب الجزل واللغة الرصينة، ونعتبره في طليعة رواد الشعر

(١) نفسه ص٦٠
(٢) انظر الديوان ج٢ من ص٥٧ الى ١٦٠.
(٣) نفسه ص ١٣٠.
(٤) مطلع الاولى:
شيعوا الشمس ومالوا بضحاهـــا وانحنـــى الليـــل عليهـــا فبكاهـــا
(الشوقيات الجزء الثالث المراثي ص١٨٥).
ومطلع ال[illegible]ة:

الكلاسيكي الى جانب شوقي ومعاصريه من الرواد. مع ان بينهم من المسافة الزمنية، والمساحة الثقافية والحضارية، ما يقعد بالمسافر على شفا التراجع، الا اذا كان هذا المسافر الرائد هو السيد حيدر الحلي رحمه الله.

رثاء الصنعة:

لا نقصد بالصنعة التكلف وانما هو مجرد تسمية لنميز بين انواع الرثاء التي تعاطاها الشاعر. هذا النوع من الرثاء كثير التواصل واللقاء مع رثاء الاحباب والاصفياء، خصوصا اذا عرفنا ان معظم الذين رثاهم هم من جهابذة العلماء والمراجع الدينيين او من الزعماء الدنيويين، الذين كانت تربطه بهم صلات ود وأواصر صداقة. من هذه القصائد رثاؤه لزعيم الحوزة العلمية والمرجع الديني الكبير الشيخ مرتضى الانصاري،[1] والعلامة الكبير الشيخ محمد حسن الجواهري[2].

ومن الجدير بالذكر انه في رثائه للزعماء، وحتى في مدحهم لم يكن يريق ماء وجه شعره على كل عتبة، وانما كان يشيد بمآثر من كان لهم اياد بيضاء في المجتمع وكثير منهم كان يأتي بناء على التماس اقاربهم او بتوجيه من العلماء الدينيين البارزين.

كل قصائده في هذا المضمار- نماذج للشعر الجزل والادب الكلاسيكي الرائد الذى اسهم في النهضة الادبية.

في هذا القسم من الرثاء تتسرب ايديولوجيا الشاعر عن غير قصد، وذلك حين يخاطب ناعي الحجة الانصاري المرجع الديني الكبير مصوراً ما ترك نعيّه في نفوس المسلمين من لواعج وأشجان مهيباً به ان يحمل النعي الى الأئمة لهول الخطب وفداحة المصاب.

قالوا دهـــت مصر دهيـــاء فقلـــت لهم   هـــل غيـــض الليـــل ام هـــل زلزل الهرم
قالوا أجـــــــــل وادهي قلت ويحـــكم   اذن لقـــد مـــات سعـــد وانطوى العـــلم

(ديوان شعر الاخطل الصغير، دار الكتاب العربي سنة ١٩٧٢، بيروت.)

(١) هو المرجع الديني الاعلى الشيخ مرتضى الانصارى اشهر مشاهير فقهاء عصره وكان مضرب المثل في الزهد والورع والتقى ومعرفة الله ١٢١٤ ـ ١٢٨١ يلاحظ قصيدة رثائه ص١١٨ من الجزء الثاني من الديوان وقصيدة ثانية ص ١٤٧.

(٢) مرجع ديني كبير من اشهر مشاهير زعماء الدين في عصره جد الاسرة الجواهرية في النجف وصاحب كتاب: «جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام» ابتدأ بتأليفه عام ١٢٣٠ وانتهي عام ١٢٥٧هـ. وتوفي عام ١٢٦٦هـ.

لذلك فهو يطلب اليه ان يدع هؤلاء المسلمين الذين نبل قلوبهم بسهام نعيه فأصماها:

دعهم فقــد غصّوا بجرعــة ثكلهم   والى الائمة في نعائـــك يمّم [1]
وقــل السلام عليـكم درس التقـى   وعفـــت معالمـــه عفوّ الارسم

هنا لا يتكلف الشاعر للمرثي ما ليس فيه ولا يتملق، اذ ان الصفات التي أغدقها على العلامة الانصارى كان معروفا بها في زمانه، اذ كان واحد عصره تقى وورعا وعلما يعرف سيرته القاصي والداني.

نرى الشاعر في هذا القسم من رثائه ابعد ما يكون عن الافتعال المصطنع والتكلف المريب ، كهذا الذى نراه عند ابي نؤاس في رثائه لخلف الاحمر استاذه ، او لراويته ابي البيداء[2]

هذه هي المجالات التي تعاطى فيها السيد حيدر الرثاء ، وهذه هي الحلبات التي قطعها جوادِ شعره مبرزّا سباقا، فاثبت فيه مقدرته الكبيرة ، وطواعية القافية له، واستئناس الشعر لاسلوبه، بمقدرة نادرة ، حتى امّدنا بنماذجٍ من شعر الريادة للنهضة الادبية، ما زلنا نقرأها بكل اكبار واعجاب، خصوصا اذا علمنا ان هذا الشاعر كان يتمتع بالتزام ايديولوجي، وبتسامٍ نفسي، قلّ ان نجد مثله عند معاصريه من الشعراء، بل حتى ممن سبقوه.

لقد راح يخوض غمار تجاربه، ويردّد قصائده متحديا كل اصناف الاصفاد التي كبّل بها عصره. في حين نرى شاعرا كبيرا مثل شوقي مع انه كان يعيش في ظل مجتمع اكثر رخاء واقلّ استبداداً. ومع ذلك لم يرهص لاية ثورة او انتفاضة فيّسجلها ويشارك في التحضير لها بتعبئة النفوس قبل ان تولد، وانما كان يسجل الاحداث والانتفاضات كلها بعد ان تستقر وتأخذ مكانها في المجتمع، حتى انه كان متسامحا في اشد الفترات حراجة، وادعاها للتعصب للمبادئ والدفاع عنها ، وهي سمة رجل البلاط الذى

---

(١) الديوان ج٢ ص١٤٧.
(٢) يلاحظ العمدة الجزء الثاني لابن رشيق ص١٥١، والشعر بين التخطي والالتزام لعلي شلق ص١٧.

عليه ان يستقبل صاحب السلطة ايا كان بالانحناءة المحفوظة والابتسامة المعروفة[1]

هكذا كان شوقي في حين ان السيد حيدر الحلي، كان يعلن متحديا متهددا وبالتزام ايديولوجي، يستنهض صاحب الامر ليخلصهم مما هم فيه من ويل ونكبات كانت تصب عليهم من كل فج وصوب، حتى استطاع ان يصرخ غير هياب ولا وجل مخاطبا صاحب الامر مقارنا بين الحالة الاجتماعية في عهده وبينها في عهد الامام الحسين:

اجـــل يومنـــا ليس بالاجنـــبي   عن يوم والــــــدك الطاهر [2]

الى غير ذلك من المواقف الشعرية الصامدة المتحدية للطغاة بعزم واباء وذلك عبر استنهاضه الدائم لصاحب الامر، ليخلصهم من نير الاستبداد العثماني، ولا يأتلي ان ينشد قصائده في المجتمعات بكل جرأة وجسارة كأن يقول مخاطبا المهدى:

مـتى رعـاك الله - طـال انتظارنـا   تقـيم عماد الـدين اذ هو مائـل [3]
وتجتـــاح قومـــا منهم كـــل شارق   تغولـــكم شرقـــا وغربـــا غوائـــل

وهكذا بلغ به الاقدام على الدعوة للثورة، والاستعداد للتضحية مهما غلا الثمن، مهيئا نفسه لاى مصير، باثا روح عزيمته ومضائه في نفوس الجماهير لتتأشب حوله رافضة الخنوع والاستسلام، مقتحمة غمار الثورة في وجه الظلم والاستبداد وشعارها كما رسمه السيد حيدر الحلي:

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم   فلا مشت بي في طرق العلى قدم[1]
لا بـد ان اتـداوى بالقنـا فلقـد   صـبرت حـتى فؤادى كلـــه الم

فحين نرى شاعرنا على هذا المستوى من شحذ الهمة وتعبئة النفس، والارهاص بالثورة امام الجماهير نلاحظ ان احمد شوقي كان « رجل البلاط في جميع الاوقات، ينفّذ دائما وصيته في مجنون ليلي [2].

اذا الفتنـــة اضطرمـت في البـلاد   ورمـــت النجـــاة فكن امّعـــه

(١) كتب وشخصيات لسيد قطب ص٢٦٣.
(٢) الديوان ج١ ص٧٦.
(٣) نفسه ص١٠٠.
(١) نفسه ص١٠٣
(٢) كتب وشخصيات لسيد قطب ص٢٦٣.

بينا نسجل بغداد التجلة والاكبار شعر السيد حيدر الذى استطاع ان يدق نفير ثورة عبر شعره، رغم ما كان من جاثوم الترك فوق كاهل الشعب بشكل سراطين فتاكة، وبرغم الغزوات الهمجية التي كانت تهب ريحها بين الفينة والفينة، مغيرة على المقدسات، تعمل ايدي السلب والنهب في زوار النجف وكربلاء ، مذيقة للشعب ابشع انواع القتل السوائمي والاجتياح النيروني.

القافية المطواع في شعره الرثائي:

قبل ان نختم فصل الرثاء الايديولوجي لا بد من وقفة وان تكن عجلى مع القافية وصياغتها عند هذا الشاعر. اذ انه اظهر مقدرة عجيبة على تطويع القافية وامتلاكه لناصيتها بشكل يستوقف قارئ شعره.

لقد استطاع ان يستخدم القافية لاغراضه استخداما يكاد يكون فريدا، فانقادت لمبتغياته انقيادا عجيبا ان القافية الجميلة تتعرى بين يديه تستسلم لانامله، تحلّ ازارها، بحيث يستطيع هذا الشاعر ان يقبّل اى موضع شاء من جسد هذه الحسناء.

ما رأيك بشاعر يعمد الى القافية المهملة التي لا تعن على بال شاعر.. يأخذها فيجلوها فيلبسها ابهى الحلل الشعرية، ويضمخها بآرج العطور، حتى تخرج من بين يديه عروس فتنة خلابة وآية رائعة من آيات الفن والجمال.

يعمد هذا الشاعر الى الكلمة اية كلمة خصوصا في مجال الفخر والحماسة والشعر الملحمي، يلج بها الى هيكله، يعمل فيها ازميله الشاعرى، ليدخلها في تركيب وسياق فاتنين، ثم يلبسها حلة اسلوب تعبيرى ولا اروع، فتتحول العملية عنده الى نوع من الخلق والابداع المتكاملين، فتتعاضد سائر الخلايا والاعضاء لتنهض بايجاد خلق سوي متكامل بهجة للناظرين.

لقد أُوتي الشاعر من مقدرة على صهر سبائك القوافي. مما جعله يستطيع أن يدخلها في اى قالب شاء وعلى مستوى من الجمال ودقة التركيب وروعة الانسجام وحلاوة الانسياب بحيث تأسر لب عشاق الجمال ومتعبدي الفن.

من هذا القبيل اننا نراها - على سبيل المثال - يستطيع ان يضفي على كلمة قذاة مثلا نوعا من الهالة الجمالية الرائعة.

هذه الكلمة ربما تجاوزها اى شاعر آخر الا اذا كان يريد ان يعبّر عن ناحية من التكدّر والاشمئزاز فيستعيرها في هذا المجال ليعبّر بها عن ضيقة بامر هو «كالقذاة في العين».

اما ان يختلق منها معنى في الفخر الحماسي فيقلب المعايير ويتسامى باللغة فهذا ما تكلّفت به براعة السيد حيدر الصناع، حين سلكها في نظام عقد شعري حتى تبدّت هذه الكلمة الملفوظة من غيره، واسطة عقد عنده - ولا أحلى. وذلك عبر حديثه عن صمود الامام الحسين وابائه:

أكل اللوم هاشا بعد يوم شربت فيه نفسك المرهفات[1]
بأبي طامحا بطرف اباء لم تلح وسطه لضيم قذاة

الله..الله للشاعر العبقري الملهم يحيل كلمة (قذاة) بقدرة قادر من معناها المزدرى، الى صورة رائعة تستأثر بالاعجاب الشديد.

والله الله لهذا الشاعر الموهوب يستخرج من كلمة (قبال) وهي سيور الحذاء معنى مبدعا رائعا، وكأنه عالم الذرة يفجّرها فتتولد منها هائلة. وذلك حين يفدّى الحسين وأصحابه بنفسه، وانى له ان يستطيع تفدية ثمال هلاّك الورى وملاذهم، هؤلاء النخبة من البشر الذين جمعوا اسباب الشرف والسؤدد على كل صعيد حتى صاح من فرط اعجابه:

عجبا من رجلها ما قطعت في طريق المجد من نعل قبالا[1]

.. ومثل هاتين الكلمتين بل هاتين القافيتين كثير في شعر هذا المبدع اذ يستطيع عبر تشذيب اللفظة ان يدخلها في سياق تركيب شعري رائع الى درجة الابداع ككلمة «اللحاء» قشر الشجرة مثلا.

لننظر كيف فجّر طاقة هذه الذرة القافوية تفجيرا يزخر بالشاعرية الموهوبة المعطاء. فهو حين يتحدث عن بطولة بني الزهراء، هؤلاء الصيد الذين يطلعون ثنيات الحتوف بمضاء السيوف وقضائهاوبأشابةمن لابطال الصناديد، من كل منتجع في الروع

(١) الديوان ج١ ص٦٤.

(١) نفسه ص١٠١

سوداء مهج العدى برائد رمحه الذى لا يطاول، هذا البطل الضامد الابي:

ان تعر نبعـــة عزّه لبس الوغـــى　　　حـــتى يجـدّل او يعيـد لحاءهـا[٢]

أرأيت الى هذه المقدرة الفذة ولهذه الالهامية العجيبة، كيف استطاعت ان تبدع من سواد الليل فجرا ورديا ولا ازهى.

لا تقتصر مقدرة الشاعر في هذا الصعيد على هذه المزية، بل ان له معها انطلاقات تفوّق وشحنات ابداع في اكثر من مضمار وعلى اكثر من مستوى.

ان المزاوجة التي تتم على يديه بين اللفظ والمعنى، بين الشكل والمحتوى، عبر انتظامها في سلك التعبير لتشف عن ذائقة نادرة، ورهافة حس فذة، وموهبة شعرية ملهمة.

فقصيدته «الجيمية» في رثاء الامام الحسين، وقصائده على القوافي الصعبة الاخر امثال «الزاى» و«الشين» و«الصاد» و«الضاد» و«الطاء» و«الظاء»، استعماله لهذه القوافي التي يجافيها غيره من الشعراء بطريقة مبدعة يجعلنا نقف امام شاعريته مكبرين مأخوذين بهذه الموهبة الفريدة.

لقد روّض السيد حيدر هذه القوافي الجامحة الحرون، فاستلانت لريشته بطواعية وانسياب عجيبين، حتى جاءت على يديه عذبة مستحبة، تميس غنجا وتتيه دلا.

وما علينا الا ان نرجع الى الديوان لنقرأ هذه القصائد، فنقف على مدى طواعية هذه القوافي العصيّة، حتى بدت مستساغة مستملحة..

والشاعر نفسه كان مدركا لهذه المقدرة التي أوتيها وكاد يتفرد بها من اسلاس قياد القوافي له، وافتتانه البدع بطريقة اخراجها، وهذا ما عبر عنه في بعض قصائده مخاطبا آل الرسول:

وبـــــــــكم اروض من القوافي　　　كـــــــل فاركـــــة شموعـــــه[١]

تحكي مخايلهـــــا بروق الغيـــــث　　　معطيّـــــــة، منوعـــــــه

فلـــديّ وكفّهـــا وعنـــد سواي　　　خلبّهـــــــا لموعــــــه[٢]

(٢) نفسه ص٥٣.

(١) الديوان ج١ ص٩١.

(٢) نفسه ص ٩٢.

هذه هي - بعد - محاولتنا في ان نقف على الظواهر الايديولوجية في شعر السيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين. ونحن لا نستطيع بهذه العجالة وبقدر معين من الصفحات ان نتوفر على مدارسة كل قصائده واستلهام خصائصها. اذ ان كل قصيدة جديرة بالمدارسة منفردة وفي نواح كثر.

هذا وان الذي يقرأ هذه القصائد يستطيع ان يقف على مدى اصالة الموهبة الشعرية التي استطاعت ان تعانق ايديولوجيتها بحميمية واخلاص، يستعلى على التقريرية والمباشرة، وذلك حين ينقلنا على اجنحة شعره الى اعماق معاناته عبر رعدة الحياة التي يرعشها في حنايانا، وعبر التوصيل الشعوري الشعرى الذى يكهرب به ذواتنا، ومن خلال الذبذبات الايحائية الوهاجة التي تتمشى في اعماقنا، مما يطبع في نفس المتلقي اثرا ابعد، وشعورا اعمق، فنشرك الشاعر في حرارة معاناته واملاءات احاسيسه ووجدانه، ونعايشه معايشة المعاني المكتوي بنار تجربته.

فيتحلّل معه - القارىء او المستمع من كونه مجرد قارى او مستمع، وهذه ابعد غايات الشاعر وارقى متطلعاته، ليصبح معانقا لقضية الشاعر وكأنها قضيته الخاصة، لانها قضية الانسانية ومتطلعاتها في كل زمان ومكان.

ويطالعنا -هنا مقدرة الامتزاج الحار العميق بين التجربة الشخصية والقضية العامة التي تتمدد في وجداننا بلا وعي ودونما قصد، عبر اطر الوحدة الداخلية العميقة التي هي الاساس الذي يبني عليه تجربته الشخصية وقضيته العامة معا، في مدّ شعرى ثرّ، يتراءى عبرها الشاعر دائم الحضور، يبتهل بخزين الذاكرة ليضيء معالم الحلم، وفي معانقة شعرية لايديولوجيته ولا أروع، ينسحب بها على كل قارىء او متلق لشعره، في اسمى مطمح يصبو اليه شاعر.



الباب الثاني :

السيد حيدر الحلي

الفصل الأول حياة السيد حيدر الحلي:

بعد ان وقفنا على ايديولوجيا هذا الشاعر، لا جرم ان نتساءل من هو وما هي حياته التي نمت عبر مسارها ايديولوجيته.

البحث الاول: من هو السيد حيدر الحلي؟

أ- **اسمه ونسبه:** هو حيدر بن سليمان[١] بن داود بن سليمان الكبير بن داود بن حيدر بن احمد بن محمود بن شهاب بن علي بن محمد بن عبد الله بن ابي القاسم بن ابي البركات بن القاسم بن علي بن شكر بن محمد بن ابي محمد الحسن الاسمر بن شمس الدين النقيب بن ابي عبدالله بن زيد الشهيد بن الامام زين العابدين بن علي بن الامام الحسين السبط بن الامام علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صريحة يعرب وعنوانها وفخر عدنان ومجدها[٢].

نسب كأن عليه من شمس الضحى   نور من فلق الصباح عمودا

ب -**كنيته:** له كنيتان: ابو سليمان وابو الحسين[٣]، ولعل مرّد ذلك الى ان ولده سليمان توفي وهو حدث السن[٤]. فاصبحت كنيته ابا الحسين باسم ولده الاكبر بين الاحياء، ومن ثم غلبت عليه هذه الكنية.

البحث الثاني: اسرته اصولا وفروعا:

اصوله: جده الاعلى هو السيد سليمان بن داوود وكان يلقب بالمزيدى نسبة الى المزيدية حيث توجد لذريته ضياع تعرف بضياع آل شهاب[١]. ولد في النجف الاشرف سنة١١٤١هـ حيث نشأ ودرس العلوم المختلفة من لغة وادب وفقه وطب. ثم غادر هذه المدينة واقام في الحلة سنة ١١٧٥هـ. وقد احتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره، وله مساجلات ومطارحات مع اعلامهم[٢] وكان يلقب بالحكيم لدراسته الطب. وكان يعد من الاطباء الادباء[٣]، توفي في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٢١١هـ. بالسكتة القلبية.

---

(١) يلاحظ تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ٢ ص ١٣٥ - ١٣٩، ٢ - مقدمة الديوان تحقيق الخاقاني ج١ ص ٧ - ويراجع في الكتب التالية: معجم المطبوعات العربية لسركيس، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمان.

(٢) supplément 2 وهذا الكتاب لا يزال بالالمانية.

(٣) كل الذين ترجموا ذكروا كنيته « ابا الحسين . ما عدا عبد المطلب الحلي ابن اخي المترجم له فقد ذكر له كنيتين بابي سليمان. وابي الحسين

دفن في مدينة النجف،واقيمت له حفلة تأبينية كبرى رثاه فيها ثلة من طليعة ادباء عصره[٤].

جده ابو ابيه:

هو داوود بن سليمان، كان أديبا وشاعرا. جمع القصائد والخطب التي قيلت في رثاء والده وكان احد استاذي ولده سليمان[٥].

والده:

هو سليمان بن داوود، لقب بالصغير دفعا للالتباس بينه وبين جده، ولد سنة ١٢٢٢هـ انشأ يقول الشعر وهو ابن اثنتي عشرة سنة[٦]. تلمّذ على والده داود وعمه الحسين، كان فاضلا، اديبا وشاعرا، له ديوان شعر صغير، ذهب فيما ذهب من آثار هذه الاسرة. وله كتابان في النحو. ومن شعره الذى ينم عن مقدرة في هذا المضمار وعن ميل لرثاء الامام الحسين قوله:

ارى العمر في صرف الزمان يبيد	ويذهب لكن ما نراه يعود
فكن رجلا ان تنض اثواب عيشه	رثاثا، فثوب الفخر منه جديد
واياك ان تشرى الحياة بذلة	هي الموت. والموت المريح وجود
وغير فقيد من يموت بعزة	وكل فتى بالذل عاش، فقيد
لذاك نضى ثوب الحياة ابن فاطم	وخاض عباب الموت وهو فريد[٧]

هذه الابيات كما نلاحظ تنم عن موهبة شعرية وعن صقل وطول تمرس. توفي سنة١٢٤٧هـ مع اخيه بالطاعون الذى كان منتشرا بالعراق، وكان عمر ابنه حيدر سنة واحدة.

اعمامه:

أ- السيد محمد: نعرف من اعمامه السيد محمد الذى توفي بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ.

---

(٤) مقدمة ديوانه ص٢٥.
(٣/٢/١) تاريخ الحلة ج٢ ص١٣٥.
(٤) نفسه ص١٣٧.
(٥) نفسه ص١٣٩.
(٧/٦) نفسه ص ١٣٩.

مع اخيه والد الشاعر المترجم . وقد رثاها اخوهما مهدي بقصيدة مؤثرة[1]
ومهما يكن من امر فان من يهمنا من بين اعمامه بخاصة هو السيد مهدي، للدور الذى لعبه في حياة ابن اخيه حيدر فمن هو السيد مهدي.

-السيد مهدي: ١٢٢٤هـ - ١٢٨٩هـ. ابو داود، مهدى بن داود بن سليمان الكبير ولد في الحلة ونشأ فيها، درس علوم العربية وآدابها على اخيه سليمان، ظل يواصل الدراسة ويمارس النظم حتى صار من شيوخ الادب في الحلة. درس الفقه على استاذين كبيرين في الحلة والنجف الاشرف. كان امام جماعة، وقد جعل من مسجده مدرسة ادبية لتلامذته الذين غدوا طليعة ادباء الحلة[2] تزوج من ام السيد حيدر[3]. بعد وفاة ابيه. له عدة مؤلفات منها: مصباح الادب الزاهر، كتاب في انواع البديع، وآخر في تراجم الشعراء المتقدمين ونوادرهم. الى جانب كتاب وضعه في جزئين كبيرين وهو مختارات من الشعر العربي نسج فيه على منوال ديوان الحماسة لابي تمام[4]، كما ان له ديوان شعر جمعه حفيده عبد المطلب. توفي في مدينة الحلة سنة ١٢٨٩هـ ونقل جثمانه الى النجف حيث اقيم له حفل تأبيني كبير، نظرا للمكانة المرموقة التي كان يحتلها...

اعمام ابيه:
هؤلاء عددهم اربعة اشهرهم السيد حسين بن سليمان. كان شاعرا مطبوعا واديبا مترسلا، وكانت له مكانة سامية عند حكام الحلة وولاة بغداد[5].

فروعه: اولاده: كان للسيد حيدر ثلاثة اولاد وهم:

أ سليمان توفي في عهد ابيه ولقد رثاه بعدة قصائد كلها صرخات حزن ونداءات لوعة يبعثها مشهد زهرة العمر التي كانت بسمة للحياة وسلوانا، صوّحتها يد القدر ولما يكتمل تفتحها بعد.[6]

---

(١) تاريخ الحلة ج٢ ص١٣٩.
(٢) نفسه ١٣٩ - ١٤٢.
(٣) نفسه ص ١٤٢.
(٤) نفسه ص ١٤٢.
(٥) يلاحظ تاريخ الحلة ج٢ ص ١٣٧.
(٦) تلاحظ ترجمة اولاده ص ٢٥ - ٢٩ من مقدمة الديوان للخاقاني.

ب ـ حسين: شاعر، اديب، تلمّذ لابيه وانتهل من نميره العذب، رثى اباه بقصيدة مشجية تتناغم فيها عباراته وعاطفته اسى ووجدا.

ج ـ علي: اديب ينظم الشعر المقبول، درس على ابيه، توفي في الحلة سنة ١٣٤٢هـ.[١]

يتبين لنا مما تقدم عن اعطاء فكرة موجزة عن اسرة شاعرنا، انه كان سليل اسرة عريقة في الادب والشعر. هذه الاسرة التي كان لها المكان الاول بين ادباء الحلة وشعرائها. فاذا عرفنا ان مدينة الحلة كان لها النصيب الأوفر من بين المدن العراقية في مجال الإسهام في نهضة الأدب والشعر[٢]، يخرج لنا اذ ذاك ان هذه الاسرة كانت طليعة الادباء العراقيين بل العرب، الذين رعوا هذه النهضة ودفعوا عجلاتها نحو التقدم، خصوصا على يد السيد حيدر الحلي الذى ساعد على إرساء قواعد بناية الادب، وشمخ بصرحها الشاعري حتى تركت دويّاً متجاوب الأصداء عميق المدى[٤].

مولده:

ولد المترجم له ليلة النصف من شعبان[٣] سنة ١٢٤٦هـ الموافق سنة١٨٣١ م. ولا بد لنا من وقفة عند ليلة النصف من شعبان،لان هذا التاريخ سيكون له اثره في حياة الشاعر النفسية والادبية فماذا عن ليلة النصف من شعبان.

ليلة النصف من شعبان:

هذه الليلة لها مكانه مقدسة عند جميع الفرق الاسلامية، فيحيونها في العبادة، ويعتبرونها في صيغة الاهمية تضاهي ليلة القدر.

---

(١) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ٩٣ وص ١١٠.

(٢) عن المقدرة الشعرية عنده يلاحظ نفس المرجع ص ١٦٢ - ١٦٣ و ١٩٠، وقراءة شعره خير سبيل للوقوف على ميزات هذا الشعر.

(٣) يلاحظ مقدمة عبد المطلب الحلي لديوان الدر اليتيم ص٦ وتاريخ الحلة ج٢ ص١٤٢.

في هذه الليلة كانت ولادة الامام المهدى[١]، وهو الامام الثاني عشر عند الشيعة الامامية، الذى سيملأ الارض قسطا وعدلا، بعدما مُلئت ظلما وجورا، وهو الذي سيستعيد مجد الذين استُضعفوا في الارض،الذين بشر الله سبحانه وتعالى بدولتهم في قرآنه المجيد « ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين »[٢].

خلفيات ليلة النصف من شعبان في حياة الشاعر النفسية:

تشاء المقادير ان يكون يوم ولادة هذا الشاعر متفقا مع ولادة صاحب الامر. وكما يتراءى من خلال مدارستنا لشعره، خصوصا ما كان في آل الرسول، ان هذا الاتفاق في يوم الولادة، لعله ان يكون وراء كثرة مدحه لصاحب الامر واستنهاضه له. حتى لا تخلو قصيدة في مدح آل الرسول او رثائهم عن عروج على ذكر هذا الامام واستنهاضه، يؤيد هذا الذي أُنبهنا اليه، اننا لم نجد شاعراً شيعياً تعلّق بالمهدي واستنهضه، لان يصدع بامره بنفس المقدار والحماس الذي كان من هذا الشاعر، حتى معاصروه الذين ترعرعوا في نفس البيئة وانطلقوا من نفس الايديولوجية، لم يتبنوا المهدوية بنفس الزخم والمد الذين رأيناها عند هذا الشاعر.

ولربما ان يكون اتفاق تاريخ الولادتين، من الأسباب التي دفعت مربية لكثرة الاعتناء به والسهر على تنشئته، تبركا بتاريخ هذه الولادة، والا فكيف نفسر زواج عمه السيد مهدي من ام الشاعر، ثم انعطافه عليه انعطافا كليا، بحيث انكب على تعليمه وتربيته على ارقى الاساليب الادبية[٣]، وحفل به اكثر من اولاده على صعيد التثقيف والتوجيه الادبي، وجعله ايضا كمثلهم في الميراث[١] بل اكثر، هذا وقد حرص على ان يفسح له مجالا في علاقاته مع الوجهاء والاعيان والادباء، حتى انه كان يكل اليه تحرير رسائله، مذيلة بهذا القول (حضر كاتب الحروف ولدنا حيدر يهديكم عاطر التحية)[٢].

---

(١) ليلة ١٥ شعبان سنة ١٢٥٥هـ. ولد الامام المهدي يلاحظ اصول الكافي للكليني، والارشاد للشيخ المفيد ص٣٤٦.

(٢) القصص/٥.

(٣) مقدمة ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص٨.

(١) مقدمة ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص٨.

(٢) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤٢

فكيف نفهم اذن هذا الحرص على ان يقرن اسمه مع اسم ابن اخيه في كل رسالة الى جانب التنويه به والنمّ عن محبته له اذ دعاه بولده.

نشأته:

اغمض ابوه عينيه عن الحياة ولما يتم طفله عامه الاول بعد[٣]. ولكن هيّأ الله له ابا آخر، لم يكن دون ابيه الحقيقي محبة له وحرصا على تربيته ذلك هو عمه السيد مهدى الذي احتضنه وتزوج من امه، ليظل يحيا وكأنه في كنف ابيه وامه. هذا الى جانب ما راح يغدق عليه من عطفه ويواسيه بولده بل ربما شمله برعايته اكثر من سائر ابنائه كما أسلفنا قبل قليل.

وهكذا انصرف العم الوالد بكليته الى ابن اخيه يتلمذه في الادب والشعر، موكلا امر تدريسه العلوم اللسانية المختلفة الى احد ارباب هذا العلم، حاضا ابن اخيه على التمسك بأهدابه محببا له به، ومزيّنا له قراءة قصائد فحول الشعراء[٤].

فراح يتمرس بناء على هذا التوجيه، بنظم الشعر، آخذا من عمه مكان زهير من أوس، وما زال به كذلك حتى احتل المكانة الاسمى في مضمار الشعر الى ان فاق من تقدمه من الشعراء المعدودين كمهيار الديلمي والشريف الرضي[٥].

لم يكتف عمه من تنشئته[٦] بتحبيب الشعر له، بل راح يرفد ذلك بتنشئة وتوجيه خاصين، يكفلان له ان يكون شاعر الامام الحسين بلا منازع.

فهل صحيح ان لعمه دورا في حبه الشديد للامام الحسين، ودفعه لان ينظم فيه زينة قلائد شعره، وان كان ذلك فما هو دليلنا الذى أنبه في وعينا هذه الدعاوة؟؟

---

(٣) ولد الشاعر سنة ١٢٤٦هـ. وتوفي ابوه ينة ١٢٤٧هـ.

(٤ و ٥) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٢، تأليف يوسف كركوش الحلي.

(٦) ينبغي التنويه الى ما في هذا الاسلوب في تنشئة السيد حيدر من الحكمة اذ هو من انجع الاساليب التي ادى بها علماء النفس فقالوا «ان نشأة العقل في الانسان لا تحدث الا بأمرين اولهما ان يزود بكثير من المعاني الجديدة والحقائق النافعة وثانيهما: ان يمرن تمرينا صالحا ونافعا» يلاحظ علم النفس وآثاره في التربية والتعليم لمصطفى امين وعلي الجارم.

دور عمه في تحريضه على قول الشعر في الامام الحسين:

الواقع انه كان لعمه دور بارز في حياته ككل، كما اشرنا من قبل. وقد احتل عمه في قلبه مكانة سامية تظهرها لنا هذه العاطفةالصادقة التي ملأت حنايا قصيدته في رثاء عمه بالصور الحية الناطقة التي يتسرب خلالها شعور عميق بالتفجع والأسى. هذه القصيدة التي يصيح فيها من أعماق أساه وأغوار ثكله:

أظُبا الردى انصلتي وهاك وريدى — ذهب الزمان بعدتي وعديدى[1]
نشبت سهام النائبات بمقتلي — فلحفظ ماذا أتقي عن جيدي

من خلال قراءتنا لهذه القصيدة كاملة يستبين لنا الى أي مدى كان تأثير عمه في حياته، ونستشف شأو المكانة التي احتلها من نفسه، فنراه وهو المسلم الشيعي، يجد في رزئه بعمه فجيعة تقترب بتأثيرها عليه من مستوى الفجيعة بالامام الحسين. وان دلت هذه الظاهرة على شيءفإنما تدل على مدى تغلغل الحزن وتسرب الالم لنفسه من جراء تلك الفاجعة الفادحة. لنستمع اليه وقد راى المصيبتين متداخلتين خصوصا على صعيد قبيلة هاشم تلك التي:

لم تقض ثكل عميدها فحرّم — إلا وأردفها بثكل عميد
يبكي عليه الدين بالعين التي — بكت الحسين أباه خير شهيد
إن يختلط رزآهما فكلاهما — قصما قرا الايمان والتوحيد[2]

ولعل في تداعي هذه المعاني في نفس الشاعر الى جانب شدة حبه له وكبير وجده لفقده، كون عمه توفي في شهر محرم الشهر الذي قتل فيه الامام الحسين، ولعل في حرص عمه في أن ينصرف لقول الشعر في الحسين دوراً في تداعي هذه المعاني.

ونحن من خلال قراءتنا لهذه القصيدة كاملة يتبين لنا الى أي مدى كان تأثير السيد مهدي في حياة ابن اخيه على مختلف الأصعدة خصوصاً في مجال حرصه على تبنّيه لقول الشعر في الامام ~~الحسين عليه السلام~~.

---

(١) يلاحظ ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص ٨٧/٨٩ من الجزء الثاني.
(٢) نفسه نفس الصفحة.

لقد كان هذا العم البار يريد ان يسلك ابن اخيه في مسار نصرة الامام الحسين خلال شعره. فهو لم يكن يهدف ـ عبر تنشئة ابن اخيه الادبية ـ لان يكون علما في صياغة الشعر وحسب، بل كان هدفه ان يكون ابن اخيه احدى قمم الشعر العربي، ولكن في منطلق ايديولوجي معين، هو الاسهام الكبير في قضية الامام الحسين، وقول الشعر في هذه الملحمة البطولية الفذة. فلم تكن نفس العم ترتاح، ولا ضميره يتطامن لغير الشعر الموهوب يفجره ملاحم رائعة توقظ في النفوس معاني التضحية التي قدّمها الامام الحسين، واساليب صموده، ولعله ان يكون قاصدا من وراء ذلك ان يبعث في النفوس المستكينة لحكم الجائرين هبة في وجه الطغيان والظلم الذي كان يغمر ذلك العصر ويرين بجرانه فوق كاهل الشعب من غير ما رحمة و لا شفقة، بل امعانا منه في الظلم كان يتعرض لاسمى مقدساته[1].. ومما يبره على ما انبهنا اليه قول الشاعر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في احدى قصائده الاستنهاضية لصاحب الامر:

وكم نحن في لهوات الخطوب	نناديك من فمها الفاغر
أصبراً على مثل حزّ المدى	ولفحة جمر الغضا الساعر
أصبراً وهذي تيوس الضلال	قد أمِنَت شفرة الجازر
أصبراً وسرب العدى راتع	يروح ويغدو بلا ذاعر
أجل يومنا ليس بالأجنبي	من يوم والدك الطاهر[2]
فباطن ذالك الضلال القديم	مضمره عين ذا الظاهر

ومهما يكن من امر، وحتى لا نذهب شططاً عما نحن بصدده، فان عمه السيد مهدي كان شديد الرغبة في ان يكون المسار الشعري لابن اخيه مسارا حسينيا. ولكن ما دليلنا على ما ذهبنا اليه من رأي.

الواقع ان هذا الذي أنبهنا اليه لم نستقه من اقوال المؤرخين والكتاب الذين لم يفوا هذا الشاعر حقه[1]، ولم يلتفتوا لهذه الناحية وانما نستدل عليه من خلال قراءتنا لشعره. فنحن لو توقفنا قليلا عند ختام قصيدته المأسوية في رثاء عمه لرأينا الشاعر يرشدنا الى المحرض الفاعل الذي كان وراء تبنّيه لقضية الحسين، فهو يصرّح بذلك

---

(١) يلاحظ فصلي العصر والبيئة من هذا الباب حيث يشار لبعض تلك المظاهر المأسوية

(٢) ديوان السيد حيدر ج١ ص٧٦.

(١) يلاحظ تاريخ الحلة ص١٤٢.

قائلا عبر توجيه الخطاب الى عمه:

وأرى القريض وان ملكت زمامه وجربت في أمدٍ اليه بعيد[٢]

لم ترض عنه غير ما قلدته في مدح جدك طاهراً في الجيد

اذن هذه كانت هي رغبة السيّد مهدى السيد داود الحقيقيةان يرى قريض ابن اخيه الذى بلغ فيه شأوا بعيدا إجادة وسبكاً، متحولا صوب الحسين وان تكون تلك القصائد من الجمال والبهجة، بحيث تصبح عقدا ولا احلى يزين الجيد بلألائه وحسن نظامه. فهل ياترى استجاب شاعرنا لرغبة عمه وكان الصيغة الجميلة للامال التي عقدها عليه؟

شاعر الحسين:

لعل اجدر شاعر بهذا اللقب هو شاعرنا. ولست اول من اطلق عليه هذا اللقب. بل ان معظم المؤرخين[٣] الذين تعرضوا له. رغم مرورهم العاجل نعتوه بهذا اللقب مباشرة او غيرمباشرة، بل لقد اعترفوا له بالزعامة المطلقة في هذه المراثي التي بلغ فيها حد الاعجاز حتى خلد مع واقعة الطف خلودا لا يطرأ عليه التلاشي والنسيان[٤]. ولعل في قراءتنا لحسينياته قراءة مستأنيةواعية خير ما يوقفنا على المدى الذى عبر فيه عن رغبة عمه، فزان شعره باجمل عقد توهّج في جيد الادب العربي في مجال الرثاء لآل البيت الاطهار والامام الحسين منهم بخاصة حتى لم ينس ذكره في بقية الاغراض الشعرية[٥].

(٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج٢ ص٨٩.

(٣) يلاحظ على سبيل المثال تاريخ الحلة ج٢ ص ١٤٣، وشعراء الحلة للخاقاني ص ٣٣٣ وما بعدها. واعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج٢٩ ص ١٤ وطبقات اعلام الشيعة ج١ ص ٦٨٦.

(٤) طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٦ تأليف العلامة اغابزرك الطهراني

(٥) يلاحظ ديوان السيد حيدر ج١ ص١٣٤ وعلى سبيل المثال مما يدل على تغلغل هذا الامام العظيم في لا شعورية الشاعر تعريجه على ذكره في القصيدة التي هنأ فيها العلامة السيد مهدي القزويني بقدوم ولده من الحج حيث يخلص للمفاخرة ببني هاشم قائلا لمن يحاول ان يساميهم ويروم شأوهم:

او ما في الحسين ما قد نهاكم ان تطيلوا وراءه التقريبا

سادة للعلى يرشحها المجد وليدا وناشئا وربيبا

...وليس هذا كل ما أثَّر في حياته ورفد جداول افكاره بروافد غنية وانما ثمة مظاهر اخرى لهذا الرافد الجزيل نذكر منها:

١- اثر وفاة ابيه وعمه محمد بالطاعون اذ توفيا في ليلة واحدة، مما جعله يناشد بدافع من ايديولوجيته صاحب الامر مستغيثا به لدى الالَه، لكي يعجّل بإنقاذهم وبإطفاء نار الوباء التي شبت ملتهبة، تلتهم الناس بسعر جنوني، لنستمع اليه مستغيثا بالامام المهدى:

يـــا ابن الامـــام العسكري ومن	ربُّ السماء لدينـــه انتجبـــه[١]
أفهكـــذا تغضي وانـــت ترى	نـــار الوبـــاء تشب ملتهبـــة
لا تنطفي الا بغاديــــــة	من لطفـــكم تنهـــل منسكبـــة

شعوره بالزعامة الادبية:

لقد كان يحس انه هو زعيم ادباء العراق، ولقد صرح بذلك في احدى مراسلاته مع بعض الادباء، عبر قوله: «فلقد علم هذا العصر، اني لسانه الذي انتهت اليه مقالة الشعر»[٢].

وانـــا الـــذي لم يسخ بي احـــد	الا غـــدا ونديمـــه النـــدم
فـــاذا اهتززت لمـــدح ذي كرم	فانـــا لسان والزمـــان فم[٣]

هذا الشعور بالزعامة كان يدفعه بان لا يُخرج أشعاره على الناس، الا بعد ان يعيد النظر فيها. حتى عرفت قصائده بالحوليّات. كما انه كان يقرأ هذه القصائد على رهط من فحول الشعراء، ويعطيهم حرية النقد والمناقشة، حتى اذا تم ذلك وافق على نسبتها اليه[٤].

(١) الديوان ج١ ص٣١.
(٢ و ٣) ديوان السيد حيدر الحلي ج٢ ص٢٣٣.
(٤) شعراء الحلة لعلي الخاقاني ج٢ ص ٣٤٠.

ميله الى الرثاء:

لعل هذا الميل الشديد للرثاء عنده، كان نتيجة يتمه المبكر. لقد توفي ابوه وهو صغير، وكذلك توفي عمه في نفس الليلة. كما انه رُزئ بابنه صغيراً. هذا الى جانب تكوينه النفسي، وحرص عمه الذى تولى تربيته على تنشئته على اجادة رثاء الامام الحسين. وينبغي ان لا ننسى هنا دور الحفلات التأبينية التي كانت تقام لأعيان البلاد وعلمائها وادبائها، والتي كانت اشبه بسوق عكاظ. اذ ان هذه الحفلات كانت من الدوافع التي غذّت عنده هذا الميل الشديد للرثاء، حتى اصبح امير هذا الفن بلا منازع، بما ادخل عليه من ابتكارات وبراعة اسلوب.[1]

دور اسرته في شاعريته:

لقد كان الشاعر سليل اسرة عريقة من كبار الشعراء والادباء[2]، وهذا كان له دور كبير في تكوين شاعريته وراثة واكتسابا. اذ كان لهذه الاسرة منتدى ادبي[3] يختلف اليه الشعراء والادباء. ومن البديهي ان ينشأ على حب الاذب وقول الشعر وان يبرع في هذا المجال من هُيئت له هذه الحياة الفنية، خصوصا اذا كان قد منح موهبة غنية.

وهكذا بعد ان عايشنا حياة هذا الشاعر ووقفنا على الروافد التي أنهر منها مياه شاعريته، لاجرم ان نسائل انفسنا عن عصر هذا الشعر، وعن تأثره ببيئته وتأثيره فيها، ومدى انسحاب ذلك على شعره الايديولوجي... فماذا عن ذلك العصر؟

---

(١) طبقات اعلام الشيعة لاغابزرك ج٢ ص٦٨٧.

(٢) شعراء الحلة للخاقاني ج٢ ص ٣٣١.

(٣) نفسه ص١٦٢. ومن الجدير بالذكر ان جدّ الشاعر واباه واعمامه واخوته واولاد اخوته معظمهم كانوا من الشعراء والادباء والمجيدين، يلاحظ طبقات اعلام الشيعة الجزء الثاني ص ٦٨٥ - ٦٨٦، وتاريخ الحلة ليوسف كركوش ج٢ ص١٤٣.

الفصل الثاني:
عصره

عصره: ١٢٤٦ هـ ١٣٠٤هـ.

١٨٣١ م. ١٨٨٧ م.

مولده:

ولد حيدر الحلي سنة ١٢٤٦هـ /١٨٣١م. /على اصح الروايات[١]. وتوفي ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧م. وهكذا فان عصر شاعرنا يكون في القرن الثالث عشر الهجري وفي القرن التاسع عشر الميلادي.

.. من الطبيعي ان يتأثر الانسان بمحيطه مكانا وزمانا، او بيئة وعصرا[٢] وان يؤثر فيها، اذ هنالك علاقة جدلية بين المرء ووسطه، بخاصة اذا كان شاعرا. اذ الشعر شديد الالتصاق بطبيعة الانسان الحسية وحياته الوجدانية فهو فكر ورسم وموسيقى وعاطفة تنبضوتحيي، تتأثر وتؤثر.وشاعرنا موضوع الدراسة انطلاقا من هذا المفهوم، هل تأثر بعصره وعايش أحداثه وأثّر فيها، بدافع من ايديولوجيته التي كان يسير على هداها. هذا ما سنحاول ان نتعرف اليه عبر دراستنا للنواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، وعبر محاولتنا الوقوف على مدى تأثره وتأثيره في بيئته.

---

(١) اتفق مؤرخو السيد حيدر الحلي على تاريخ ولادته باستثناء بروكلمان الذي ذكر انه ولد في سنة ١٢٦٤ هـ. ولعله اخطأبنقل رقم قبل رقم فبدلا من ٤٦ نقل ٦٤.

Inversion des chiffres كذلك فان هذا المؤرخ خلط بين مؤلفات حيدر الحلي ومؤلفات كاتب آخر اذ نسب للحلي كتاب (عمدة الزائر وعدة المسافر)لان هذا الكتاب هو للسيد حيدر الكاظمي الحسيني ١٢٠٥ - ١٢٣٠ وهو مطبوع ومتداول.

(٢) يلاحظ حول هذاالموضوع: علم النفس التربوي لاحمد زكي صالح ص٣٣ ومقدمة في علم النفس التربوي لعبد السلام غفار ص٢، وفن المنتجب العاني وعرفانه للدكتور اسعد علي ص٧٢.

الحالة السياسية

في زمن شاعرنا كانت العراق خاضعة للحكم العثماني، شأن سائر البلاد العربية ولادة الشاعر كانت في آخر عهد (الكولات) المماليك العثمانيين. امتد حكمهم من سنه ١١٦٢ حتى ١٢٤٧هـ وهؤلاء قوم من الرقيق اشتراهم الوالي العثماني حسن باشا[١]. واتخذهم بطانة

خاصة وحرسا يعتمد عليهم في ايام الشدة. فاعتنى بتدريبهم وتثقيفهم. نبغ منهم كثير في فنون الحرب. وما هو الا ان سمت نفوسهم الى الولاية على العراق وطمعوا في حكمها[٢]. في عهد هؤلاء كانت الحالة سيئة غاية في الاساءة لكثرة ما كانوا يقومون به من تعديات، ولما كانوا يرتكبون من جرائم فظيعة تقشعر لها الأبدان. فالأمن مفقود، الثورات الاهلية غير منقطعة، كل ذلك بسبب سوء تدبير (الكولات)[٣].

اما مدينة الحلة فلم تكن خيرا من غيرها من مدن العراق على صعيد سوء المعاملة وتدهور الاحوال. فالثورات الاهلية على قدم وساق، تارة على الحكومة، وتارة على (العشائر) الى غير ذلك من صدّ الغارات الوهابية عن مدينتهم. اذ غزوها بعد اغارتهم على كربلاء ويأسهم من الإستيلاء على النجف[٤].

داود باشا كان آخر والٍ على العراق من هؤلاء المماليك. عُزل عندما قام بمحاولة الاستقلال عن الدولة العثمانية بحكم العراق ١٢٤٧ هـ. ما يهمنا هنا ان شاعرنا ولد في عهد هذا الوالي. ولقد كان نائبه في الحلة سليمان آغا، هذا الذي كان كثير الهواجس والأوهام. لم يسُس الأمور بالروية والتعقل. وانما عالجها بالعاطفة الجامحة والتدبير التعسفي[٥]. حتى اقدم من غير ما وازع على اخراج احد اكابر العلماء الشيعة[٦] من الحلة. لانه اعتبر ان وجوده خطر على امن الحلة وسلامتها.

(١) اسندت اليه ولاية العراق في اوائل القرن الثاني عشر الهجرى من قبل العثمانيين وقد تعهد باخماد الثورات في سنجق الحلة.

(٢) يلاحظ تاريخ الحلة ج١ ص١٢٠، ٢ نفسه ص ١٢٣.

(٣) نفسه ص ١٢٤

(٤) نفسه نفس الصفحة.

(٥) نفسه ص ١٣٥.

(٦) هذا العلامة هو الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر الجناجي المعروف بكاشف الغطاء وهذان العالمان هما من أكابر علماء الشيعة يلاحظ نفسه ص١٣٥.

فاستاء اهل الحلة من هذه السياسة الهوجاء[١]، التي لم ترع للمواطنين حرمة. ولقد كانت لهذا العالم مكانة كبيرة في نفوس الحليين، يتبين لنا ذلك اذا قرأنا القصيدة التي بعث بها له احد اقطاب مدينة الحلة وأحد كبار ادبائها السيد حسين السيد سليمان[٢]. يصف الشاعر في هذه القصيدة مرير حزنه، وشدة وجده لفراق هذا العالم، حتى لنراه يتمنى من اعماق قلبه ان تعود شمس اجتماعها الى الشروق، لانه رأى في غياب صديقه غروب تلك الشمس المضيئة. ومن خلال هذا التشبيه يطالعنا مدى احساس الشاعر بغربة صديقه ونستشف بعد اثره وسمو مكانته حتى قال فيه:

لا تسل بعـد مـا جرى عن فؤادي	فهو خلـف الظعن المسوق مشوق[٣]
وعجيـب بقـاء انسان عيـني	وهو في لجـة الدموع غريـق
ليـت شعري أمـا لشمس اجتماعي	بـكم بعـد ذا الغروب شروق

وهذا الاثر لم يكن وقفا على اهل الحلة. بل امتد الى الشعراء والادباء الذين كان ينتجعون تلك المدينة. امثال الشيخ صالح التميمي[٤]. الذى صور رحيل الشيخ موسى برحيل النبي موسى عن اهله، واصبح يخشى على مدينة الحلة ما خشي على مدينة موسى بعد غيابه من كيد السامرى وعجله[٥]. ونتيجة امعان سليمان آغا بسياسته الظالمة نقم عليه اهل الحلة وعبّروا عن استيائهم بانضمامهم عام ١٢٤٠ هـ الى محمد آغا الذي أعلن الثورة على داود باشا حاكم العراق. فاحتل الحلة وادعّى ولاية العراق[٦]. ولكن داود باشا عاد فانتصر على محمد آغا وانتزع منه مدينة الحلة وأوجد فيها حامية من آل العقيليين[٧]. وهؤلاء بدو سذّج أمعنوا في ظلم الأهالي، ولم يحترموا شعائرهم المذهبية، بما اشاعوا من دعوات مسمومة. عند ذلك عاد الحلّيون فرفعوا راية الثورة على الحكومة، وحاصروا الحامية وشدّدوا عليها الخناق، حتى اقتحموا عليها المكان الذى كانت تنزل فيه، فأحرقوا بابه ودخلوه وقتلوا الحامية عن آخرها[٨].

---

(١) تاريخ الحلة ج١ ص١٣٥ ليوسف كركوش الحلي.

(٢) هذا الشاعر هو احد اجداد السيد حيدر الحلي.

(٣) نفسه الصفحة ١٣٥ج١

(٤) نفسه نفس الصفحة.

(٥) السامرى اضل قومه بعد غياب النبي موسى عنهم(يلاحظ القرآن الكريم سورة طه الايات ٨٥ - ٨٦ - ٨٧

(٦) تاريخ الحلة ج١ ص١٣٦ ليوسف كركوش الحلي .

(٧) نفسه نفس الصفحة.

(٨) نفسه ص ١٣٧

ولكن داوود باشا عاد فجهز حملة كبيرة استطاع ان ينتصر فيها على اهل الحلة الذين أبدوا من ضروب الاستبسال والشجاعة الفائقة في الدفاع عن مدينتهم. ثم احتلها المهاجون ودخلها عسكر داود باشا وفعل الافاعيل من حرق وهدم ونهب[١].

هذه هي حالة الحلة مع ولاتها من سوء تدبير وظلم وتعسف[٢]. ولم يكفها ذلك بل انها كانت تتعرض لغزو الوهابيين الذين كانوا لا يتورعون عن النهب والسلب وسفك الدماء، هذا المصير المؤلم لم يكن وقفا على الحلة دون سواها، بل كانت المدن العراقية خصوصا المدن المقدسة تتعرض لهذه الانواع والاساليب من الظلم. الى جانب ما كان يزرع الولاة العثمانيون من تفرقة بين الطوائف، والى ما كان من تسافل اخلاقهم وممارسة صنوف التعذيب والتنكيل وفرض الضرائب الباهظة[٣] على الشعب.

.. وهكذا فان هذه الاضطرابات السياسية العنيفة، وهذا الاسلوب المتعنت في ممارسة الحكم العثماني، والنزاع المذهبي الذي كان يذكيه الولاة العثمانيون، كل ذلك قد ترك عميق الاثر في نفوس اهل الحلة، ولا غرابة بعد ان يتعمق هذا الاثر في نفس شاعرنا الذي كان في تلك الاثناء جنينا تأتلف أمشاجه. بل ان طفلا يولد في خضم هذه الاحداث، لا جرم ان يرث فيما يرث من ابويه تبعا لما تقرره العلوم البيولوجية عن وراثة الجنين والطفل[٤]. لا جرم ان يرث النقمة على قسوة الحاكمين وتعصبهم، والتشوف الى دولة قادرة تبسط ظلها على دنياهم وتملؤها قسطا وعدلا كما مُلئت ظلماً وجورا. هذا الاثر يتجلى بوضوح في قصائد شاعرنا في الامام الحسين. وفي استنهاضه المستمر للامام المهدي المنتظر الذي سيكون على رأس دولة العدل التي يتوق اليها السيد حيدر الحلي ويترقبها فيمن يترقبون.

وهكذا فان الحالة السياسية إبّان طفولة شاعرنا وحتى يفوعته وشبابه لم تكن بأحسن مما كانت عليه إبّان ولادته.. فبعد انقراض حكومة الكولات سنة ١٢٤٧ هـ. في العراق. تولى الحكم عدة ولاة كانوا يعرفون بالوزراء[١]. هؤلاء كانوا

---

(١) تاريخ الحلة ج١ ص ١٣٧ ليوسف كركوش الحلي.

(٢) نفسه في ص ١٢٩ - ١٣٩ وفي اماكن كثيرة متفرقة من الكتاب.

(٣) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر - تأليف ابراهيم الوائلي من ص ٣٢ - ٤٨

(٤) من الجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان القرآن الكريم اشار قبل ان تأتي العلوم الحديثة الى هذه الناحية كما مثلا في الاية ٥٨ سورة الاعراف.

(١) تاريخ الحلة ج١ ص١٣٩ وما بعدها ليوسف كركوش الحلي.

شبه مستقلين بحكم العراق عن الدولة العثمانية، لم تهدأ الثورات في عهدهم وكان الامن مفقودا. وقد لاقى الأهلون من جرّاء ذلك صنوف الويلات والمحن. هذه كانت هي الحالة السياسية فكيف كانت الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية:

اما وان الحالة السياسية كانت كما اسلفنا فهل يمكن ان تكون الحالة الاجتماعية الا في غاية البؤس والتدهدي. فالأمن مفقود والعدل موؤود والحياة الاقتصادية في تدهور مستمر، ليس ثمة من يعتني بها عبر تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة. وانما كان همّ الولاة ان يمتصوا دم الشعب ويرهقوا كاهله بالضرائب[٢]. مما شجع قيام الثورات وانتشار السلب والنهب في كل مكان. هذا الى جانب ما كان يحل من اوبئة فاتكة[٣]، والى ما كان يتشعب في نفوس المواطنين من حزازات ونقمة. فالولاة منغمسون في لذاتهم لا يعنيهم ان ينعموا والناس من حولهم يألمون. بل كل ما يعنيهم من امر هؤلاء الناس ان يبثوا بينهم اسباب التفرقة إمعانا في امتصاص دمائهم[٤]. فكانوا يسعون الى إساءتهم سعيا. فنراهم يولون على مدينة الحلة واليا اموي النسب[٥]، وآخر كرديا وكلاهما ظالم غشوم. لم يكن هم الولاة سوى جمع المال وادّخاره بأبشع اساليب الوحشية والقسوة، وكان موظفو الباب العالي العثماني ينتشرون في كل بلد كأنهم السرطان الذي يفتك بجسم تلك البلدان[٦]

وفي هذا المجال ينبغي ان لا ننسى الوحشية المتناهية التي كان يُعامل بها السكان من قِبَل الولاة. ونذكر على سبيل المثال المقتلة العظيمة التي تعرضت لها مدينة كربلاء، فقد قتل من سكانها اكثر من عشرين الفا في وقعة واحدة ولم ينج حتى

---

(٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر/ ابراهيم الوائلي ص٤٠ وما بعدها.

(٣) نفسه ص٤٢ وما بعدها

(٤) نفسه ص ٤٥.

(٥) تاريخ الحلة ج١ ص١٤٠

(٦) نفسه ص ١٤٨ ويعزو المؤلف هذا القول للسائحة الفرنسية «ديولافوا» التي زارت الحلة وكتبت عنها في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨.

الذين التجأوا للحضرات المقدسة[١]. وكان طبيعيا كنتيجة لهذه الاساليب ان يعم الفقر وينتشر قطّاع الطرق في كل مكان.

مجتمع مدينة الحلة الداخلي:

رغم كل هذه الاسباب. كان سكان الحلة في مختلف العهود متضامنين فيما بينهم[٢] تسودهم روح مجتمعية قائمة على الاخلاص والوفاء، فقد أنشاوا الدواوين والأندية في مختلف ارجاء المدينة التي كان يؤمها اهل الحلة في اوقات فراغهم يسمرون فيها. ويعملون على فض الخصومات التي كانت تنشأ فيما بينهم بشكل يرضي المتخاصمين ويعيد اليهم الصفاء. وفي هذه الاندية كانوا يعمدون الى المفاوضات بينهم لدفع ما يلحقهم من ضيم وعسف من حكامهم. فاذا استعصى عليهم ذلك بالطرق السلمية لجأوا الى العنف. من ذلك ان يتسور احدهم دار الحاكم ليلا ويضع بجانب فراشه آلة حادة انذارا له. فان لم يرتدع عمدوا الى قتله[٣] في فراشه في نوبة ثانية. واذا امعن الحكام في عسفهم كانت الثورة الجامحة وطرد الحاميةمن بلدهم، ثم يشكلون من بينهم طبقة مختارة تشرف على رعاية مصالح بلدهم[٤].

ومع كل هذا لم تعدم العراق خلال هذه المدة من ان يكون بين حكامها وال يتحلّى بشيء من النَّصَف امثال مدحت باشا. فمنذ حلوله بارض الرافدين بدأت روح النهضة تدب. وقد سعى هذا الوالي لنشر العلوم والمعارف. فأنشا بعض المدارس وحسّن الاوضاع الاقتصادية[٥]. ولكن مدة ولايته لم تدم طويلا لانه كان دستوريا وكان السلطان يخشى من ان يبث روح اليقظة في العراق. وهذا ما ينافي سياسة العثمانيين التي رسموها لحكم الشعب[٦]. والآن ما هو دور شاعرنا في هذه الاحداث، وهل كان يرصدها ويترجمها؟؟

---

(١) تاريخ الحلة ج١ ص١٤١ ليوسف كركوش الحلي.
(٣) نفسه ص١٢٤
(٣) نفسه ص ١٢٥.
(٤) نفسه نفس الصفحة.
(٥) نفسه ص ١٤٤
(٦) نفسه ص ١٤٥ ويلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٣٦ وما بعدها لابراهيم الوائلي.

دور السيد حيدر:

الواقع ان هذا الشاعر لم يكن بمنأى عن هذه الاحداث، بل عايشها وحاول ان يعبر عنها عبر اشعاره، ولا ادل على ذلك من هذه الثورية التي تنتظم معظم شعره والتي كان يدعو فيها الشعب لان يثور وينتقم من الطغاة الجائرين،باسلوب مباشر اوغير مباشر. وحتى حالة الفقر والبؤس التي كان يعاني منها الشعب لم يتركها تمر دون ان يسجلها في شعره وذلك عبر تصويره حالته المبتئسة في قوله:

وما أحد الا ويقبّر ميّتاً وها أنذا حي قبرت بمنزلي[1]
على ان هذا الدهر طبّق سيفه الجوارح مني مفصلاً بعد مفصل
وحمّلني اعباءه فكأنني على كاهلي، منها، أنوء بأجبل

فهذه الابيات تترجم لنا معاناة الشاعر واكتواءه بنار التجربة ومعايشته للاحداث وتحمله منها حتى ناء كاهله بما يحمل من جبال عذابها.

وكذلك حتى الوباء[2] الذي انتشر في العراق سنة ١٢٩٨هـ. لم يكن شاعرنا بمعزل عنه بل سجله خلال قصيدة يمتدح بها المهدى المنتظر ويتوسل به الى الله تعالى قائلا:

يا ابن الامام العسكرى ومن رب السماء لدينه انتجبه[3]
أفهكذا تغضي، وانت ترى نار الوباءتشب ملتهبة

ولكن هذا الوباء الذى عناه ما اظنه انه الطاعون الذى انتشر في العراق وحده بل لعله عنى فيما عنى - مستغلاً الفرصة - وباء ظلم الحكام وتعسفهم. لذلك استصرخ الامام المهدى ليوحد الشعب ويخلصه من سوم الخسف. ويعضد هذا الرأي ما نلاحظه عبر متابعة قراءتنا لهذه الابيات، اذ يستغيث به ليدركهم من دون ان يسمي هذا الشيء الذي يريد ان يدركهم منه. ولعله رمز لما يعانون من ظلم واستبداد، ولنستمع اليه مستغيثا:

---

(١) يلاحظ ديوان السيد حيدر الحلي ج١ص٤٧، تحقيق الخاقاني.

(٢) يلاحظ نفسه هامش ص٣١.

(٣) نفسه ص٣١. والامام العسكرى هو الامام الحادي عشر عند الشيعة الامامية واسمه الحسن بن علي الهادي وكنيته العسكرى وهو والد المهدى المنتظر.

ألغوثَ أدركنـــا ، فـــلا أحـــد أبداً سواك يغيث من ندبه[1]
غضب الإلَهِ وانت رحمته يـــا رحمة اللـــه اسبقي غضبـــه

واما حول ما كان يتعرض له السكان من جور وبطش وتحكم بمصائرهم. وما كانوا يلاقون من ويلات بسبب الديانة والمذاهب. فنرى شاعرنا يستنهض القائم المؤمل والعدل المنتظر اينقذهم من هذا المهوى السحيق الذى تدهده اليه الدين فنراه يصطرخ وقد نفد الصبر:

أقـــائم بيـــت الهـــدى الطاهر أصـــبر فـــتّ حشا الصابر[2]
وكم يتظـــلم دين الالـــــه اليـــــك من النفر الجائر
يمّـــد يـــدا يشتكي ضعفهـــا لطبّــــك من نبضهـــا الفاتر

وفي نفس القصيدة نراه يذهب الى ابعد من ذلك في تصوير الحالة الاجتماعية البائسة التي كان يعاني منها الناس وما كانوا يتعرضون له من كوارث ومساس بالشعائر الدينية لنتابعه وهو يصور ذلك:

وكم نحن في لهوات الخطوب نناديـــك من فمهـــا الفاغر[3]
ولم تك منا عيون الرجاء بغيرك معقودة الناظر
أصـــبراً عـــلى مثـــل حز المـــدى ولفحــــة جمر الغضـــا الساعر
أصـــبراً وهـــذي تيوس الضـــلال قـــد امنـــت شفرة الجـــازر
أصـــبراً وسرب العـــدى راتـــع يروح ويغـــدو بـــلا ذاعر

ولم يكتف الشاعر بان يصور هذه الحالة الاليمة بل نراه يسهم في تصوير جانب آخر من الحالة الاجتماعية. وذلك حين عمد الى مدح احمد مدحت باشا الوالي العثماني الذي شجع العلوم والمعارف[4] ودعم الاقتصاد ، مما حدا بالشعراء لان يمدحوه لهذه المزايا . من بينهم شاعرنا فقد بعث اليه بمقالة نثرية ضمنّها الكثير من الشعر في مدح هذا الوالي:

---

(١) نفسه نفس الصفحة.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج١ ص٣٧ ، والقصيدة طويلة تصور الحياةالاجتماعية والدينيةوالمشاعر التي كانت تعتمل في نفوس المواطنين آنذاك.

(٣) نفسه ص ٧٦.

(٤) تاريخ الحلة ص١٤٤ ج١ ليوسف كركوش الحلي.

لي قواف في جنبهـا البحر رشحـه	سلسلتهـا رويّـةً ليَ سمحـة[1]
مدح الدهر حسنها غير أني	لست أرضى بهـا لأحمد مدحـه.

عوامل الاحداث الاجتماعية:

لقد كانت الاحداث الاجتماعية بادية الاثر في شعره. فلقد تركت الغارات الموتورة[2] على مدن العراق وعدم احترام الاماكن المقدسة فيها، الى جانب ما كان يتعرض له زوار الامام الحسين من النهب والسلب، لقد ترك كل ذلك عميق الاثر في نفس الشاعر وشعره هذا بالاضافة الى اسلوب الحكم العثماني للعراق، على اساس تعصب طائفي واستعلاء عنصرى، محاولين تفتيت وحدة الشعب وضربه بعضه ببعض ليتسنى لهم السيطرة على البلاد[3].

.. لقد تركت هذه الاحداث بصماتها ظاهرة في شعر الحلي، يترجم لنا صدق ذلك هذا الشعر الكثير الذي ناح فيه الشاعر الامام الحسين، والاستصراخ المرير للمهدي المنتظر ليخلص الشعب من ربقة الجاثوم الذى كان يرين فوق كاهل الشعب، حتى لقد غدت هذه الظاهرة ايديولوجية للشاعر يسير على هداها ويتخذها سمتا ومنهجا.

ومن عوامل الاحداث الاجتماعية التي تركت بيّن الاثر في شعره، الثورات التي كانت تقوم بين العشائر فيما بينها من جهة وما بينها وبين الحكومة من جهة ثانية.

تأثره بالثورات:

لقد كانت الثورات دائمة وذات طابعين: ١ ـ بين العشائر المختلفة مرة، ومرات في وجه الولاة الاتراك والحكومة التي لم تكن تقيم للشعب وزنا الا من خلال انه مطية لتحصيل الضرائب، هذا الى جانب الحروب التي كانت تقوم ما بين الايرانيين والاتراك.

---

(١) الديوان ج٢ ص٢٠١ وتاريخ الحلة ج١ ص١٤٤.

(٢) تاريخ الحلة في اماكن متفرقة من الكتاب.

(٣) نفسه في اماكن متفرقة من الجزء الاول. وص ١٣٤ من الجزء الثا

ان هذه الاحداث تركت صداها في شعر الحلي، ومسحته بمسحة حربية، ولفعته بغلالة ملحمية، خصوصا قصائده الحماسية واشعاره في آل الرسول مدحا ورثاء. ونحن حين نقرأ قصائده خصوصا ما كان منها في اهل البيت والامام الحسين، نرى فيها دعوة صريحة لمحاربة الامويين، ولكن هذه الدعوة لا يمكن ان تؤخذ على ظاهريتها فنحن نعلم ان ملك الامويين قد انقرض قبل عهد الشاعر بزمن طويل، وسلالتهم تلاشت، ولذلك فلا جرم ان نوجه نظرنا نحو الحكام الذين كانوا يجسدون سياسة الحكم الاموي، ويمارسون ابشع اساليب الاضطهاد للشعب، ومن هنا يخرج لنا انه كان يتكلم عن الامويين وعينه على الحكام الاتراك الذين كانوا يعيثون فسادا ويبثون رعبا في ارجاء العراق، بله الوطن العربي كله.

ولعل هذه الثورات العشائرية التي كانت تدور رحاها ولا تهدأ، قد املت على هذا الشعر نزعة قبلية، فنحن حين نقرأ الكثير من شعره وخصوصا ما كان في آل النبي يطالعنا شدة استنهاضه للهاشميين ودعوتهم لان يشحذوا ظبى اسيافهم للثأر لامامهم. في حين ان نصرة الامام الحق، والسير على خطاه لا ينبغي ان تكون وقفا على اسرة بني هاشم وحدهم، بل على كل مسلم، بل وكل انسان يثور انتصارا للعدالة والحق..ومن هذا التاثر بالنزعة العشائرية كثرة اهابته ببني هاشم ان ينهضوا ليستعيدوا مجدهم كمثل قوله في قصيدة مطلعها:

أهاشمُ لا يوم لـك ابيض او ترى ... جيادك تزجي عارض النقع اغبرا[1]
طوالـع في ليـل القتـام تخالها ... - وقد سدت الافق - السحاب المسخرا

او قوله من قصيدة ثانية:

أهاشمُ تـيمٌ جـلَّ منـك ارتكابها ... حرام بغـير المرهفـات عتابها[2].

وهذه النزعة متغلغلة كثيرا في شعره، بخاصة في رثاء الامام الحسين حيث يبث لواعج اشجانه ويصب سوط نقمته على سياسة الامويين التي كانت صفحة سوداء في كتاب الرحمة والعدالة الاسلامية...

---

(١) ديوان الشاعر ج١ ص٧٨ وتلاحظ القصيدة من ٧٨ - ٨٠.
(٢) نفسه ج١ ص ٥٨ وتلاحظ القصيدة من ٥٨ - ٦٣.

الحالة الادبية:

لقد ركدت الروح العلمية والادبية في العراق نتيجة لسوء الحالة السياسية والاجتماعية..بل ان العالم العربي كله في تلك الحقبة من الزمن كان في حالة ركود[١] على الصعيد العلمي والادبي...

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري بدأت بوادر نهضة أدبية تطل في الافق خصوصا في مدينة الحلة، وظلت هذه النهضة تشتد وتنمو بقية ذلك القرن وأوئل القرن الرابع عشر.

نشأ في هذا الدور ادباء وشعراء من الطبقة الاولى[٢]، كان نتاجهم بمثابة المصل الذي خقنت به شرايين الادب ليستطيع ان يسترد شيئا من انفاسه اللاهثة.

في هذه المرحلة من نهاية القرن الثالث عشر الهجري، حين عرفت جذور الأدب بعض الري الذي خضلها، كانت لا تزال الحالة الاقتصادية والاجتماعية في تدهور وانحطاط[٣].

فليس حتما محتوما ان تسير الحالة الادبية بخط متواز مع الحالة الاجتماعية والسياسية، بل العكس فرغم ما نجد ثمة من تداخل، فقد يقوم تناقض في هذا المجال بعض الاحيان[٤]، اذ قد تكون الحياة الفكرية صدى لما يساور النفوس من تذمر لتأخر الحالة السياسية والاجتماعية، وكذلك فقد تدفع الايديولوجيا الشعراء والادباء الملتزمين لان ينهضوا للتصدي لبؤس الحالة الاجتماعية وانحطاط الحالة السياسية..

من ذلك ما كان من السياسة التي كان يتبناها الاثراك في حكم العراق، والتي كانت قائمة على نظرية «فرّق تسد» ليتمنكوا من تفتيت وحدة الشعب، وليستسيغ لهم السيطرة على البلاد، هذا ولقد كان للإستعلاء العنصري ومحاولة تتريك العراق[٥] ابعد الاثر في بعث الروح القومية العربية، التي كانت مدن كربلاء والنجف والحلة[٦] منطلقاً لها ومحتضناً حافظ عليها حفاظ الام على وحيدها.

---

(١) الاداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو اليسوعي ج١ ص٢٠.

(٢ و ٣) تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ج٢ ص ١٣٤.

(٤) ولقد عبر الشاعر عن هذه الحالة المتناقضة عبر قوله:

وحسب نفسي وان اصبحت ذا عدم من ثروة انني مثر من الادب ويلاحظ الديوان ج٢ ص ٥٦ الشعر السياسي في العراق ١٩ ص ٦٠٩٦) نفسه ص ٧٥.

كذلك فان كبار علماء الشيعة كان لهم دور مهم وفاعل في تشجيع العلماء والادباء على محاربة التتريك، وانتصدى لهذا الاسلوب الذى كان يمارسه الحكم في العراق..

وينبغي ان ننوه بدور العشائر والاثرياء الملتزمين الذين كانوا يغدقون العطاء في هذا السبيل، مما شجع الشعراء للتعبير عن ايديولوجياتهم بفضل حماية العشائر، بخاصة عشيرة الخزاعل التي كانت تقف في وجه من يحاول التصدى لهم وتحميهم اذا نابتهم من السلطان نائبة[1].

وفي تلك الفترة وفي القسم الاخير من القرن الثالث عشر الهجرى كانت مدينة الحلة مركز ثقل في الثقافة العربية[2]، وكان محور هذا هذا الثقل ظهور اسرتين كبيرتين اسهمتا في هذا المجال هما اسرة آل النحوي، وآل السيد سليمان[3].

لقد اذكت هاتان الاسرتان روح الادب بعد طول خمود، بل لقد ازدادت هذه الحركة نموا بعد ظهورآل القزويني[4]وعزفت النشاط والازدهار خصوصا عبر تلك المساجلات الادبية التي كانت تقام، وعبر اقبالهم الشديد على نهل العلوم اللغوية والادبية والفقهية. بل ان بعضهم اقبل على دراسة الطب ولقب بالحكيم مع براعته في الادب واللغة وفي طليعة هؤلاء السيد سليمان جد السيد حيدر الحلي.

دور السيد حيدر الحلي :

اما شاعرنا كان له دور بارز في هذا المضمار، اذ كان «اشهر شعراء الفرات في القرن التاسع عشر»[5] ومن ادق الشعراء تعبيرا، واقدرهم على تصوير الحزن والالم[6] حتى شهد له بالتفوق في مجال الرثاء بعامة وفي رثاءآل الرسول بخاصة[7]ولعل خير ما يُبرهُ على مكانته الشعرية، ويدل على تفوقه، ما كان من اختيار متصرف الحلة[8]له

---

(١) تاريخ الحلة ج٢ ص ١٣٤.

(٢) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص٩٣.

(٣) آل السيد سليمان هم اسرة الشاعر حيدر الحلي.

(٤) تاريخ الحلة ج٢ ص١٣٥.

(٥) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ص١٠٩

(٦) نفسه ص ١٦٢.

(٧) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤٢.

(٨) هو محمد بباني يلاحظ تاريخ الحلة ج٢ ص١٥١

ليقوم بتأريخ عام انشائه للسرايا الكبيرة التي شادها من حجارة بابل[1]. ومن الابيات التي ارخ بها الشاعر هذا العمل قوله:

ذا محمـــد رشيـــد باشا ببـــاني شاد للحـــكم دار عز ومجـــد
تزدهي في مقاصر لو لكسرى مثّلـت قـال «هـذه فوق جهدي»
قـــد دعـــا الملـــك مطربـاً أرخوه «شاد بـدر البهـاء دارة سعـد»[2]

وبعد فهذا هو عصر الحلي باحداثه التي تركت بصماتها واضحة في شعره والتي كان الشاعر من خلالها دائم الحضور، ايديولوجيا ملتزما، منفعلا بتلكم الاحداث وفاعلا، ولقد كان له اكبر الاثر في الحركة الادبية، بل كان طليعتها التي عملت على الاخذ بيد الادب من كبوته، فانصات بعدما جنى طويلا في محارة الانحطاط، فكان بذلك شديد التأثر ببيئته، بيّن التأثير فيها، فماذا عن ذلك التأثر والتأثير في البيئة؟؟

تأثره ببيئته:

ولد المترجم له في قرية بيرمانة[3] من اعمال الحلة، ثم انتقل الى الحلة حيث عاش فيها الى ان توفي هناك....

ولادة الشاعر في بيرمانة لا تجعلنا نعتبره عاش في بيئتين مختلفتين كل الاختلاف. اذ ان اعمال الحلة و قراها جزء لا يتجزأ عنها، وهذه الاعمال كانت منبت كثير من المفكرين والادباء[4] الذين أمّوا مدينة الحلة نشداناً للمعرفة، ولتوثيق صلاتهم بالمجتمع. وهذا لا يمنعنا من ان نفردها بدافع المنهجية.

(١) نفسه نفس الصفحة.
(٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج٢ ص ١٦٢.
٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين مجلد ٣ - ٤ ج ٤ ص٩٠.
٤) تاريخ الحلة ج١ ص٥ ليوسف كركوش الحلي.

بيرمانة:

قرية في جنوبي الحلة على ضفة الفرات اليسرى، ولفظ بيرمانه نبطي[1]، ونحن لا نعرف شيئا عن المدة التي قضاها في بيرمانة. وقد انفرد بذكرها عمر كحالة في معجم المؤلفين. اما بقية المؤرخين فقد جعلوا مكان ولادته الحلة، اما لشهرته بالحلي، او لانه انتقل وهو طفل صغير الى مدينة الحلة..

مدينة الحلة:

علم لعدة اماكن[2] ولكن التي تهمنا هي حلة بني مزيد، وكانت تسمى بالجامعين. انشأ هذه المدينة الامير سيف الدولة صدقة[3]، في موقع جميل غربي الفرات[4]. تقوم هذه المدينه ضمن اسوار بابل القديمة[5]، وفي داخلها جامع ذو منارة واحدة، ويوجد خارجها عدة جوامع اشهرها المسمى بمشهد الشمس[6]. كما ان في هذه المدينة مقاما للنبي الياس وآخر للنبي ايوب في جنوبيها[7].

والحلة هي من مشاهير مدن العراق، تقع بين النجف الاشرف والحائر المقدس على طرفيّ شطّ الفرات. ولها مكانة مرموقة [8].

هذه هي مدينة الحلة الجميلة جدا بموقعها، ولا ادلّ على جمالها من ان يسميها

---

(١) نفسه ص٣

(٢) يلاحظ: معجم البلدان لياقوت الحموى المجلد الثاني وتاريخ **الحلة** ج (ص)

(٣) نفسه نفس الصفحة

(٤) نفسه ص ١٢٦ ويعزو المؤلف هذا الوصف للرحالة الالماني نيبور

(٥) نفسه ص ١٢٧.

(٦) نفسه ص ١٢٦. وفي هذا المقام ردت الشمس للامام علي ليؤدي صلاة العصر.

(٧) نفسه ١٢٧.

(٨) يلاحظ كتاب احسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة تأليف السيد **محمد** مهدي الموسوي ج٢ المط. الحيدرية ١٩٦٨ ص٢٩٠. وينبغي ان نذكر هنا الحديث المروى عن ابي حمزة الثالي عن الاصبغ بن نباتة حول مكانة هذه المدينة. فقد روى الأصبغ ان امير المؤمنين تحدث عنها وهو في طريقه الى صفين قبل ان تبنى اذ قال ستكون مدينة يقال لها الحلّة يمدّنها رجل من بني اسد يظهر بها قوم اخيار لو اقسم احدهم على الله لأبرّ قسمه.

الشعراء بالفيحاء[٩]. وهي غنية ببساتين النخيل الكثيفة واشجار الموز الجميلة[١٠]. لقد اخذت هذه المدينة مكان مدينة بابل، ومنذ بداية القرن العاشر، منذ انشاء هذه المدينة، عادت شمس البابليين لتشرق على سواحل شط الفرات مرة اخرى[١١].

فلا غرابة ان نرى بعد كل هذا رعيلا كبيرا من الشعراء والادباء، والمفكرين يترعرعون في هذه المدينة[١].

حتى راينا لكثرة ما انجبت هذه المدينة منهم، ولكبير اسهامهم في نهضة الشعر، من يعمد الى ان يضع مؤلفا باسم شعراء الحلة[٢].

لقد عرفت هذه المدينة نهضة ادبية منذ مصّرها الامير سيف الدولة صدقة المزيدى سنة ٤٩٥هـ. وبلغت ذروة عظمتها في القرن السابع الهجرى، اذ غدت مثابة لطلاب العلم والمعارف والادب، لوجود جهابذة ابدال فيها من الذين ما برحت مصنفاتهم متداولة بين ايدى ارباب العلم والادب رغم ما تلف منها او احرق[٣]. والى جانب جودة المناخ وروعة الموقع الجذاب الذي يلهم الشعراء[٤] والادباء ويترع نفوسهم بعواطف الحبور والهناءة، ويرفد خيالهم بصور الاندفاق على الوجود، الى جانب ذلك ساعد على النهضة الادبية غرام الامراء المزيديين بالعلوم والاداب، وتشجيعهم لرجال الفكر على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم. فقد كان هؤلاء الامراء يعملون على انتشال الادباء من هوة الفاقة وهدة البؤس، ثم انهم اسسوا مكتبة كبيرة تحتوى الالاف من المجلدات والمراجع القيمة، فكانت نسغا ثقافيا يجرى الدموية وينشّط الخلايا في جسم الادب والشعر.

---

(٩) يلاحظ تاريخ الحلة ج١ حيث اطلق على الحلة اسم الفيحاء كل من الشعراء: محمد بن اسماعيل صاحب البند في ص ١٣٠ وصالح التميمي ص ١٣٤، وحيدر الحلي ص١٥٢.

(١٠) تاريخ الحلة ج١ ص١٣٤، حيث يصف المنشئ البغدادي هذه المدينة، وقدكان موظفا في المقيمية البريطانية وهو من اصل ايراني قام بجولة في ربوع العراق، سجلها في كتاب وذلك في عهد داود باشا ١٢٣٢ - ١٢٤٧هـ.

(١) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ابراهيم الوائلي ص ٩٣.

(٢) اسم كتاب لعلي الخاقاني.

(٣) تاريخ الحلة ج٢ ص٣

(٤) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١١٠ و ١١١ حيث يحدثنا المؤلف عن ان جمال موقعها الجغرافي جعلها موطنا من مواطن الشعر بل كاد الشعر ان يكون فيها سليقة يجرى على كل لسان.

وقد احتل الامير سيف الدولة صدقة منزلة ادبية واجتماعية مرموقة، لا أدل عليها من اهداء ابن الهبارية له كتاب « الصادح والباغم ». وعبر هذا الاهداءِ نقف على ما الحنا اليه من سمو منزلة الامير[٥]، اذ يقول المُهدي:

ولم تزل حلتـــــه مــــــلاذا   لكــــل من يهرب من بغـــــذاذا

يقصدهـــــا الملوك والخلائـــــف   وجائـــــع ذو فاقـــــة وخائـــف

يـــا ليتـــني سكنـــت تلـــك الحلـــة   بـــين شموس المجـــد والأهلّـــة[١]

هذه هي بيئة السيد حيدر الحلي التي قضى فيها اكثر ايام حياته، الى جانب ما كان يقوم به من رحلات الى سامراء، حيث يقيم المرجع الديني العلامة الشيرازي الذي كان يدنيه اليه ويقربه منه[٢]، هذا الى جانب اختلافه على نديّ آل القزويني[٣] واتصاله الشديد بآل كبه[٤].

والآن ما هو مدى تأثر هذا الشاعر ببيئته.؟؟

ظواهر تأثر حيدر الحلّي ببيئته :

انّا لنرى عبر مدارسة آثار هذا الشاعر ، والاطلاع على سيرة حياته ، انه شديد التأثر ببيئته. وذلك عبر الظواهر التالية:

أ ـ طبيعة الحلة الجميلة :

لقد اوحت له طبيعة الحلة الجميلة ومناظرها الخلابة بأرق الشعر الوجداني والغزلي وآنق الصورة الجميلة التي تنتظم معظم شعره.

ب) شدة ولائه لاهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

---

(٥) تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ج٢ ص٤.

(١) نفسه ص ٨.

(٢) نفسه ص ٤٣.

(٣) نفسه ص ١٤٣.

(٤) يلاحظ مقدمة ديوان الحلي للخاقاني ص١٩.

تطهيرا:

فهو الى جانب تأثره الوراثي بمحبة اهل البيت ومؤالاتهم بحكم مولده فان نشأته في وسط شديد الولاء لهم عمّقت هذا الاثر في نفسه، حتى لقد تبدّى ذلك بيّناً في شعره. بحسبنا ان نعلم ان ارق اشعاره واجودها كان في مديحهم ورثائهم.

ويتبين لنا هذا بوضوح اكثر حين نعلم ان عمه الذى قام على تربيته وتنشئته حبب اليه هذه الناحية. فرغبه في قراءة دواوين الشعراء المتقدمين [1] وحضه على مزاولة نظم الشّعر لكي يكون نصب عينيه ابدا الرسول وآله[2]، حتى غدت قصائده فيهم خير قلادة يزين بها جيد شعره، فتزيده توهجا والقا.. ولقد كان لهذا الاثر البيئي في نفس الشاعر شأو بعيد، الى درجة ان صورة آل البيت لم تبارح مخيلته حتى في منامه، اذ ان مطلع احدى قصائده الحسينية كان لجدته فاطمة الزهراء [3] عليها السلام اذ وافته في المنام تهتف بمطلع احدى قصائده:

أناعي قتلى الطف لا زلت ناعيا   تهيج على طول الليالي البواكيا [4]

ج ـ الصلات الاجتماعية:

لقد كان للصلات الاجتماعية في بيئته دور بارز في ادبه ، فيكفي ان نستعرض ديوانه بجزئيه لنقف على اهمية هذا الدور. ففي الجزء الاول يبدو ذلك جليا في الابواب التالية: التهاني، العتاب، التخاميس، الاخوانيات. وفي الجزء الثاني في ابواب المدائح، والمراثي، التاريخيات، التقاريض، والرسائل.

ان قراءتنا لهذه القصائد يشف عن مدى تأثير البيئة الاجتماعية والصلات في ادب هذا الشاعر، اذ أوحت بسبب مباشر او غير مباشر بكثير من قصائده. كذلك فان في كتبه دليلا واضحا يبين ما أنبهنا اليه من شدة تأثره وتأثيره في بيئته الاجتماعية. ففي كتاب دمية القصر في شعراء[5] العصر يقف مع شعراء عصره وبيئته على مساحة مضاءة بما يقدم لهم من ترجمات واختيار لاشعارهم، وفي « العقد المفصل » [6] عبر

---

(١) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤٢.

(٢) يلاحظ عن دور عمه في هذا المجال الفصل الاول من هذه الدراسة

(٣) يلاحظ اعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج٢٩ ص١٤، ولقد اوصى الشاعر ان تكتب هذه القصيدة وتوضع في كفنه عند موته.

(٤) تلاحظ هذه القصيدة في الديوان ج١ ص١١٥و١١٦.

(٥ و ٦) يلاحظ الحديث عن هذه الكتب في مبحث آثار الشاعر.

جولته في عالم الادب وعلم البيان والبديع والفصاحة والبلاغة يقوم بترجمة لاسرة آل كبة مما يفصح لنا عن علاقاته الاجتماعية وتأثره وتأثيره فيها.

ومثل ذلك مما نلاحظه في كتاب « الاشجان في مراثي خير انسان[1] » الذي هو اثر من آثار بيئته الاجتماعية وترجمة لعواطف الحب والوفاء التي يكنها لصديقه العلامة الكبير الميرزا صالح القزويني....

دور عمه في تعميق هذه الصلات:

كان المترجم له يحور رسائل عمه وقصائده، وكان العم يذّيل كتابته تلك بما ينبه وينوه بابن اخيه كأن يضيف « حضر كاتب الحروف ولدنا حيدر يهديكم عاطر التحية.». فهو عبر هذا يكون قد قوّى صلات ابن اخيه باصدقائه حتى ورّثه فيما ورّثه صحبة آل كبه وسبقه الى تأليف كتاب فيهم [2].

دور المساجلات الشعرية:

ان مساجلاته مع شعراء عصره وعقد المناظرات معهم، جعله لا يخرج على الناس بقصائده حتى ينعم فيها النظر ناقدا ومثقّفاً، حتى عرفت بالحوليات[3].

وهكذا فقد حاولنا ان نلمح الى ما كان من تأثر شاعرنا ببيئته ، وتأثيره فيها، منطلقين من فكرة العلاقة الجدلية بين التأثر والتأثير، ومن فكرة تداخلها، ومن كون النتاج الادبي عبارة عن قاسم مشترك لها. فالمصلح الاجتماعي او الاديب الذي يحاول ان يقوم باصلاح مباشر عبر كتاباته، انما ينطلق من تأثره بالمجتمع والبيئة التي يحيا بين ظهرانيها، ومن البؤس الذي يعانيه ابناء وسطه، ينطلق من هذا المجال محاولا الاصلاح بالطريقة التي يراها ملائمة.

---

(١) يلاحظ الحديث عن هذه الكتب في مبحث آثار الشاعر.

(٢) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤.

(٣) يلاحظ طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ص٦٨٧. للعلامة اغابزرك الطهراني.

وكذلك حتى الدارس الادبي الذي يحاول ان يدرس شاعرا او نظرية ليؤثر من خلالها بما يقدم من اراء . انما يكون اندفاعه تأثرا بذلك الشاعر او بتلك النظرية.

ولعل من ابرز مظاهر تاثير شاعرنا في بيئته انه كان ذا جاه عظيم ومكانة ساميةفي الاوساط العلمية والادبية. فوجوده كان حافزا للمساجلات الشعرية ولانصراف الشعراء الى اتقان قصائدهم ومراجعتها بعد النظم ، هذا الى جانب ما يحظى به من مكانة مرموقة عند المراجع الدينية . فالعلامة الشيرازى المرجع الديني الاعلى الذي كان يقيم بسامراء كان كثير الاحتفاء بقدومه [1]. ويوم وفاته عطل المدارس الدينية حدادا. ولقد اشار الى ذلك احد الشعراء الذين رثوا السيد حيدر الحلي في حفلة تأبينه:

قد عطلت لك سامرا مدارسها وضعضعت لك اعلام الهدى الصلحا [2]

ومن غريب المصادفات ان الغيث جاد الارض يوم وفاته بعد احتباسه زمنا طويلا ، احس فيه الناس بالجدب وخافوا المجاعة ، فجعل الشعراء هده الظاهرة دليلا على منزلته الدينية. ومن الشعراء الذين اهتموا بهذه الناحية الشيخ حمادى نوح ومما قاله:

بكت عليك السماء فانهل منغمرا روض البسيطة حتى عيشها نجحا [3]
فكنت نورا لها حيا ومنهلها ميتا وكنت لها بالجدب منتدحا

وكذلك فقد تعرض لذكر هذه الظاهرة الشاعر عبد المطلب الحلي وفي ذلك يقول:

وعجَّ عليك الغيث يصرخ مرعداً وقد ملأت افق السماء هامه
ولا عجب ان يبك فقدك دائباً فمن كفك امتاح الندى متراكمه [4]

واعتبار الشعراء ان السماء قد بكت شجنا لفقده انما هو دليل على ان شاعرنا كان بالمستوى اللائق والمكانة المرموقة حتى اقدموا على ذلك.

---

(١) تاريخ الحلة ص١٤٥.

(٢) نفسه ص١٤٥. وحول منزلة الشاعر الاجتماعية يلاحظ شعراء الحلة لعلي الخاقاني ج٢ ص٣٤١.

(٣) مقدمة ديوان الدر اليتيم والعقد النظيم ص٧.

(٤) نفسه ص ٦.

يتبدّى لنا هذا الامر جليا حين نعلم ان هذا الشاعر كان « من أتقى اهل عصره، واشدهم صلاحا، يقضي اكثر ليله بالعبادة والتهجد »[1].

كما يبدو لنا مدى تأثيره في بيئته من خلال المنزلة الشعرية التي كانت له،فان كثيرا من الشعراء الاعلام كانوا معه في منافسة دائبة، وبخاصة شعراء النجف.

ومما يذكر في مجال حسد الشعراء له احجامهم[2] عن استعادة ابيات قصيدته[3] العصماء في رثاء الميرزا جعفر القزويني المرجع الديني في النجف.

فلما عاتب السيد حيدر في ذلك الشاعر والاديب العراقي الشيخ محسن الخضري وعذله لتغاضيه عن اداء تلك المرثية حقها، اجابه االخضري بقوله:

ميزتـــني بالعتـــب بـــين معاشر   سمعوا ، ومـا حي سواي بسامع[4]
أخرستـــني وتقول مالـــك صامتـا   وأمـــتّني وتقول مالـــك لا تعي

هذان البيتان يشفان عن تلك المكانة التي كان يمثلها الشاعر في نفس الشعراء كما تبين مدى تأثر (الخضرى) واعجابه بالقصيدة الآنفة الذكر.

ومما يذكر في هذا المجال ان هذا الشاعر كان اذا دخل ندي آل القزويني الذي كان ملتقى للادباء والشعراء، كان القيّمون على المنتدى يقولون« قد جاءكم موسى بعصاه » او « اتاكم حيدر بنهج بلاغته »[5]. رامزين بذلك الى الشاعرية الموهوبة التي كان يتمتع بها هذا الشاعر.

---

(١) طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ٦٨٧ ويلاحظ اعيان الشيعة ج٢٩ ص١٤.

(٢) يلاحظ شعراء الحلة لعلي الخاقاني ص٣٣٣

(٣) تلاحظ هذه القصيدة في الديوان ج٢ ص١٢٢- ١٢٥ ومطلعها:

قـــد خططنـــا للمعـــالي مضجعـــا   ودفنـــا الـــدين والدنيـــا معـــا.

(٤) شعراء الحلة ص ٣٣٣ ومقدمة الديوان ص .

(٥) تاريخ الحلة ج٢ ص ١٤٣.

الفصل الثالث :

آثار الشاعر :

للسيد الحلي آثار خمسة : ديوان شعر ، واربعة كتب نثرية: واحد مطبوع وهو العقد المفصّل وثلاثة لا تزال مخطوطة وهي: دمية القصر في شعراء العصر. والاشجان في مراثي خير انسان وكتاب على منوال العقد المفصل باسم الحاج محمد صالح كبة[1] ونحن سنعرض لذكر المخطوطتين اولا ثم الكتاب النثري لننتقل بعد للحديث عن الديوان بشيء من التفصيل بما يتركنا في اطار الموضوع من غير ان نشتط بعيدا عنه..

المخطوطتان:

ا) دمية القصر في شعراء العصر:
توجد نسخة الاصل بخطه عند الشيخ محمد مهدى بن الحاج حسن كبة[2] وقد جمع في هذا الكتاب ما قاله شعراء عصره في الحاج محمد صالح كبة، فرغ من تاليفه عام ١٢٧٥هـ. [3].

ب) الاشجان في مراثي خير انسان:
جمع في هذا الكتاب [4] مراثي صديقه العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني[5] وقد قدم لكل قصيدة مقدمة خاصة كتعريف لصاحبها. توجد هذه المخطوَطة

---

(١) يلاحظ اعيان الشيعة للسيد محسن الامين الجزء ٢٩ ص ١٥.

(٢) يلاحظ طبقات اعلام الشيعة ص٦٨٨ تأليف الاغابزرك الطهراني . مقدمة الديوان تحقيق الخاقاني ص٢٢وشعراء الحلة لعلي الخاقاني ص٣٤٥

(٣) تاريخ الحلة ج٢ ص١٤٣.

(٤) طبقات اعلام الشيعة ص٦٨٩ ومقدمة الديوان ص٢٢ وشعراء الحلة ص٣٤٥.

(٥) الميرزا جعفر القزويني من المراجع العلمية في العراق ت ١٢٩٨هـ . يلاحظ طبقات اعلام الشيعة ص٦٨٩.

في مكتبة الامام كاشف الغطاء تحت رقم« ٦٨ » في فهرس الدواوين وبضمنه عدة رسائل وصدّره بمقدمة نثرية مشجية[٦].

واما المطبوع فهما كتابان: العقد المفصل والديوان.

١) العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل:

وهو عبارة عن موسوعة ادبية مصغرة [١] حافلة بالنوادر والفكاهات والامثال والنقد وغيرهما من فنون الادب[٢]. الفه لصديقه العلامة الشيخ محمد حسن كبة. وقد نال اعجاب آل كبة ومعاصريهم من الادباء والاعلام. قرضه الشعراء بقصائد كثيرة.

وهذا الكناب عبارة عن سجل لآثار ومآثر الشيخ محمد حسن كبه، الى جانب ما قاله في آل كبه من شعر ونثر. ونقع في هذا الكتاب على نتف من اخبار الادباء والشعراء، كما نلاقي فيه مجموعة من النكت اللطيفة والمقطوعات الشعرية اللاذة وفيه تعرض لذكر سائر انواع الادب وعلومه من فصاحة وبلاغة ومعان وبيان وبديع، ثم الى جولة مع الانساب والكنى والالقاب وعرض للاخلاق والمام بصفات العرب وعاداتهم، وايراد ذكر اخبار الملوك والوزراء والامراء ونوادر البلغاء وبلاغة النساء والوقوف عند وصف الجمال، كما لم ينس ان يتحدث عن السرقات الادبية و**الإنحاء باللائمة** على السراق بين الشعراء وانتحالهم شعر غيرهم، ثم هو يعقد مقارنات ومفاضلات بين الشعراء، ويقتطع من اشعارهم، ويثبته لنا، كما يذكروقائع تاريخية وحوادث دموية وهو لم يذكر هذه الاشياء ذكرا مباشرا وانما كان يعرض لها في غضون حديثه عن صديقه السالف الذكر.

هذا الكتاب مرتب على مقدمة وثمانية وعشرين بابا وخاتمة.

في المقدمة: يتحدث في هذه المقدمة، التي استوعبت مائتين واثنين وخمسين صفحة عن حياة صديقه وخلال هذا الحديث يقوم برحلة حول البلاغة والفصاحة والنقد الادبي. واما الابواب فمرتبة على ثمانية وعشرين بابا بحسب الحروف الهجائية. وهو

---

(٦) طبقات اعلام الشيعة ص٦٨٨ وشعراء الحلة ص٣٤٦ ومقدمة الديوان ص٢١. واحب ان اشير الى انني حين احيل على الديوان او مقدمة الديوان انني اعتمد بذلك على ديوان السيد حيدر الذي حققه ونشره علي الخاقاني.

(١و٢) لمزيد من التفصيل يلاحظ نفس الكتاب وكذلك مقدمة الديوان في مبحث آثار الشاعر الادبية ص٢١، ٢٥ وشعراء الحلة ص٣٤٥ وما بعدها وطبقات اعلام الشيعة ص٦٨٨-٦٨٩.

يفتح كل باب بمقطوعة شعرية لا تقل عن اثني عشر بيتا. قام خلالها برحلة تكشف عن اطلاعه الواسع وتُبره على غزارة في المعلومات، واحاطة واسعة بفنون الادب واللغة. واما في الخاتمة فقد عرض قسما من شعر الشيخ محمد حسن كبةمما لم يكن جاء على ذكره في المقدمة ومساجلاته مع اعلام الشعراء من معاصريه كالحبوبي والقزويني والشيخ صالح الحويزى وغيرهم. طبع في بغداد بمطبعة الشابندار سنة ١٣٣١هـ. في جزئين..

الديوان:

اما ديوانه فالمخطوط ثلاث مجموعات [١]:

ا) مخطوطة صاحب الديوان وهي ببغداد تقع في ٣٩٤ صفحة عدد السطور ٢٤ سطرا في كلّ صفحة.

ب) مخطوطة الشيخ قاسم الملا الحلي كتبها سنة ١٣٠٥ هـ. اى بعد عام من وفاة صاحب الديوان تقع في ٤٥٦ صفحة عدد سطور كل صفحة ٢١ سطرا.

ج)مخطوطة السيد مرزة الحلي ابن عم صاحب الديوان وتوجد عند ولده السيد سليمان تقع في ٤٣١ صفحة وعدد سطور كل صفحة ٢١ سطرا.

واما ديوانه المطبوع فطبعتان:

الاولى: الدر اليتيم والعقد النظيم وهي طبعة حجرية تولى نشرها الشيخ على الحلاتي الحائري في بومباي الهند سنة ١٣١٢هـ. [٣] بناء على التماس السيد حسن صدر الدين العاملي وبعد اعادة النظر من كاتب مقدمة الديوان عبد المطلب الحلي، المسهم الاكبر في جمعه وهو ابن اخ السيد حيدر.

واما الطبعة الثانية: ديوان السيد حيدر الحلي: تولى نشرها وتحقيقها علي الخاقاني في المطبعة الحيدرية في النجف وهو عبارة عن جزئين:

---

(١) يلاحظ شعراء الحلة للخاقاني ص ٣٤٥ وما يليه وطبقات اعلام الشيعة ص٦٨٨-٦٨٩ .★)

الجزء الأول :

يتالف من ٣١٩ صفحة بما فيها المقدمة التي هي عبارة عن تعريف بالشاعر وترجمة له تقع في ٢٦ صفحة. وهذا الجزء طبع سنة ١٩٥٠ م. سنة ١٣٦٩هـ.في المطبعة الحيدرية في النجف.

الجزء الثاني :

عبارة عن ٢٧٢ صفحة بما فيها الفهارس طبع في بغداد سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.
والجزءان يحتويان على ٢٨٧ وحدة شعرية في ٨٣١٧ بيتا، وهما مقسمان الى ابواب كل باب مرتب بحسب الحروف الهجائية.

أبواب الجزء الأول

ابواب الجزء الاول: وعددها تسعة وهي:

١ ـ السيد حيدر الحلي (ترجمة حياته وآثاره.)
٢ ـ مدائح آل البيت.
٣ ـ مراثي آل البيت.
٤ ـ الوجدانيات.
٥ ـ التهاني.
٦ ـ الموشحات.
٧ ـ العتاب.
٨ ـ التخاميس.
٩ ـ الاخوانيات.

أبواب الجزء الثاني :

ابواب الجزء الثاني:وهي تسعة ايضا مرتبة كالاتي:

١ ـ الحماسة.
٢ ـ المدائح..
٣ ـ المراثي.
٤ ـ التاريخيات.
٥ ـ التقاريض.
٦ ـ متفرقات.
٧ ـ الرسائل(وهي نثرية يتخللها شعر).
٨ ـ اعلام الديوان.
٩ ـ فهرس الامكنة والبقاع.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا، من ان بروكلمان* في الملحق الثاني لكتابه تاريخ الادب العربي يسمى ـ خطأ ـ من بين مؤلفات السيد حيدر الحلي كتاب عمدة الزائر[١] وعدة المسافر في الادعية والزيارات وهذا الكتاب هو للسيد حيدر الكاظمي الحسيني الذى ولد سنة ١٢٠٥ هـ توفي في سنة ١٢٣٠هـ.[٢].

هذه هي آثار السيد حيدر الحلي شعرا ونثرا، والان سنحاول ان نقف وقفة سرعى عند بعض الاغراض التي عالجها في شعره، والتي تعطي ضوءا على ايديولوجيته كما يعطينا فكرة عنها دون ان نتعدى اطار موضوعنا الذي نحن بصدد مدارسته، ولنحافظ على المنهجية قدر المستطاع.

لقد طرق المترجم له، معظم الاغراض المعروفة في الشعر العربي، بخاصة الشعر الغنائي فمدح وتغزّل، ورثى، ولم ينس الحماسة والعتاب، وتناول ما كان منتشرا في عصره من تخميس وتأريخيات وتقاريض الى غير ذلك من الالوان المتداولة.

---

* يلاحظ كتاب Brockelman Supplement 2 ص ٧٩٦، لايزال هذا الكتاب باللغة الالمانية

(١) هذاالكتاب مطبوع اكثر من مرة ومتداول وهو احد كتب الادعية المعتمدة عند الشيعة الامامية.

(٢) يلاحظ اعيان الشيعة ج٢٩ ص٣.

ونحن سنقف - كما اسلفنا - عند بعض هذه الاغراض التي تمد دراستنا وما نحن بصدده من ايديولوجية الشاعر.

الاغراض الشعرية عند السيد حيدر:

أ- المـديـح ,

المديح اصطلاحا فن الثناء والاكبار والاحترام، قام بين فنون الادب العربي مقام السجل الشعرى لجوانب حياتنا التاريخية [٢].

ولقد زاد في شهرة كثير من الناس شملهم ورفعهم الى الذروة واغفل زملاء لهم، ربما كانوا اجدر بالذكر واحق بالشهرة. ولقد اسهم هذا الغرض الشعرى في ابراز عديد من الصفات والالوان لم تكن تعلم لولاه.[٣]. ولم يكن المديح من اغراض الشعر الاولى واكبر الظن انه تاخر في الوجود عن اغراض الشعر التي يتغنى فيها الشاعر بعاطفة شخصية [٤] ولقد كان مديح العرب في عصورهم الاولى فخرا كله [٥]. اما المحدثون من الشعراء فقلّ ان نجد بينهم من لم يحترف المديح ويجعل منه عمود شعره، وموضع اجادته وقد جرّأهم على ذلك جود الخلفاء والامراء ورغبتهم في اصطناعهم [١].

طريقة الشاعر في المديح:

واولاها هي طريقة القدامى التي تبدأ بالوقوف على الاطلال والنسيب الى جانب ذكر ما عانى الشاعر في طريقه من الاهوال التي اضنت راحلته، متخلصا من ثم لمدح ممدوحه.

وهذا الاسلوب في المديح هو الذي دعا الى اتباعه عبد الله بن مسلم بن قتيبة في

[٢و٣] المديح في سلسلة فنون الادب العربي . من المقدمة بقلم سامي الدهان ص٥.

(٤) في النقد الادبي، عبد العزيز عتيق ص١٧٥-١٧٦.

(٥) في النقد الادبي، عبد العزيز عتيق ص ١٧٦.

(١) نفسه ص١٧٧.

كتابه الشعر والشعراء [٢] وهو يبرّر ذلك بان ذكر الديار والدمن والاثار سبب لذكر الظاعنين عنها، وهذا سبيل للنسيب والتشبيب. فان هذا السبيل قريب للنفوس، لائطٍ بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب عباده من شغف بالغزل، والف للنساء [٣]. حتى اذا تحركت مشاعر الممدوح وراح الشاعر يذكر ما لاقى في رحلته اليه من نصب وسهر وسرى ليل، أنشأ يمدح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح[٤].

وسبيل الشاعر في المدح - كما ارتآه ابن رشيق في العمدة - انه اذا مدح ملكا ان يسلك طريقة الايضاح والاشادة بذكره للمدوح، وان يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، غير مبتذلة ولا سوقية[٥]. والبحترى مثلا كما يقول ابن رشيق، يقلّ الابيات، ويبرز وجوه المعاني، فاذا مدح الكتّاب عمل طاقته، وبلغ مراده[٦].

هذا وافضل الصفات في الممدوح ما كان معنويا من مثل الكرم والشجاعة والوفاء والعدل. وافضل الافعال ما صدر فيه فاعله من مثل تلك الصفات. والمدوحون الذين كانوا يتذوقون الشعر ويفهمونه كانوا يرغبون عن ان يمدحوا بغير الصفات المعنوية [٧]. وليس يحسن المدح الا ان يكون صادقا. ولو ان الشعراء واظبوا على هذا الصدق لكان غرض المدح من اجل الاغراض الشعرية.

لان الشاعر حين يمدح امرءاً بفضائل ومآثر حقيقية فانما يضرب قد وة للناس تسمو بهم[١] ولكن بين الشعراء المدّاحين من اتخذه تكسبا من الملوك والاثرياء، وتملقا لاصحاب النفود، وتزلفا في سبيل الآراب والمنافع الشخصية. فنافق كثير منهم على أنفسهم وعلى الناس فمدحوا من ليس هو جدير بالمدح. فهبطت بذلك قيمة هذا الغرض النبيل والجليل واذا كان من بين الشعراء من انزلق الى هذا المهوى فان فريق الايديو لوجيين والشرفاء منهم نبذها ورغب عنها[٢].

والمدح كثير الانواع: مدح الخلفاء، والملوك، والامراء والوزراء والقواد والوجهاء والعلماء والادباء، ومنه المديح الديني **والاشادة بفضائل النبي العظيم**

---

(٢) الشعر والشعراء تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجزء الاول ص٢ وما بعدها .

(٣) نفسه ص ٢٠

(٤) نفسه ص ٢١

(٥و٦) العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٢ ص١٢٩ .

(٧) التعريف في الادب العربي رئيف خورى ص ١٣٥ .

(١و٢) التعريف في الادب العربي، رئيف خورى ص ١٣٦ .

والثناء على اهل بيته والدعوة لهم في الخلافة والحكم، وثمة نوع آخر هو ما كان للاوطان والبلدان. والمديح السياسي عامة[٣].

بعد هذه الجولة مع المديح يطالعنا سؤال حول شاعرنا المترجم له وهو من أي فريق من الشعراء المادحين كان؟؟

المديح عند السيد حيدر الحلي :

لم يكن المديح عند شاعرنا من النوع الذي ينزل بقدر صاحبه. فلم يمتدح تزلفا من ذي جاه لينال حظوة، ولا تقربا من زعيم رجاة نوال، وانما كان تعبيرا عن عاطفة صادقة، يحسها تجاه شخصيات احتلت من قلبه كبير مكانة. كما أهلتها مقوماتها وادوارها لان تحتل ذرى المراتب السامقة، اذ ليس المهم ان نصل الى القمة ولكن المهم ان تحتفظ القمة بمكانتها بعد وصولنا اليها.

هذا سبيل سلكه شاعرنا الى جانب سبيل آخر هو سبيل المديح الديني والاشادة بفضائل النبي والثناء على اهل بيته. وهكذا فقد كان مديحه تعبيرا عن عميق محبته، وترجمة لصدق شعوره، فجاء هذا المديح فيض وجدان عامر بالاخلاص. ولا ادل على ذلك من اننا لم نر عنده قصائد نظمت تكسبا من ملوك زمانه وحكام عصره. باستثناء ثلاث او اربع مقطوعات قالها ـ على الاغلب ـ التماسا من بعض الزعماء الدينيين. وهذه المقطوعات التي هي في الحكام لم تكن الا تساميا لان يُغذّوا سيرهم في سبيل تشجيع العلم والادب والالتفات بعين العطف نحو الشعب.

واذا استثنينا هذه المقطوعات النزرة يمكن ان نقسم مديحه الى قسمين مدح النبي وآل بيته، ومديح من جمعته بهم صداقة حميمة او صلة، وهي تتدرج تحت قسم المديح ذي الغرض الجليل الذي يشيد بمآثر وفضائل حقيقية ليضرب قدوة للناس رجاة ان تحتذى [١]. لا جريا وراء التكسب والتملق.

(٣) المديح من سلسلة فنون الادب العربي لسامي الدهان ص٦.

(١) يلاحظ الصفحة السابقة.

مديح النبي ﷺ وآل البيت «ع»:

هذا القسم عبارة عن اربع عشرة وحدة شعرية تنتظم ثلاثماية وثمانية وثلاثين بيتا. يتنقل خلالها بين مديح النبي العظيم او احد الائمة الاطهار. وربما استطرد خلال هذه القصائد الى التنويه بذكر المراجع الدينيين في عهده. واول ما يستوقف في هذه القصائد صدق العاطفة وصفاء الوجدان وتسامي الخيال. وهو نفسه ينبه الى ان مديحه ليس الا ترجمة شعور عميق صادق، وليس تمدّحا متكلفا، بل هي ممعنة في الابتعاد عن الرياء مجلببة بالاخلاص والتقدير، اوليس هو القائل مخاطبا المهدى في قصيدته في ذكرى مبعث النبي ﷺ:

لا رأى الرحمة من قـــال ريـــاء   قلّـــت الروح لمولاهـــا فـــداء...[٢]

فشاعرنا اذن من هذا النوع من الشعراء الذين يمدحون في هذا المضمار مسترخصين الروح تضحية لذلك الممدوح المفدّى والان سنحاول ان نذكر الاشخاص الذين مدحهم شاعرنا في هذا المجال.

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

هذه القصيدة النبوية عبارة عن ثلاثة واربعين بيتا، يفتتحها مستحفيا:

أي بشرى كست الدنيـــا بهـــاءا   قم فهنّ الارض فيهـــا والسماءا[١]
طبّـــق الارجـــاء منهـــا أرج   عطّرت نفحـــة ريّـــاه الفضـــاءا

خلال هذه القصيدة يتنقل الشاعر بين مديح النبي الاعظم ﷺ وبين ذكر مبعثه الشريف الذي نادى به جبرائيل في الملأ الأعلى قبل ان ينادي به في الارض.

قائـــلا قـــد بعـــث النور الـــذى   ليس يخشى ابد الدهر انطفاءا [٢]
فهنيئـــا فُتـــح الخـــير بمن   ختم الرحمن فيـــه الأنبيـــاءا

---

(٢) الديوان ص٣٠ من الجزء الاول.

(١) الديوان ج١ ص٢٨.

(٢) نفسه ص٢٩

وتكرار لفظة التهنئة هنا في هذين البيتين يجعلنا نقف على مدى الشعور بالفرحة الغامرة التي أظلّت الشاعر وعلى مدى تعمّق حبه للنبي « ص »، حتى راح يشعر ان الكون كل الكون يعايش هذه الفرحة ويسامر هذا الجو. اذا فلتكن التهاني على كل صعيد ومستوى، وليأت الطباق عفوياً فرحاً. كهذا الخير الذي فُتح بمن ختم الله الأنبياء به. فتحس الأرج يتضوع من بين احرف هذا الختام، الذي يبدو وكأن المثل المعروف به اشتهر، فذاعت على الألسن « مسك الختام ».

بعد هذا التعميم بارسال التهانى ينتقل الشاعر للتخصيص، فيقدم تهنئته الخالصة للمرجع الديني الاعلى في زمنه، مطريا مزاياه بكثير من الاكبار والتعظيم الذي أسبغه جلال الموقف وعظمة الذكرى، خصوصا للرمز الذي يمثله المرجع بعد وفاة النبي وغيبة الامام، ومن هنا كان لهذا التعظيم مكانته الخاصة، لانها تمتح من تعظيم صاحب الذكرى العظيم..

وبحسن تخلص يلتفت من مدح الذي زان جيد سامراء، بعد ان كان عاطلا قبل ان يحل هذا المرجع فيها الى مدح الامامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام. محيّياً مرقدهما الاسنى وقبتها العالية، ومن ثم يعرج على ذكر المكان الذي غاب منه المهدي المنتظر، يناجيه ليصدع بامر به، فقد آن للأحشاء التي تضرم أنفاسها الهواء لطول الإكتواء ومرارة المعاناة، قد آن لها ان تبرد اذ نرى يد لله انتضت سيفها بكف قائم الحق انتضاء:

أفهل نبقى كما تبصرنا ننفد الايام والصبر رجاء[1]

الامام علي:

لقد مدح امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وذلك ضمن بيتين يستصرخه فيهما ويستغيث به لينقذه من صروف الدهر التي رمته بالمستبدين العثمانيين، الذين كانوا يكمّون الافواه، ويعطلون الحريات ويتبارون بالتضييق على الشعب الذي كان يعاني من ألوان الويل والاضطهاد، وصنوف العذاب والتنكيل:

---

(١) نفسه ص ٣٠ ويلاحظ القصيدة كلها من ص ٢٨-٣٠.

أمـــير المؤمنـــين أغـث صريخـا ... ألّم بجنـــب قـــبرك مستغيثـــا[٢]
اتـــاك يحـث ناجيـــة المطايـــا ... وصرف الدهر يطلبـــه حثيثـــا

وعلى متن هذه الناجية التي لا تزلّ بصاحبها، وعلى ولاء علي ومحبته، كان يجوب ميدان الشعر مجليا سباقا.

ففي القصيدة الطويلة التي أنشأها في مصرع الامام العظيم والتي يستهلها بمناشدة الاسلام يسأله عن مصابه الجلل، أهو بالنبي ام بالكتاب او بالوصي. اذ كل منهم ضلع لا يستغنى عنه في هذا المثلث القدسي.. في هذه القصيدة وعبر تفجعه الواله، لفقد امير المؤمنين، يعرج على ذكر بعض من صفاته ومواقفه، مما نستطيع بواسطتها ان نعد قسما منها في المدح، كهذه الابيات التي يصف فيها منافحة الامير عن الدين ودوره في تشييده:

هـــذا امـــير المؤمنـــين بعدمـــا ... ألجأهم للـــــدين في ضرابـــــه[٣].
وقـــــاد من عتاتهم مصاعبـــــا ... مـــا أسمحـــت لولا شباقر ضابـــه
قـــد ألـــف الهيجـــا حـتي لبلهـــا ... غرابـــــــه يأنس في عقابـــــه
يمشي اليهـــــا وهو في ذهابـــــه ... اشد شوقـــا منـــه في ايابـــه[١].

الامام الحسين:

يعرض لمدح هذا الامام كالاتي:

أ) عبر بيتين[٢] يشيم خلالها بوارق سحب ندى الحسين، هذه السحب التي تُغدق شآبيبها مبشرة بانجاح امنياته.

ب) في قصيدة من ابيات عشرة[٣] يبث فيها الشكاة من فقره وفاقته لمن هو بعد

---

(٢) الديوان ج١ ص٣٤.
(٣) نفسه ٥٧.
(١) نفسه ص ٥٨.
(٢) نفسه ص ٣٤.
(٣) نفسه ص ٤٧- ٤٨.

الله مرجاه، كل ذلك بيقين ثابت وايمان مطمئن، الى انه لن يصدر ظمآن وقد ورد اعذب منهل، وسفينة حسن رجائه ستقله الى ساحل بحر جوده.

د) وله قصيدة من خمسة ابيات في مدح الامام الحسين بن علي بن ابي طالب واخيه العباس يختتمها بقوله ان الدهر رماه بالنكبات فهما وقاؤه وملاذه.

اشبليّ «عـــلي» ومن ان دعو ت في كل خطب أجابا دعائي[4]
ارى الدهر من حيـــث لا اتقي رمـــاني، ويعـــلم انتم وقـــائي

هـ) وفي مقطوعة من بيتين يخاطب الامام الحسين واولاده عليهم السلام:

اليــكم تــذل النفس من بعــد عزة وليست تـذل النفس الا لمن تهوى[5]
فـــلا تحوجوهـــا بالسؤال لغـــيركم فتسأل من يسوى ومن لم يكن يسوى

ومن الجدير بالذكر ان المقطوعات الرثائية في الامام الحسين ينطوي قسم كبير منها على مديح واطراء.

مدح الامامين الكاظم والجواد:

لقد مدح الامامين موسى الكاظم[1] ومحمد الجواد[2] في ثلاث مقطوعات:

أ) الاولى ثلاثة ابيات[3] يتحدث فيها عن طلبته التي انما يكون تحقيقها عن طريق هذين الامامين اللذين هما بابان لجبار السماء ومن الجدير بالذكر ان محمد الجواد يدعى باب المراد الى الله.

ب) مقطوعة لم يبق منها سوى ثلاثة ابيات يتوجه فيها الى العلي القدير من محراب الامامين الكاظمين مخاطبا الله سبحانه وتعالى بما اوجب على نفسه من اللطف بعباده، وباسلوب حقوقي:

---

(٤) الديوان ج١ ص ٣١.
(٥) الديوان ج١ ص ٤٨.
(١) الامام موسى الكاظم هو الامام السابع عند الشيعة الامامية.
(٢) الامام محمد الجواد وهو الامام التاسع وحفيد الامام الكاظم وابن الامام علي بن موسى رضا
(٣) الديوان ص٣١ من الجزء الاول.

قضاء حق الضيف أولى به   من شرّع الواجب من حقه
وعلة المرء أرى برءها   ارجى لذى العلة من خلقه
والعبد لا يصلح من شأنه   الا الذى يملك من رقه[٤]

ج) مقطوعة[٥] مؤلفة من مائة واربعة ابيات يذكر فيها صحن الامامين الكاظم والجواد، وما احرز بها من الفخار، مستطردا لذكر مزاياها ومحامدها في ثلاثة مواضع من القصيدة معرجا على ذكر ومدح الباذل لتعمير الصحن والعلامة الشيخ محمد حسن ال ياسين. وذلك كما ياتي:

١ - القسم الاول في ثلاثين بيتا يظهر عبرها عظمة الصحن الشريف ويمدح صاحبه[٦]

٢ - القسم الثاني مدح الباذل لتعمير الصحن[٧]

٣ - عودة لمدح الامامين[٨]

٤ - مدح الشيخ محمد حسن آل ياسين واخيه[٩]

٥ - عودة لذكر قيمة الصحن ومقامه الديني[١٠]

مدح المهدي :

وذلك عبر خمس مقطوعات:

أ) المقطوعة الاولى عبارة عن ستة ابيات[١]. وفيها يُناجي الامام المهدى بن الامام العسكرى مستغيثا به الى الله لاطفاء نار الوباء الملتهبة

ب) مقطوعة ثانية في مديحه مؤلفة من تسعة واربعين بيتا موزعة كما ياتي:

١ - ستة وعشرون بيتا في مدح المهدي.

٢ - ثلاثة وعشرون بيتا في مدح السيد حسن الشيرازي المرجع الديني في سامراء.

(٤) نفسه ص ٤٧.

(٥) نفسه من ٣٥-٤١.

(٦) الديوان ج١ ص ٣٥-٣٧.

(٧) نفسه صفحة ٣٧- ٣٩.

(٨) نفسه ص ٣٩.

(٩) نفسه ص ٣٩-٤٠

(١٠) نفسه ص ٤٠-٤١.

(١) نفسه ص ٣١

ج) مقطوعة مؤلفة من خمسة وخمسين بيتا[٢] نظمها على اثر المعجزة التي حدثت للاخرس الذى اطلق لسانه ببركات صاحب الامر كما يذكر الشاعر ذلك في المقدمة النثرية للقصيدة[٣]. وهي على ثلاثة اقسام:

١ـ القسم الاول في مدح صاحب الامر وذكر المعجزة التي حصلت في خمسة وعشرين بيتا.

٢ـ في مدح الميرزا السيد حسن الشيرازي عبر ثلاثة وعشرين بيتا.

٣ـ عودة لمديح بني هاشم عموما عبر سبعة ابيات.

د مديحه في ذكرى مولده عبر قصيدة مؤلفة من خمسين بيتا:

يبدأها باعلان البشرى بولادة صاحب الامر عجل الله تعالى فر جه، وباكرام وفادة هذه الولادة، التي اطلت على الدنيا بانوار طلعته المباركة، فحيث بوجهه طلعة البدر، وكسته افخر حلة مكثت تنمقها منذ زمن بعيد يد الفخر، حلة هي من طراز الوحي، فلا نزعت عن عطف مجده ابد الابدين[٤].

ويا لنداوة هذه النسمة التي سرت مع طيب هذه الولادة، ناعمة الهبوب والبث، قدسية النفحات والنشر، حبت عطرا ولا اذكى، انه ارج النبوة الذي هو وحده الفواح الذكي، وما عداه ليس بعطر، فمتى حضر الماء بطل التيمم، ولهذا فقد اضحى الدين مبتهجا بولادة صاحب الامر، وفم الامامة باسم الثغر.

وتباشرت اهـــل السماء بمن حفّــت بــه البشرى الى الحشر[١]

ولا غرابة ان تكون بشرى مولده بهذا الاحتفاء والاحتفال، اذ هي ولادة المنتظر لتخليص البشر، ولتحقيق حلم الانسانية بانتصار العدل والحق وقيام دولة

---

(٢) نفسه ص ٤١-٤٢

(٣) نفسه ص ٤١ مطلع القصيدة:

كـــذا يظهر المعجز الباهر فيشهـــده الــبر والفاجر

ويروى الكرامـــة ماثورة يبلغهـــا الغائـــب والحاضر

(٤) احب ان الفت النظر الى انني احاول هنا كما في سائر المواضع التي نتحدث فيها عن شعر الشاعر تضمين الحديث كلمات الشاعر وتعابيره قدر المستطاع

(١) الديوان ج١ ص٤٤ وتلاحظ القصيدة كلها من ص٤٤-٤٧.

المستضعفين، يختتم الشاعر هذه المقطوعة بمديح اهل البيت عامة متسائلا عن سبيل الى هذا المرام:

مــــاذا اقول بمدحـــــكم ولـــــكم   جـــاء المديــــح بمحـــكم الذكر
كيــــف الثنـــاء عـــلى بمكارمـــكم   عجز البليـــــــغ وأُفحم المطري[٢]

هـ ـ مقطوعة من اربعة ابيات يستغيث فيها الشاعر بصاحب الامر، لائذا بشرف لا أجل منه عند الاله العلي القدير:

يـــــا قائما بالحـــق حـــل بنـــا   مـــا لا يفرجـــه سوى لطفـــك[٣]
بـــك عنـــه لذنـــا حيـــث لا شرف   عنـــد الالـــه اعز من شرفـــك

مدائح الاصدقاء:

وهذه عبارة عن ثلاثة وثلاثين وحدة شعرية، تحتوى على ثمانماية وثلاثة عشر بيتا. واكثر هذه القصائد في آل كبه وآل قرويني الذين تجمعه بهم اواصر صداقة متينة، وعرى صلة روحية وثقى، فعبر عن حبه لهم واعجابه بهم عبر عدة قصائد كلها من غرر قصائده. وان دل هذا على شئ فانما يدل على ما تمتع به من نفسية عالية تحفظ الجميل وتترجم الاخلاص، وماذا لدى الشاعر في هذا المجال مجال رد الجميل الا الشعر فيسعد النطق[١]، ان لم يسعد الحال. فيقول القصيدة العصماء، فيخلد قائلها والمقول فيه ويحفظ عبرها اسم الممدوح على مر الاجيال، لتظل وثيقة تشهد بأريحيته وتنم عن لطيف مزاياه. وقد سلك شاعرنا في هذا المجال سبيل فحول الشعراء القدامى في المديح، فهو يبدا بالغزل والنسيب متخلصا الى ذكر صفات الممدوح، وهذا التعريج على النسيب هو ما استلطفه ودعى الى انتهاجه ابن قتيبة في عمدته لان الشاعر ـ اذا

---

(٢) نفسه ص٤٦

(٣) نفسه ص٤٧

(١) اشارة الى قول المتنبي: لاخيل عندك تهديها ولا مال/ فليسعد النطق ان لم يسعد الحال. ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي منشورات المكتبة التجارية، مصر بدون تاريخ ص٣٩٤، الجزء الثالث.

اراد المدح انما يعمد الى النسيب «ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه، لان التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما جعل الله تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء»[٢].

والى جانب هذا السبيل الذي سلكه شاعرنا، نراه كذلك في كثير من قصائده، يعمد الى ذكر الممدوح مباشرة دون الابتداء بالنسيب والتشبيب، وذلك لدواع كانت تقتضي هذا الشكل من مخاطبة الممدوح، من هذه القصائد التي يستهلها بالنسيب قصيدته في مدح سليمان النقيب[٣]، نقيب الاشراف ببغداد. بناء على التماس بعض اصدقائه، فيقول متشببا:

حـــدرت باطراف البنـــان نقابهـــا ... مرحـــا فأخجـــل حسنهـــا اترابهـــا[٤]
وجلـــت غـــداة تبسمـــت عن واضـــح ... تستعـــذب العشاق فيـــه عذابهـــا
قتّالـــة الخطّـــاب، فهي اذا رنـــت ... وجـــد المشوق سهامهـــا اهدابهـــا
من حور - عـــدن - أقبلـــت لكنهـــا ... لم يحـــكِ مختوم الرحيـــق رضابهـــا

وبعد ان يدغدغ العواطف بهذا الغزل الرقيق بحسنائه التي كأن ليلة وصلها زنجية حنقت على العاشق الصب، فمزقت جلبابها، اما نجوم هاته الليلة الثواقب فتتراءى للشاعر حدقا تراقب الكعاب النواهد في جمالها، لتتملى من جمالها الفتان المغوي، هذه النجوم الحدق تحكي بتلألئها وتصف لعين الشاعر المتيم قرط حبيبته وحقابها، بل انها في ترقبها وقلقها وحذرها. عبر استشرافها للكعاب في خدورها، تحكي قلوب معاشر يزرع عزّ النقيب فيها الإرهاب والقلق خوف صولته، وخشية تصميمه على احقاق الحق.

لا بـــل حكت - قلقا - قلوب معاشر ... ضمن النقيـــب بعزه ارهابهـــا[١]

في هذه القصيدة المدحية لم تجانب الشاعر ايديولوجيته، بل رايناها تطل عبر

---

(٢) الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجزء الاول ص ٢٠
(٣) هو السيد سليمان بن السيد علي تلقى النقابة عن ابيه ببغداد سنة ١٣١٥هـ.
(٤) الديوان ج٢ ص١٤.
(١) نفسه ص ١٥
(٢) نفسه ص ١٦

اطرائه لبني هاشم وتكريسه حقهم في الرئاسة، اليست النبوة والامامة في هذه الاسرة العريقة، لذلك يتوجه مخاطبا ابناء الزمان الذين يحاولون ان يباروا ممدوحه الهاشمي، متعجبا كيف يحاولون ذلك، والله جلببه الرياسة، فكيف يستطيع انسان ان ينزع جلبابا ألبسه العلي القدير، فلتدّعوا يا ابناء الزمان اذن صدر وسادة الرئاسة لاربابها، امثال هذا الفاطمي الذي له من الاحساب الاثيلة لبابها، هذا الفاطمي الذي:

تنميه من علياء - هاشم - أسرة وصل الاله بعرشه انسابها[٢]
انت الذي ورث السيادة عن اب ورث النبوة: وحيها وكتابها

وهذا المدح المنطوى على افتخار بقبيلة هاشم قبيلة الشاعر ينتظم جوانب كثيرة من شعره المدحي، وهو ان نمّ عن شئ فانما ينم عن التزامه الايد يولوجي، فهو يقول من قصيدة في اطراء والد ممدوحه هذا:

من ذا يراجح حلمكم والحلم ما زلتم هضابه[٣]
ام من يطاولكم على ومن العلى لكم الذؤابة
لكم النبوة والامامة والسيادة والنقابة

ومن القصائد التي فيها يتجلى هذا الجانب الايديولوجي عند الشاعر قصيدته في مدح العلامة الكبير السيد مهدى القزويني، في هذه القصيدة يعرض باسلوب غير مباشر لمسألة رد الشمس لاميرالموءمنينعلي[٤]، ولترقب ظهور الامام المهدى[٥] عجل الله تعالى فرجه، وغير المباشرة هذه في ذكررد الشمس وظهور المهدى، تشف الى حد بعيد عن مدى تغلغل عناصر الايديولوجيا الشيعية في اعماقه، حتى تنثال من بين شفتيه، ولو كان الحديث عن مجال آخر.

وهو في نفس هذه القصيدة، يعرّج على ذكر الامام الحسن المجتبى[١] بن علي بن ابي طالب جد الممدوح، ولهذا فان الممدوح امام هدى تزهر النبوة منه بطلعة بدر كاملة السعد، ويأرج نشر الامامة من عطفه فواحا يغني عن ارج الندّ وهو لولا احترام الامام الباقر باقر العلوم، لما كان له من ندّ في الفضل والعلم.

وهكذا تنضح ابياته ابدا بهذه النزعة الايديولوجية..

---

(٣) الديوان ج٢ ص١٩
(٤و٥) نفسه ص ٢٥
(١) نفسه ص ٢٥

المديح المباشر:

اذا كان للشاعر قصائد مديح على الطريقة الكلاسيكية يبدأها بالغزل ثم يتخلص للمديح. فان له ايضا قصائد تبدأ بالمديح مباشرة من دون اى مقدمة، من ذلك قصيدته في صبحي بك احد الحكام الذين كانوا محبوبين من الشعب وذلك على لسان العلامة الميرزا جعفر القزويني:

لتُلقِ ملوك الارض طوعاً يد الصلح حذار حسام صاغه الله للفتح[٢]
واجرى فرندا فيه من جوهر العلى غدا يخطف الابصار باللمع واللمح
لو الدولة الغرّاء يوما تفاخرت مع الشمس قالت اين صبحك من « صبحي »

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان هذه القصيدة المدحية كان يقولها التماسا من بعض الاخوان، وهذا يبين لنا انه لم يكن يقصّد قصائده طمعا في مال ولا رغبة في نوال وانما بمحض عفوية واريحية، كالسخي الذي يعطي للعطاء ولانه هكذا خلق لا لكي يقال جواد كريم.. وهونفسه رحمه الله يلفت الانظار لهذا فيقول مجيبا بعض معاتبيه على المدح قائلا « لانك قد علمت اني لم امدح الا من لو حصلت لبعض المجيزين منهم الاجازة. لكان من شرف الرياسة الكبرى بمفازة واى مفازة، وزعمت انك قد بلغت من الرفعة والسناء ما استغنيت به عن المدح والثناء.

فاذا مدحت فلا لتكسب رفعة للشاكرين على الاله ثناء »[٣]

وبوسعنا ان نلحق بباب المديح من الجزء الثاني باب التهاني وباب الاخوانيات من الجزء الاول.

بعد هذه الوقفة العجلى مع المديح ننتقل الى الحماسة والفخر.

كثير من النقاد تتداخل عندهم الحماسة والفخر،[١] بل ان الحماسة ناحية من

---

(٢) نفسه ص٢٠

(٣) الديوان باب العتاب الجزء الثاني ص٢٣٩.

(١) يلاحظ كتاب الفخر والحماسة من سلسلة فنون الادب العربي ص٦ بقلم حنا فاخورى، ومن عنوان الكتاب نستشف مدى التداخل بين غرضي الفخر والحماسة

نواحي الفخر ، وعلى وجه التحديد فان الفخر الحزبي كما يقول حنا الفاخوري - هو شعر الحماسة[٢]. والحماسة نشات مع العربي منذكان. ولما كان الفخر والحماسة من نتاج العاطفة الشديدة والانفعال العميق فقد حفلا بالمغالاة، وانطلق فيهما الخيال مضخما مهولا ، وبرزت فيهما الحقائق التاريخية مجلببة بجلبات العاطفة، وتشتد فيهما الاساليب الكلامية والالفاظ والحروف اشتدادا هدّارا. يرافق انفجارات النفوس واصطخابات القلوب ، كما يرافق في مجال القتال صهيل الخيول ، وقعقعة الاسلحة، وجلبات المنون. وشعر الحماسة هو شعر تحريض، ومداره على استنهاض الهمم وبث روح العزائم لدفع عدو او لرفع ضيم[٣].

« والافتخار هو المدح نفسه - كما يقول ابن رشيق ، الا ان الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار،وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار »[٤].

اذاكان هذا هو شعر الحماسة والفخر فما دور شاعرنا في هذا المضمار؟؟

حماســـته :

ان المطلع على القصائد الحماسية المبثوثة في ديوانه يلاحظ تداخل الفخر والحماسة والمدح عنده ايما تداخل ، تتداخل الحماسة عنده والفخر الذاتي الشخصي ، كما تتداخل مع الفخر الحزبي والقبلي ، وذلك حين يعمد للافتخار ببني هاشم قبيلته ، وبالنبي محمد ﷺ وآله[٥] الاطهار. فمن المثال على حماسته وافتخاره قصيدته التي يستهلها قائلا :

وراءك اليوم عن لهوي وعن طربي	فــان قلــبي امسى كعبــة النوب
لا تطمعي في وصالي ان لي كبدا	تهوى وصال العلى لا الخرّد العرب[١]

(٢) نفسه ص٦

(٣) التعريف في الادب العربي رئيف خورى ص ١٣٨ .

(٤) يلاحظ كتاب العمدة لابن رشيق ج٢ ص١٤٣ .

(٥) يلاحظ الديوان ج١ ص١٣٤ ، وج ٢ ص١٦ و١٩و٢٥ .

(١) الديوان ج٢ ص٦

الى ان يقول:

في السمر لا السمر[٢] معقود هواي ... وللبيض الظُبا ليس للبيض الظبا طربي
وما عشقت سوى بكر العلى ابدا ... ولست أخطبها الا بذى شطب[٢]

الى ان ينتقل للتفاخر بمعشره مصطرخا:

لم يسرق الدهر لي فضلا ولا شرفا ... وما ادّعائي العلى والمجد بالكذب
وانها لمساعٍ لا نظير لها ... ورثتها عن أب من هاشم فأب
من معشر عقدوا قدما مآزرهم ... على العفاف وكانوا انجب العرب
والارض لم تبق منها بقعة ابدا ... الا سقوها برقراق الدم السرب[٣]

أرأيت الى هده الحماسة المؤارة بالفخر ذاتا ومعشرا، وبالسمو نفسا ومطمحا.

على هذا المنوال كان ينسج في حماسته وافتخاره. فهو يفاخر ابدا بحسبه الهاشمي الصراح، وبنفسه الكبيرة الطموح. وربما عرض عبر حماسته وافتخاره لاستنهاض الحجة المهدى. وهذا دليل على تسرب ايديولوجيته الى شعره بشكل لا شعورى. كما في القصيدة التى يفتتحها بقوله:

يا غمرة من لنا بمعبرها ... موارد الموت دون مصدرها[٤]
يطفح موج البلا الخطير بها ... فيغرق العقل في تصوّرها

ثم يروح يناجي صاحب الامر ليفرج كرب المضطرين، ويطهّر الارض من رجس الضلال هاتفا من اعماقه:

يا غيره الله لا قرار على ... ركوب فحشائها ومنكرها
سيفَك والضرب ان شيعتكم ... قد بلغ السيف جزّ منحرها
مات الهدى سيدي فقم وأمت ... شمس ضحاها بليل عثيرها
واترك منايا العدى بأنفسهم ... تكثر في الروع من تعثرها[١]

---

(٢) السمر الاولى الرماح والثانية الغيد الملاح
(٢و٣) نفسه ص٦
(٤) الديوان ج٢ ص٧.
(١) الديوان ج٢ ص٧

وهكذا، بعد ان المنا بالجانب الشديد اللصوق بالايديولوجية من اغراض شعر شاعرنا، في محاولة اضاءة بعض من مساحة آثار هذا الشاعر. وليس لنا هنا ان نسهب في مجال اجلاء كل نواحي هذه الاثار غرضا غرضا، لنظل ضمن اطار موضوعنا، وتقيدا منا بالمنهجية السليمة، لنبقى في حدود ايديولوجيةالشاعر عبر رثائه للامام الحسين، لا بد لنا من وقفة ولو متسارعة مع هذا الامام لنعرف من هو ولنستلهم آثاره ومآثره التي جعلت شاعرنا يحتضنها ويتبناها من خلال الايديولوجية الشيعية التي تنتظم اشعاره..

فماذا عن هذا الامام العظيم؟؟



الباب الثالث :

الامام الحسين آثاراً ومآثر



الفصل الأول : عصره

تمهيد :

في اشرف بيت ومن اعرق اسرة قرشية، من سلالة هاشم بن[1] عبد مناف ولد الحسين وفي احضان اسمى مدرسة تربوية ترعرع. وعلى رأس المشرفين على هذه المدرسة التربوية كان جده النبي ﷺ حامل مشعل الانسانية في ديجور الجاهلية الحالك. يعاضده الامام علي بن ابي طالب والد الحسين، نافذرا نفسه للرسالة السمحاء، عاقدا العزم ان ينتصر لها مهما غلا ثمن التضحية. ومع هذين العظيمين امه فاطمة الزهراء مثال التقى وعنوان الطهر والنقاوة.

عصره[2]

ولد الحسين سنة ثلاث او اربع للهجرة واستشهد في العاشر من محرم بكربلاء من ارض العراق سنة احدى وستين للهجرة. وكان عمره سبعا وخمسين سنة وستة اشهر[3] عاش منها مع جده ست او سبع سنين وشهور. ومع ابيه بعد وفاة جده ثلاثين عاما. ومع اخيه سبعة واربعين عاما، وبعد وفاة ابيه نحو عشرين عاما[4].

---

(١) حول النسب يلاحظ الفصول المهمة في معرفة الائمة لابن الصباغ ص١٥٦

(٢) ثمة تداخل بين العصر والبيئة، لانه تداخل الزمان والمكان، يلاحظ حول ذلك في المنتحب العاني وعرفانه للدكتور اسعد علي ص ٢٣- ٣٤.

(٣) الكافي للكليني ص١٨٨. ومناقب آل ابي طالب ص١١٢من الجزء الرابع.

(٤) اعيان الشيعة الجزء الرابع ص١١٢.

في عهد النبي[٥] :

هذا العهد كان عهد طفولة الحسين، تلك الطفولة السامية التي ترعرعت على يد النبي وعاشت على حبه ومداعبته.. وتعامله معه كما يتعامل مع الراشدين، اذ اخذ منه البيعة وهو صغيرهولقد كان يجلسه بجانبه الى المنبر، لتنطبع في نفسه تعاليم الرسالة بكل ابعادها، فيصبح منها كالضوء من المصباح، او كالدفء من الحرارة. وكذلك حرص النبي ان يجعل من طفله كما اراد ان يجعل من مؤمني المسلمين ينابيع نور، لا اجساما نيّرة وحسب.

في عهد ابي بكر:

اخبار الحسين في هذا العهد قليلة للغاية، اذ كان في التاسعة من عمره في عهد هذا الخليفة. وقد شهد اباه في هذا العهد، وقد اقام امدا غير يسير على خلاف ابي بكر.[١] وفي هذا العهد رزئ بامه الزهراء. وكان هذا الرزء عظيم الوقع في نفس الحسين، بعيد الاثر[٢]..خصوصا انها توفيت ولم تبايع هذا الخليفة. وقد كان بيت ابيه موضوعا تحت الرقابة الشديدة وانتهكت حرمته بدون لباقة.فقد بقي ابو بكر متأثرا نادما ندما عصبيا على ما فرط منه،[٣]. ولقد كان للسيدة فاطمة تجاه هذا التصرف موقف ايّما موقف، وخطبت خطبة بالغة تحتج على ذلك وكانت كأنها تنطق عن لسان ابيها محمد« ص »[٤]: تبتدئها بالتحميد لله والتمجيد عز وجل له: « أبتدئ بالحمد لمن هو اولى بالحمد والمجد والطول، الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما ألهم...واشهد ان لا اله الا الله، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب

---

(٥) عن الحسنين في عهد النبي يلاحظ مناقب آل ابي طالب جزء ٤ ص٣٤ـ٣٨ ونفسه ٧٨ـ٨١.

(١) يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص٢٩٧ وما بعدها

(٢) لقد اكد وليم مكد وجل وراثية الغرائز، وخضوع العواطف في تكوينها الى تأثير الظروف الخارجية والحيزات التي يقوم بها الكائن الحي يلاحظ في ذلك مقدمة في علم النفس العام لعبد السلام عبد الغفار ،دار مكتبة الجامعة العربية، ص٨٥.

(٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٣٠٣ـ ٣٠٤.

(٤) تحتج هذه الخطبة على ابتزازها فدك وهي ارثها من الرسول . يلاحظ الخطبة كاملة في دلائل الامامة للطبرى ص٣٠ وما بعدها والحوار حول فدك ص ٣١ـ٣٩.

موصولها وابان في الفكر معقولها.. » وهي خطبة بليغة طويلة ..فيها خطاب وتعنيف على المسلمين من المهاجرين والانصار. لسكوتهم عن حقها وارثها المبتز.

ان اجتزاء قسم منها لا يغني، وما هو الا اشارة . وان قراءتها تلقي اضواء كثيرة على عديد من الامور وتترجم موقفها من الخلفاء ومن مراقبة بيتها وايذائها.

لا جرم ان تترك هذه الحوادث اثرها في نفس الحسين، وان تدفعه لان يعمل جاهدا، ليكمل رسالة امه، خصوصا وان الغلام في مثل سن الحسين يومذاك يكون شديد التاثر بما يطرأ على امه من حوادث وما يعتمل في نفسها من مشاعر.

في عهد عمر بن الخطاب:

« أنزل عن منبر أبي، واذهب الى منبر أبيك[1] » بهذه الكلمات التي لست أدري بما أصفها، خاطب الحسين الغلام يومذاك، عمر الخليفة الجالس فوق أعواد منبر الرسول، والناس من حوله في صمت يصيخون.

تعجب عمر للرجولة المبكرة التي تطل من بين عيني الغلام، فتدفعه لان يقول ما قال. ولكن عمر يريد ان يستشف ما وراء هذا القول،..هل هي براءة الطفولة، ام ان ثمة من القى في رُوع الغلام ما أُلقي. فيسأله عمر:« من علمك هذا » فيجيبه « والله ما علّمني احد ». فيا للقَسَم الرائع ينثال على لسان الغلام وكأنه حدس بما يجول في نفس السائل، فجاء بقسمه يبدد تلك الشكوك، ويُسرّ عمر لدلائل النبوغ وعلامات الرجولة تبدر من الغلام، هذا الذي طالما رقي المنبر، وجلس الى جانب الرسول، وطالما سمع هو من الرسول ما سمع في حقه وحق اخيه: فيطلب اليه عمر « بأبي لو جعلت تغشانا[2] » وهو اذ يغشاه الحسين يكون كمن يرى الرسول في ذريته، أُوليس في الذرية تخليد للذات..

ومرة ثانية قصد الحسين الخليفة الثاني، ليلتقي ابه بالباب، قد حيل بينه وبين الدخول، فابوه خال بمعاوية. فيعود الحسين، حتى اذا التقاه ابن الخطاب استعتبه على عدم مجيئه فيخبره الحسين بما جرى وعندها انثال على لسان الخليفة الثاني قولة تبلغ

(١) تذكرة الخواص، سبط بن الجوزى ص ٢٤٤- ٢٤٥، الامام الحسين للعلايلي ص٣٠٥

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٢٦٧.

(٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٣٠٧ ويلاحظ ايضا فضائل الخمسة ج٣ ص٢٦٧

من الصدق جوهر الصدق، ومن الروعة جمال الروعة «سالك ولابن عمر، **فوالله ما أُنبت ما ترى في رؤوسنا غير الله، ثم انتم** »[٣].

ولا غرابة ان يجري على لسانه مثل هذا القول. اذ طالما انثال على لسانه **أقوال من** هذا القبيل. اوليس **هو الذي يقول« لولا علي لهلك عمر »**. و« **أقضانا علي** » . **ولا** كنت لمعضلة لست لها أبا الحسن[٤].

.. أُوليس هذا الخليفة نفسه المعروف بصرامته الشديدة وبجزمه الوازع تتكدر نفسه وتبتئس لانه لم يكسُ الحسن والحسين من الحلل[١] التي جيءَ بها من اليمن، والتي جلس عمر يوزعها على المسلمين، ما بين القبر والمنبر، في المكان الذي قال الرسول انه روضة من رياض الجنة. لذلك ارسل عمر لعامله على اليمن ان عجل بارسال كسوتين لحسن وحسين.. فما هنأه ان يخطر الناس بهذه الحلل دون ريحانتي الرسول.

في عهد عثمان بن عفان :

في عهد هذا الخليفة كان الحسين قد بلغ مبلغ الشباب فكان له من المآتي ما يليق بشاب من طراز الحسين. لقد كان يرى دائما متناسيا كل حفيظة، باذلا كل شي لتكون كلمة الله هي العليا.

لقد فهم الانتماء للدين الاسلامي على انه رسالة وأمانة ينبغي ان يؤديا على حقيقتها ،ليتأتى للناس فهم معنى الاسلام واستيعاب هدف رسالته.

---

(٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٢٦٧

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي ص٤٤- ٤٥ وما بعدها. ومناقب آل ابي طالب الجزء الثالثص٨.

(٦) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢٧٣

(٧) واسلام بلا مذاهب الدكتور مصطفى الشكعة دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٣ص١٤٤ .

(١) الامام الحسين للعلايلي ص٣٠٨

(٢) عن الحسين في هذا العهد يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ٣١٠- ٣١٠ .

ومما يجدر ذكره هنا انه في هذا العهد، اندلعت الثورة على عثمان واقتحم الثوار عليه داره[1]وان مروان بن الحكم قريب الخليفة، وقف يشتم الجماهير الثائرة المتأشبة حول عثمان ويتحداها، بدل ان يدلي لهم بكلمة تطامن سورة غضبهم[2]. فزاد الثورة استعارا، واتون النقمة اشتعالا، كذلك سكت معاوية ولم يتحرك لينقذ الخليفة. ومروان هذا ومعاوية واشابتهم من الامويين الذين أطلق عثمان يدهم في امور الدولة يعيثون فسادا ويبثون رعبا[3] هؤلاء كانوا من اهم اسباب الثورة المستمرة على عثمان.. وحتى عائشة التي طالبت فيما بعد بالقود لعثمان وحملت قميص ثأره، مع من حملوا، هي نفسها كانت من اشد المؤلِّبين على عثمان[4]. حتى قالت لمروان« لوددت انه(أي عثمان) مقطع في غرار من غرائري وأطيق حمله فأطرحه في البحر». كل هذه المشاهد كانت تتشعب في نفس الحسين، وكل هذه الحوادث كانت تترك اثرها فتزيد إيمانه إيمانا، وتضاعف من تصميمه على ان يحمل مشعل الرسالة من بعد جده، ولا بدع ان يكون كذلك هذا الذي غُذّي بلبان العقيدة ونمت اعصابه على نميرها، وكان ميراثه العقلي منبثقا منها. لقد تلمّذ في الاخلاص لهذه العقيدة، والتضحية في سبيلها على يد ابيه الذي ردّد في وجه المتناحرين على السلطة حتّى سدت آفاق وجودهم:« لولا ما أخذ الله على العلماء من الاّ يقارّوا على كِظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على[6] غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها، ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز. إن لم أقم حقاً وأزهق باطلاً

---

(١) يلاحظ مروج الذهب للمسعودى ص ٣٠٣ وما بعدها من الجزء الاول

(٣) الامام الحسين للعلايلي ص٤١ وص٤٥ وقولة طلحة« لو دافع مروان ما قتل عثمان».

(٤) يلاحظ الفتنة الكبرى الجزء الثاني ص٢٦ حيث يقول طه حسين «كانت عائشة من اشد نساء النبي انكارا على عثمان وكانت فيها نزعة جاهلية» ويلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ٤٥١ وقولة عائشة لعثمان« هذا قميص النبي لم يبل وقد ابليت سنته» ونفسه ص ٤١

[٥٤] ويلاحظ مروج الذهب الجزء الثاني ص ٨ حيث يقول عمار بن ياسر الصحابي الجليل مخاطبا«عائشة» ومدينا لها بقتل عثمان:

فمنـــك البكـــاء ومنـــك العويـــل	ومنــــك الريـــاح ومنـــك المطر
وانـــت امرت بقتـــل الامـــام	وقاتلــــه عندنــــا من امر

(٦)الامام الحسين للعلايلي ص٣١٧.

(٦) نهج البلاغة للامام علي شرح الشيخ محمد عبده منشورات المكتبة الاهلية بيروت ص٣٦-٣٧.

في عهد والده:

في هذا العهد عايش الحسين المحن التي مر بها ابوه العظيم. من تأليب عائشة الناس على عثمان، للين هذا امام ترف عصبته من الامويين على حساب الدين، وتخاذله امامهم وتركه لهم الحبل على غاربه، لا يحاسبهم في شيء ولا يسمع فيهم كلمة ناصح. فقامت الثورة عليه من الأمصار وسكت عنها هؤلاء المترفون على حسابه، الذين استغلوه ابشع استغلال، لقد سكتوا عن نقمة الناس عليه، حتى صرع، ثم اذا هم يحاولون ان يفيدوا من هذا المصرع ويستغلوا عثمان ميتا كما استغلوه حيا، فحملوا لواء المطالبة بثأره. وكانت معركة الجمل[1] وثم معركة صفين[2] وما تخللها من خدعة معاوية وعمر بن العاص برفع المصاحف، ثم ما كان من امر التحكيم وخروج الخوارج، فمناجزة امير المؤمنين لهم[3]. والحسين يرى كل ذلك ويعتبر. لقد نصح ابوه لعثمان ما وسعته الوسيلة. لم يألُ جهدا في ذلك، كما فعل في عصر الخليفتين الاولين. وكتب التاريخ مليئة بمواقف علي عليه السلام ونصحه له، وحرصه على ان يجنبه مغبة بطانة السوء وحاشية الضلال من الأمويين. ولكنه لم يرعو ولم يُلقِ أُذنا واعية. حتى ثار الناس ضد سكوته عن هذه الطغمة[4]. وصب المؤمنون سوط نقمتهم وعنفوا عليه في ذلك. وبدل ان يستجيب للناصحين المشفقين، اذ هو يعمد الى نفي ابي ذر

---

(١) مروج الذهب ص٥ الجزء ٢ يلاحظ مناقب آل ابي طالب ص٨٨. وما بعدها من الجزء الرابع. وحرب الجمل هي الحرب التي خاضها علي ضد طلحة والزبير عندما عصوا بالبصرة، وكان من اشد الدعاة لهذه الحرب عائشة التي قدمت على جمل تستنهض الناس ضد علي رغم نهي الرسول لها عن هذا الموقف وقد انسحب الزبير من المعركة عندما ذكّره علي بأقوال الرسول ونهيه له عن هذه الحرب ويلاحظ العلايلي ٤٦٤ وما بعدها في الامام الحسين

(٢) مروج الذهب ج٢ ص١٣.

(٢) المناقب ص ٩٥ وما بعدها. وهذه الحرب خاضها الامام ضد معاوية الذي زحف بجند الشام وكادت الدائرة تدور على معاوية لولا خدعة رفع المصاحف بناء على مشورة عمرو بن العاص ويلاحظ العلايلي ص٤٧ وما بعدها. والامام علي نظرة عصرية جديدة ص ١٢٧ وما بعدها تأليف محمد عمارة ورفاقه، المؤسسة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٤ اولى.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص٢٦ وما بعدها

(٣) المناقب ١٠٣وما بعدها. والامام الحسين للعلايلي ٥١ وما بعدها.

(٤) لقد حقق هؤلاء مطامحهم الاجتماعية على حساب التعاليم الاجتماعية الثورية التي بشر بها الاسلام وعلى

الغفاري[٥]، صحابي رسول الله الكبير، هذا الذي « ما أقلّت الغبراء ولا اظلّت الخضراء ذا لهجة أصدق منه » كما قال عنه الرسول الكريم[٦]: وهكذا تسبب الامويون بقتل عثمان، كما تسببوا من قبل بقتل عمر على يد أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة احد صنائع الامويين. فلم يكن محض مصادفة ان يموت. عمر على يد غلام رجل هو من. هو من الأمويين، هؤلاء الذين كانوا يرون في شدة عمر الشديدة وصرامته الحازمة في تطبيق القوانين، ما كان يخيفهم ويوجلهم على مصائرهم.أو لم يكن معاوية أخوف من عمر من (يرفأ غلامه [٧].

هذه الفئة المتآمرة من الناس، المشحونة حقدا وشنانا. كان لهم حزب[١] يعمل خُفية ويستفرص الفرص من لدن عهد النبي للانقضاض على المسلمين وتبديد شملهم.إذ كيف يمكن ان يؤمن بدين المساواة و العدالة، من يفقد آخر مزية له، اذ هو تخلص من جشعه. وتخلّى عن امتصاصه لدم الشعب؟؟

ولعل في الابيات التي انشدها يزيد اثر مقتل الحسين خير ترجمة لما كان يجول في رأس الملوك الامويين:

لعبـــت هاشم بالملـــك فـــلا خـــبر جـــاء ولا وحي نزل[٢]
قـــد قتلنــــا القرم من ساداتهم وعدلنـــاه ببـــدر فا عتـــدل

فمن البديهي ان يكون لهذه الاحداث التي المت، اثرها في الحسين، فكانت تزيد رؤيته وضوحا، كما كانت تترسب في أعما ق نفسه، وتعمل عملها في استمرار إنماء عقيدته على الإخلاص للدين الحنيف والتفاني في سبيله..

حساب جاهير الفقراء اثناء خلافة عثمان، يلاحظ علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديده ص١١ وما بعدها.

(٥) مروج الذهب ج ١ ص٣٠٤ - ٣٠٥.

(٦) الامام الحسين للعلايلي ص٣١.

(٧) نفسه ص٤٥.

(١) العلايلي للامام الحسين ص ٣١ وما بعدها ، وفي اماكن متفرقة من الكتاب

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي الجزء الثاني ص٥٩.

(٢) مقاتل الطالبيين ، ابو الفرج الاصفهاني ص٨١. ويقال ان هذه الابيات ليزيد او تمثل بها يزيد وهي لعبد الله بن الربعرى انشدها يوم احد لما استشهد الحمزة عم الرسول (نفسه ص ٦٧)

في عهد معاوية:

اغتيل امير المؤمنين علي وهو ساجد يؤدي صلاة الفجر ، والعبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد على ما جاء في الأثر:

قتلتم الصـــــلاة في محرابهـــــا   يـــا قاتليـــه وهو في محرابـــه [٣]

وشق راس العـــدل سيـــف جوركم   مـــذ شق منـــه الراس في ذبابـــه

اغتيل امير المؤمنين علي ، فخلا الجو لمعاوية ، خصوصا بعد ان تم صلح الحسن وهنا لابد من اشارة مقتضبة بما يبقينا في حدود موضوعنا ، وهي ان صلح الحسن عليه السلام كان موفقا جدا ، فمن الناحية السياسية لم تكن الظروف ملائمة لغير ذلك...وكان لهذا الصلح ابعادٌ عميقة كشفت عنها الأيام ، إذ أسفر بعده معاوية القناع عن وَجهه، إن كان ثمة من قناع . واذ به يرتكب الكثير من الجرائم والجرائر في حق الدين . كمقتل حجر بن عدي [١] صاحب رسول الله ، وعمرو بن الحمق ، ورفاعة بن شداد وغيرهم من خيار المسلمين وصالحي المؤمنين وأُطلق يد زياد بن ابيه [٢] وغيره من صنائع الامويين . ولم يكتف معاوية بذلك بل انه نكث العهد الذي قطعه للحسن والذي كان من شروطه ان لا يتعرض لأحد من شيعة علي ، وان لا يستخلف من بعده احداً . فتجاوز كل ذلك وأودي بحياة من اودى من صالحي المسلمين ، وطلب البيعة لابنه يزيد ، المستهتر [٣] ، السكيّر العربيد ، على ما أجمعت عليه الروايات المستفيضة . ولا

---

(٣) من ابيات السيد حيدر الحلي في مصرع الامام علي . ديوان السيد حيدر الحلي . تحقيق الخاقاني المطبعة الحيدرية النجف =

ذباب السيف : حدّه

= الاشرف سنة ١٣٦٩هـ . ١٩٥٠م ص٥٦ .

(١) مروج الذهب جزء٢ ص٣٩

(٢) هو زياد بن ابيه امه سمية إحدى البغايا . ادّعاه معاوية واستلحقه به اذ جعله اخا له لان ابا سفيان بن حرب كان يتردد على سمية . ولكن زيادا ولد على فراش عبيد ثقيف . لذا فان ادّعاء معاوية له مخالف لقول الرسول : « اذ قال « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . يلاحظ الفتنة الكبرى جزء ٢ لطه حسين : ص٢٠٢-٢٠٨ وهذا الاستلحاق لزياد هي احدى الموبقات التي اخذها الحسن البصري على معاوية (نفسه ٢٢٧) .

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ص ١٧٢ والامام الحسين للعلايلي هامش ص٣٤ وص ٦٠ وما بعدها ، ويلاحظ الجزء الثاني من الفتنة الكبرى . فهو كذلك بشهادة الحسن البصري ومحمد بن ابي بكر ... ويلاحظ ابو الشهداء للعقاد ص٦٢ .

ادل على ذلك من شماتته بالجيش الذي سيره ابوه لبلاد الروم والذي تقاعص عن الإنضواء فيه، فشمت لما تعرض له هذا الجيش من جوع ومرض شديدين. وأنشأ يردّد (٤):

ما إن أُبالي بما لاقت جوعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران، عندي أم كلثوم

والواقع ان في هذا الاستخلاف ليزيد، عدا نكث العهد والخروج عن الدين، ان فيه خطلا في الرأي والسياسة (١). اذ لو كان معاوية ذا تفكير سياسي سليم، كما يُصوَّر، لأحجم عن هذا، او لكان على الاقل عمد الى استحداث سلطتين قضائية وسياسية.. ويعهد بالسياسية ليزيد.

ولكن دلّ هذا الاختيار على عدم تفهم لروحية الجماعة، وعدم تدبير سياسي، يبدو اكثر جلاء حين أمر بسبّ امير المؤمنين علي على المنابر (٢). وتعقب اصحابه. وهذا من شأنه ان يقوّي من عزيمة اصحاب علي، اذ من بديهيات علم الاجتماع ان تتألف القلوب المظلوم وتجتمع على محبته، وتوحد صفوف اتباعه « وليس شيء من سياسة الناس يروّج للآراء ويغري الناس باتباعها كالاضطهاد الذي يعطف القلوب على الذين تلم بهم المحن، وتصب عليهم الكوارث (٣).

... هذا هو عصر الحسين عليه السلام. عصر مليء بالمشاحنات، مشحون

---

(٤) ابو الشهداء ص ٦٤. الامام الحسين للعلايلي هامش ٣٤٠.

(١) نفسه نفس الصفحة.

(٢) يامر معاوية بسب علي والرسول يقول لا يكون المؤمن لا طعانا ولا لعانا» الاعجاز والايجاز للثعالبي ص٢٢

(٣) يأمر بسب علي والنبي يقول من سب عليا فقد سبي، ومن سبني فقد سب فقد سب الله، يلاحظ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٢٢٧-٢٣٠.

(٣) الفتنة الكبرى لطه حسين ج٢ ص١٩٧.

بكل ما يثير منذ وفاة النبي والزهراء حتى ملك معاوية ويزيد، على ما كان في عهد هذين الاخيرين من تنكب عن طريق الدين، والتواء به، الى جعل الخلافة ملكية قيصرية جاهلية.[1] كادت ان تجتث شجرة التوحيد، لولا ان يرويها الحسين بدمائه الزكية فتمرع بعد يبس، وتورق بعد ذواء..

فتباركت وقفة العز - ابا عبد الله - هذه التي ستظل مع التاريخ محتذى كل ذائد عن عقيدة، ومقتدى كل منافح عن ايديولوجية حقة.

(١) يلاحظ مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ٥٠.

الفصل الثاني :

حياة الحسين أو معالم هداية ومنارات حقيقة

بعد هذه الالمامة العجلى بعصره، لابد من وقفة عند حياته التي تأثرت بهذا العصر، الى جانب ما اجتمع اليه من غنى الشخصية، وما تراكب في جبلته من صفات ذاتية خالصة، فوّز بها على الاقران.

حياة الحسين - كما يقول العلايلي - عظة من التاريخ، ولكنها تجمع التاريخ كله، فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان، بل حدودها حيث لا تتسع لها حدود[1].

والواقع ان لحياة الحسين، كما لحياة كل عظيم مظهرين في عالم الوجود:

مظهر الحياة الاخبارية وهي التي تجمع اخباره وتتحدث عن ولادته وبيئته وعصره ومظهر الحياة الحقيقية وهي التي تسجل مآثره وتترجم لمناقبيته.

وسبط الرسول منذ طفولته اندمجت حياتاه، فحياته الحقيقية المشعة كانت تواكب ابدا حياته الاخبارية وتعايشها، فمن لدن صغره، كانت له حسنات ولحياته اشعة... ولقد تحدثنا في الفصول السابقة عن حياته الاخبارية، وها نحن سنعمد للحديث عن حياته الحقيقية او المشعة، وان كانت كل حياته مشعة وسامية تسترعي وتسوقف. فماذا عن حياته الثانية منذ ان تولى الامامة بعد اخيه الحسن، بل قبل ذلك منذ وفاة ابيه، حتى لاقى مصرعه في سبيل واجبه الديني والتزامه الايديولوجي؟؟ وهكذا سنحاول ان نتابع مسار حياته من لدن كان جنينا الى حيث استوى انسانا كاملا.. فماذا عن حياته وسيرته...

---

(١) يلاحظ مروج الذهب للمسعودي ص٢ص٥٠ ، (١)الامام الحسين للعلايلي ص٩.

قبل امامته:

قضى الامام علي، سيف الله الذي ما نبت به في سبيل الحق ضربة، ولا لانت له قناة، فقام بالامر من بعده ابنه الحسن. فساس الامور كما يقتضي الظرف، ويملي الواجب الديني، حتى كان من امر صلحه مع معاوية ما كان، وشرط عليه من الشروط واخذ من العهود والمواثيق المغلظة الشديدة، التي نقضها معاوية، ونكث بها، غير مراع في ذلك ذمة.. الى ان قتل الحسن عليه السلام، مسموما بدسيسة من[1] معاوية.. فآل الامر الى الحسين.

الحسين اماما [2]:

انتقل الامام الحسن الى جوار ربه راضيا مرضيا..واصبح الحسين الامام من بعده، فصبر على معاوية كما فعل اخوه الحسن. لم يحاربه رغم ما نقض معاوية لشروط الحسن وعدم رعايته للعهود التي قطعها.. وفي هذا دليل على انه من انصار سياسة اخيه دفعا لقول من قال بخلاف ذلك. هذه السياسة الصائبة، التي أرت الناس معاوية على حقيقته[3].. فبلغ السيل الزبى من استشراء الفساد والعبث بحدود الله من غير ما وازع ديني، ولا رادع خلقي، بل جعل القرآن ظهريا، فاستقدم المغنين الى مدينة الرسول وبعث بالقيان. فانتشر الفساد، وتعددت اوكار المجون[4]..في محاولة لألهاء الناس عما يفعل الامويون، وعما يقومون به من اعمال كلها حرب على الاسلام وهدم

---

١ - صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٣٦٢ - ٣٦٥ ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٦ حيث ينقل قول الإمام الحسن (ع) عند وفاته «لقد حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال».

٢ - حول إمامته يلاحظ الكتب التالية: مناقب آل أبي طالب لابن شهرا شوب ج ٤ ص ٦٦ وما بعدها. - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٤٣ وما بعدها. ومقتل الحسين للخوارزمي ص ١٤٣ -

٣ - يلاحظ كتاب صلح الحسن ص ٣٧١

٤ - الإمام الحسين للعلايلي ص ٦ وص ٢٤٦

لمعاله.[1]

امام تيار هذه الاحداث التي توالت، فانجرفت بالحياة الاسلامية عن سنتها المرجوة التي وضعها النبي، وركزت في نفوس افراد كثيرين وجماعات كذلك... وقف الحسين وسط هذا التيار الجارف، منتقدا متها، لا يخشى ان يصرّح بكلمة الحق، ولا ان يعلن بالانتقاد، في وجه الظلم والطغيان.

فحين[2] قتل حجر بن عدي على يد معاوية من غبر ما جريرة.. ارسل الحسين كتابا لمعاوية... هو بمثابة سجل لعبث السلطة، واستهتارها بمقدرات الامة، وتجاوزها لحدود الله عدوانا وظلما.

هذا الكتاب سجل للدماء التي سفكها الامويون، وصرخة حق في وجه العبث والتلاعب والتجاوز الذي كان مدار سياستهم، وهو بيان لحقوق الشعب التي لا يمكن التغاضي عنها مهما كلف الامر، ويكشف ايضا عن جانب من اهم الاسباب التي دعته للخروج على يزيد فيما بعد[3]

ونحن لو تأملنا في هذا الكتاب لرأينا مدى عظمة هذا الينبوع الايماني الذي يصدر عنه الحسين. فمعاوية المعروف بغدره وختله، الذي فعل الافاعيل[4]، لا يتهيب ابن علي ان يجهر في وجهه بكلمة الحق.

وكيف يتهيب، وعليها وقف وجوده ولأجلها عاش.. فاذا هو يصارحه «اني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، ولا اعظم نظرا لنفسي وديني ولامة

(١) نفسه نفس الصفحات.

(٢) اعيان الشيعة الجزء الرابع ص ١٤١، والامام الحسين للعلايلي ص٣٣٨ وما بعدها.

(٣) الامام الحسين للعلايلي ص٣٣٨ وما بعدها

(٤) الفتنة الكبرى لطه حسين الجزء الثاني ص ٢٢٦و٢٢٧، حيث ينقل عن الحسن البصرى قوله:

«اربع خصال كن في معاوية: لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة:

١ـ انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء.

٢ـ استخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا.

٣ـ ادعاؤه زيادا، وقد قال الرسول الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤ـ قتله حجر بن عدى.

وينقل هذا القول عن الطبرى.

محمد، افضل من ان أجاهدك[1].. »

فالله الله.. كم هي جريئة هذه المجاهدة، والله الله كم انطوت عليه نفسك - ابا عبدالله - من عنصر التضحية..

ثم نراه يردف قائلا بعد ان يعدد جرائر معاوية من قتله للآمنين، ونكث العهود[2]، وادّعاء زياد[3]، وتصليته له على الناس يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم ويسمل اعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، مختتما هذه الفقرة بالكلمة الادانة « كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك ».

أن في هذا القول اتهاما من الامام الحسين « ع » لابن ابي سفيان في وطنيته وقوميته، وقد جعل من الدماء المراقة دليلا على ذلك. ولله درّ الصابي اذ يقول « ان الرجل من قوم ليست له اعصاب تقسو عليهم[4] »

فلقد بلغت القسوة بالحكام الامويين مبلغا عظيما، فنظام الحكم في ذلك العهد كان اشبه بنظام الاحكام العرفية في ايامنا هذه، حيث تعلن حالة الطوارئ. هذا النظام الذي يهدر الدماء ويتجاوز القانون..

وهذا الاجراء ان كان يعمل به في هذا العصر، في ظروف استثنائية ملحة وفي حالات خاصة من اجل الارهاب واقرار الامن، فان مثل هذا التدبير، كان في العهد الأموي النظام السائد.

لقد كان في كتاب الحسين الاحتجاج الآنف الذكر، موقفا بطوليا سيظل يشع ابد الدهر، يزيد في مساحات الضوء التي كان يزرعها خلال حياته كلها. وما اكثر مواقفه العظيمة.. ونحن سنورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) الامام الحسين للعلايلي ص٣٣٨ وما بعدها ، واعيان الشيعة ص١٤١- ١٤٢

(٢) ما اكثر ما نكث بعهوده والرسول يقول « كرم العهد من الايمان »، يلاحظ كتاب الاعجاز والايجاز للثعالبي ص ٢٢٣.

(٣) يلاحظ مروج الذهب ج٢ ص٤٠-٤١ حول زياد واستلحاقه بمعاوية، واخبار امه سمية. مع ما في هذا الاستلحاق من خروج عن قول الرسول وتعاليمه.

(٤) الامام الحسين للعلايلي ص٣٣٨.

(أ) موقفه من الوليد بن عتبة بن ابي سفيان والي المدينة من قبل معاوية:

حين دعاه لبيعة يزيد[١]. فجاهره ابن علي بالحقيقة «يزيد شارب خمر ولاعب نرد، معلن بالفسوق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله».

اى وايم الحق مثل الحسين في سمو العقيدة ونبل الولادة؛ لا يبايع مثل يزيد في خبث المولد والامعان في الاستهتار واجتراح المآثم. هذا الموقف الشامخ حدا بعباس محمود العقاد[٢] وهو يقارن بين اسرة بني هاشم واسرة بني امية، ان يرسم كثيرا من علامات الاستفهام والتعجب حول النسب الاموى. انهم بنو عمومة، ولكن بينهم من تناقض الصفات خَلقا وخُلقا، ما جعله يغمز في النسب الاموي، ولو من بعيد، حين تساءل عن سبب الحاق امية لذكوان عبده، ثم قيام حرب بن امية بتزويج امراته على حياته من ذكوان هذا.. وذلك ما لم يفعله احد من اشراف العرب في الجاهلية.. ولقد قضى نفيل بن عدي لعبد المطلب بن هاشم على حرب بن امية حين تنافروا وقال لحرب بن امية[٣]:

أبوك معاهر وابوه عـــــــفّ وذاد الفيـــــل عن بلـــــد حرام

(ب) موقفه من أرينب بنت اسحاق:

وهذا موقف آخر يسجل للحسين في مجال الغيرية والمشاركة الوجدانية. لقد كانت أرينب هذه او زينب[٥] انثى مسحت عليها الفتنة بيد، ومسح الاغراء عليها

---

(١) مناقب آل ابي طالب الجزء الرابع ص ٨٧. ويلاحظ مقتل الحسين للخوارزمي ص١٨٠ وما بعدها وابو الشهداء للعقاد ص ٣٢. والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦٩.

(٢) ابو الشهداء للعقاد ص٤١ وما بعدها.

(٣) نفسه ٤٣

(٤) ابو الشهداء للعقاد ص٣٥ وما بعدها، والعلايلي الامام الحسين ص٥٠٣ وما بعدها

(٥) العلايلي يتردد بين الاسمين ارينب او زينب، والعقاد يسميها زينب.. اما في مقتل الخوارزمي الجزء الثاني ص١٥٠ وما بعدها، فيورد الحكاية تحت اسم ام ابيها هند بنت سهيل بن عمر وزوجها عبد الله بن عامر والي العراق من قبل معاوية.

بالاخرى فجاءت فتنة لو سبقت فينوس لتربعت قبلها على عرش الجمال. تزوجها عبد الله بن سلام.. وكانا متحابين مخلصين، اكثر ما يكون الحب واشد ما يكون الاخلاص.

ولكن يزيد العربيد السكير لا يفهم شيئا من الحب والاخلاص الزوجي، انه يصدر عن نفس تملكتها الشهوة وسيطرت عليها النزعات، فهي تملي عليه وهو ينفذ..تعلق يزيد بأرينب، وعراه من الحزن والوجوم ما جعله ينكمش على نفسه كمدا وحسرة... اذ كيف تفلت من بين براثن الذئب الشره نعجة لدنة طرية؟؟

وابوه معاوية ايفوّت على ابنه نزوة من نزواته.. اذن فليعمل الحيلة، وليمعن في الكيد والختل، ليهتبل الغفلة وينقض على الفريسة.. وما هو الا ان يرسل وراء عبد الله بن سلام والي البصرة، فيبالغ في اكرامه وتعظيمه. من بعد ماارسل له الهدايا من كريم الجواهر واللآلئ، مبالغا بالحفاوة به، ولكنه كمن يسمّن النعجة.ثم انه منّاه بالزواج من ابنته، كما همس في اذنه عمرو بن العاص، الذي اردف ولكن بنات الملوك لا تدخل على ضرائر.. وراحوا يزينون له ما في الزواج من النفع العاجل والآجل، وكيف سيغدو بعد ذلك واليا على العراق كلها.. فانخدع الزوج المسكين، واعلن طلاق ارينب في جلسة سمر وانس وامنيات حالمة، من هذه الجلسات التي يصبح معها الانسان سكران بالوهم.. ولكن معاوية ينكث بابن سلام بعد طلاق زوجته... وهل كانت الغاية الا ذاك، والا ففيم سمّنت النعجة.. واستفاق الزوج المخدوع من سكرة الاحلام، فراح يعلن بالشتم والسباب. حتى كنت لا تسمع في كل مكان الا من يقول اتبلغ القحة بهذه العصابة حد التآمر بسعادة اسرة هانئة، تمرح في حب وتسرح في اخلاص..

اما يحلو لها حياة الا اذا ولغت في دم، او عبثت بكرامة.. لقد تعدوا طورهم فلا يرون الا راقصين على الاشلاء، لاهين بالجماجم، لا يضيرهم ان يسعدوا والناس من حولهم يألمون، ولا يشقيهم ان يشربوا كأسا مزاجها دموع البائسين، وحشرجة المحتضرين...

..وارسل معاوية ابا الدرداء وابا هريرة الى مدينة الرسول حيث كانت أرينب قد اقامت بعد طلاقها، ارسلها ليخطباها على يزيد..

فذهبا، ولكن أيحلان المدينة ولا يلمان بقبس الهداية ومشكاة الطهر:

الحسين سبط الرسول.. وما هو الا ان يعلماه بسبب مجيئهما.. فيدرك كل شيء، ويفهم ابعاد المناورة الخسيسة التي حاكها معاوية وابن العاص.. وترجم هذا الحدس « خدع معاوية عبد الله حتى طلق زوجته وانما ارادها لابنه.. لبئس من استرعاه الله امر عباده، ومكنه في بلاده واشركه في سلطانه.. يطلب امرا بخدعة من جعل الله اليه امره » فعزم الحسين ان يعيد مياه حياة الزوجين البائسين الى مجراها المرح الهانىء.. فطلب، منها ولكن، اذكر اني عندها خاطبا ، ليفوت الفرصة على أحابيل معاوية.. فرفضت يزيد وقبلت بالحسين هذا الذي قال « ما ادخلتها في بيتي رغبة في مالها ولا جمالها ولكن أردت احلالها لبعلها »[1].

تكفله بسد ديون اسامة بن زيد:

ذهب الامام الحسين ليعود اسامة في مرضه، فوجده مغتما يخاف ان يدركه الموت ولما يقض دينه. فتكفل الحسين ان يسدّده بالغا ما بلغ[2]، برغم ما عرف عن اسامة من قعوده عن نصرة الامام علي خلال حروبه..

انسانية متسامية:

خرج سائل يتخطى ازقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرعه منشداً[3]:

لم يخب اليوم من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
انت ذو الجود، انت معدنه، ... ابوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من اوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبقة..

(١) ابو الشهداء. عباس محمود العقاد ، ص ٣٦.. والامام الحسين للعلايلي ص ١٣٤.
(٢) مناقب ال ابى طالب الجزء الرابع ص ٧٦ ويلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ١٢٩.
(٣) مناقب آل ابي طالب الجزء الرابع ص ٧٦. ويلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ٢٨، واعيان الشيعة للسيد محسن الامين ص١٢٦.

وكان الحسين واقفا يصلي، فخفف من صلاته.. وخرج الى الاعرابي فرأى اثر الفاقة في غضون وجهه، فنادى قنبرا خادمه ليجيء له بما تبقى من نفقة، كان قد امر بتوزيعها في اهل بيته، لانه جاء من هو احق بها منهم فدفعها الحسين الى الاعرابي وانشأ يقول:

خذها فاني اليك معتذر ... واعلم باني عليك ذو شفقة[1]
لو كان في سيرنا الغداة عصا ... كانت سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو نكد.. ... والكف منا قليلة النفقة

فأخذها الاعرابي وولّى وهو يقول: الله اعلم حيث يجعل رسالته.

مطّهرون، نقيات جيوبهم.. ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا[2]
وأنتم الأعلون،، عندكم ... علم الكتاب، وما جاءت به السور
من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له في جميع الناس مفتخر..

فاية انسانية فذة متسامية تتجلى في هذا الحادث. ليس اكبر مظاهرها، ما رأينا من اعطائه للسائل كل ما تبقى عنده من نفقة، وايثاره له على خاصة اهل بيته.. بل يتراءى لي ان في تخفيفه من صلاته احتفالا بذلك السائل المسكين، مظهرا انسانيا رائعا لا يدانيه في مجال المشاركة الوجدانية والتجاوب الشعوري، الا ما كان من اجابته، بابيات من نفس الروّي والوزن الشعرى، على الابيات التي امتدحه بها السائل واستماح عطاءه.

عليك السلام ـ ابا عبد الله. ايها الانسان المثال في كل ما يصدر عنك، لقد كانت حياتك كلها سلسلة مناقبيات، يحار الانسان ما يذكر منها ومايدع.

(١و٢) نفسه نفس الصفحات.

الفصل الثالث :

آثاره ومآثره .

آثاره:

بعد ان ألمحنا الى شيء من سيرة الحسين ومواقفه الانسانية العظيمة بقي ان نشير الى شيء من آثاره ومآثره.

آثاره في مجال الحديث النبوي:

انتقل النبي الى جوار ربه والحسين ابن ست او سبع سنين وهي سن لا تسمح لصاحبها بان يروى الحديث. هذا بالنسبة لطفل من طراز الحسين اجتمع له من المؤهلات الشخصية ومن غنى التربية والنشأة ما لم يكن لغيره، فلا غرابة ان يكون له من التركيب البسيكولوجي والفيزيولوجي ما يسمح له بنقل الحديث وروايته. حتى ان النبي كان يتعامل معه كراشد فأخذ منه البيعة وباهل به. وفي هذا كبير اعتراف بما له من مستوى عقلي ونفسي، يؤهّله لكل ما يرجى من العاقل الراشد.

ومن الاحاديث المسندة عن الحسين: « ما من مسلم ولا مسلمة تصيبه مصيبة وان قدم عهدها فيحدث لها استرجاعا [1] الا احدث الله له عند ذلك أجرا وأعطاه ثواب ما وعده به يوم اصيب بها »[2].

(١) الاسترجاع قول انا لله وانّا اليه راجعون.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣ص٥، وينقل الحديث عن اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير الجزرى ج٢ ص١٨.

في مجال الشعر:

المأثور عنه على صعيد الشعر ليس كثيرا، وجلّه كان يجيء في مجال استشهاد او تمثّل. من هذه الاشعار الابيات التي أنشأها حين توفي اخوه الامام الحسن ووضع في لحده. من هذه الابيات:

أأدهن راسي ام تطيب مجالسي ورأسك معفور.. وأنت سليب
او استمتع الدنيا لشيء أحبه بلى، كل ما أدنى اليك حبيب
بكائي طويل.. والدموع غزيرة وأنت بعيد.. والمزار قريب[1]
غريب وأطراف البيوت تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب

ان في هذه الابيات تعبيرا صادقا عن وجد الاخ بفقد اخيه، وترجمة حية لمشاعر من كوته تجربة موت الشقيق. حيث تراءى لنا القلب من خلالها عميق الجرح، ذائبا من الحزن، منسكبا عبر لوحات دراماتيكية، يلونها الشاعر بلواعج اشجانه، ويحييها بفيض روحه، ويجسمها برونق عباراته.

خطبه:

لقد خطب ابن علي في عدة مناسبات، خطب في كربلاء، في اشد الساعات حرجا، فكان كأنما يفرغ عن لسان ابيه علي، او ينثال بمنطق جده النبي، وظل هو هو في ساعات الشدة الرخاء: رباطة جأش، وذرابة لسان، وقوة حجة، داعيا الى الله، ولاتباع رسالة جده المصطفى ﷺ. لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا اوضح سبلها وابان عقوبتها. حتى قال لعمر بن سعد قائد جيش يزيد بن معاوية، الذي مناه امير الكوفة عبيد الله بن زياد ان يوليه بلاد الري وجرجان مكافأة له على محاربة سبط النبي،

---

(١) تلاحظ هذه الابيات كلها في كتاب مناقب آل ابي طالب جزء ٤ ص٦٥، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٤٢، وفي الايقاد للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ص٤٤.

(٢) تلاحظ اشعاره في هذا المجال في الكتب التالية: بحار الانوار للمجلسي ص٢١٠، اعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج٤ ص٣٦٧، مناقب آل ابي طالب ج٤ ص ٧٦ وص ٩١.

(٣) يلاحظ للاطلاع على شيء من محاسن كلامه الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦٤- ١٦٨.

قال له الحسين« اتزعم ان يوليك الدعي (عبيد الله بن زياد) بلاد الري وجرجان فوالله ما تهنأ بعيش بعدي ابدا » . ولما وقف عليه السلام قبالة القوم وقد تهيأوا لقتاله، ليعذر لله فيهم وليلقي عليهم الحجة فنظر الى جوعهم كالسيل، وحدق بابن سعد واقفا في صناديد الكوفة ثم انشأ يقول:الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفةبأهلها حالا بعد حال. فالمغرور من غرّته. والشقي من فتنته. فلا تغرنكم هذه الدنيا. فانها تقطع رجاء من ركن اليها، وتخيب طمع من طمع فيها. واراكم قد اجتمعتم على امر أسخطتم الله فيه. وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته،

وجنبكم رحمته. فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم. أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول «ص» ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته تريدون قتلهم. لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم. فتباً لكم ولما تريدون. انّا لله وانّا اليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم. فبعدا للقوم الظالمين[1]. فقال ابن سعد ويلكم كلّموه فانه ابن ابيه. والله لو وقف فيكم هكذا يوما جديدا لما انقطع ولما حصر. فقال شمر بن ذي الجوشن وكان من ألد المتعصبين ضد الحسين« ما هذا الذي تقول أفهمنا حتى نفهم » فقال الحسين:« اقول لكم: اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني. فانه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي »[2].

ومن خطبة ثانية له فيهم:

« ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر اليكم فان[3] اعطيتموني النَّصَف كنتم بذلك أسعد. وان لم تعطوني النصف من انفسكم فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة. ثم اقضوا الي ولا تنظرون. ان وليي الله الذي انزل الكتاب وهو يتولى الصالحين... ثم قال: اما بعد فانسبوني فانظروا من انا، ثم ارجعوا الى انفسكم فعاتبوها. فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، واول مؤمن مصدق لرسول الله بما جاء من عند ربه. أليس حمزة سيد الشهداء عمي، اوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي. اولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب اهل الجنة فان صدقتموني

(١) مناقب آل ابي طالب ج٤ ص٩٤. ويلاحظ اعيان الشيعة ج٤ ص٢٥٥.
(٢) نفسه ص٢٥٦
(٣) الايقاد ص٩٥. تأليف علي الشاه عبد العظيمي.

بما اقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه اهله. وان كذبتموني فان فيكم من ان سالتموه عن ذلك اخبركم. اسألوا جابر بن عبد الله الانصاري، وابا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله «ص»، لي ولاخي. أما في هذا حاجز لكم من سفك دمي.....

ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته، او مال لكم استهلكته، او بقصاص جراحة. ثم نادى يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الاشعث، ويا زيد بن الحارث. ألم تكتبوا لي[1] ان قد أينعت الثمار واخضرت الجنان، وانما تقدم على جند لك مجندة».

وكل خطبة كما راينا بليغة تقفل كل باب على كل حجة غير ما تتبسط فيه، خطب تحرك الضمائر، وتهز المشاعر، لو كان ثمة شعور عند هذه الجماعة ليهتز او ضمير ليتحرك وانما «على قلوب اقفالها[2]» و «ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»[3].

هذا جانب من خطبه الكثيرة ومواعظه البليغة، وكلها جديرة بأن تقرأ، وتعاد قراءتها لما فيها من درس وعبر، ولما هي قانون حياتي ودستور اخلاقي، علينا ان نتمثل بها خلال ظروف حياتنا، ونتمثل بصاحبها هذا الذي لم تخرجه المصائب المتواترة عن طوره. بل ظل انسانا مؤمنا بربه يدعو للايمان به، ويدعو الناس بأن يلتزموا سبيل الحق وجادة الصواب، وان لا يكونوا عبيد الناس وقد جعلهم الله احرارا، ظل هكذا حتى قضى دون ذلك شهيد الحق والعدالة، وشهيد وقفة العزة يقفها ابن الشعب في وجه الطغاة المتآمرين والحكام المستبدين وهكذا سيعيش ابدا في اخلاد الناس.

الاثر غير المباشر: المآثر

مصرعه: ليس مصرع الحسين حادثة من التاريخ يمكن ان تتكرر، وانما هو بعث

---

(١) يلاحظ حول كتب اهل الكوفة للحسين: مقتل الحسين للخوارزمي الجزء الاول ص ٩٢ وما بعدها. وص ٢٣٤ وما بعدها وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) الاية ٢٤ سورة محمد. واقفال القلوب الخاصة بها هي الكفر والعناد ونحوها مما يصعب معه تقبل الدين الحق ومبادئه القوية. يلاحظ معجم الفاظ القرآن الكريم الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م. المجلد الثاني ص٤١٠.

(٣) ١٤ سورة المطففين. اى ان كسبهم غلب على قلوبهم فصدئت وطبع عليها نفسه جزء اول ص ٥٢٩.

لعظمة تاريخ امة ، لولاه لعادت بلا تاريخ . وهل تاريخ الامة الا تاريخ عظمائها ؟؟

لو لم يقف الحسين عليه السلام في وجه تيار الفساد والاقطاع ، الذي كان يعمل ويستفرص الفرص ليجرف معالم رسالة التوحيد ، لتردّى تاريخ امتنا في مهوى جاهلية جهلاء ، اين منها الجاهلية الاولى فسادا وهدر حقوق؟؟

.. حكاية مصرع الحسين ومن صرعوه. حكاية الخير يريد ان يفتح عينيه ، ويخصب حياة الناس ، وحكاية الشر يستل مخالبه المجددة ويفغر عن انيابه العصلاء ليغتال الخير والخصب .انها حكاية الحق يريد ان يعتنق المجتمع لتشيع السعادة فيه ، والباطل يحدجه شزرا ، وينقض عليه ليشيع الشقاء .. ان الباطل كان زهوقا [1].

بل هي حكاية العدل. يريد ان يبسط جناحيه ، والظلم يريد ان يقنصه ويقص جناحيه ..

انها حكاية النور يسعى ليغلغل انمله الوردية في سرير الكون ، والظلام يريد ان يرين ليئد معالمه . ويأبى الصبح الا ان يفضح فحمة الدجى ..

انها حكاية الانسانية السامية تريد ان تستوعب نفسها وتنطلق الى رحاب الوجود خيّرة معطاء .. وحكاية البهيمية تريد ان تنقض بجاثومها وتستأصل شجرة الحرية والعدالة ، قبل ان يعقد زهرها ، وتُؤتي أُكُلَها طيباً كل حين.

ولكن نزوة البهيمية هذه لم تكن الا عاصفة هبت ثم هدأت الى غير قرار....وارتوت شجرة الرسالة المحمدية بدم الحسين ، فأمرعت واستوت نضرة خضراء ، تسر الناظرين[2].

هذا بعض من حكاية مصرع الحسين وحكاية حرب كربلاء ، التي انما هي على حد تعبير العقاد « حرب بين اشرف ما في الانسان واوضع ما في الانسان[3] » وهكذا كما يقول العقاد ايضا« اقترن تاريخ كربلاء بعد ان سيق اليها ركب الحسين منذ ذلك اليوم ، اقترن بتاريخ الاسلام كله ، ومن حقه ان يقترن بتاريخ الانسان حيثما عرفت لهذا الانسان فضيلة يستحق بها التنويه والتخليد [4] ».

---

(١) تنظر الاية ٨١ الاسراء.

(٢) تنظر الى الاية ٦٩ البقرة.

(٣) ابو الشهداء للعقاد ص ١٤٦

ويلاحظ للمقارنة بين حرب الحسين واعدائه نفس المرجع ص١٢٠ وما بعدها وص ١٢٦ وما بعدها . ويلاحظ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٢٠٠.

(٤) ابو الشهداء للعقاد ص ١٥٠.

ويتبين لنا مدى صحة هذا الحكم الذي اطلقه العقاد ومعظم المؤرخين النبلاء النزيهين، اذا عرفنا يزيد بن معاوية هذا الذي حمل في وجهه الحسين لواء الثورة، فترك مهبط الوحي ومضى الى العراق، يجاهد في سبيل الله وشعاره:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما[1].

والآن من هو يزيد؟؟

يزيد هو ابن معاوية بن ابي سفيان من ميسون الكلبية. ولي الملك بعد ابيه معاوية.

«وقد ولدت فكرة بيعة يزيد بين التوجس والمساومة والاكراه[2]» وقوبلت بجفوة بين اخلص الخلصاء واقرب الاعوان[3]». وحتى يزيد لم ير نفسه اهلا[4] لتلك البيعة.

وكيف لا يكون كذلك والرسول «ص» يقول في جملة ما يقول فيه «اللهم لا تبارك في يزيد[5]» الى غير ذلك من الاحاديث المتواترة المروية في حق يزيد وقتلة الحسين[6]. يزيد هو الذي يقول فيه عبد الله بن حنظلة احد اشراف المدينة: «والله

(١) يلاحظ مقتل الحسين للخوارزمي جزء اول ص٢٣٣. وهذا البيت هو احد الابيات التي استشهد بها الحسين، عندما لقي الحر في طريقه الى كربلاء، وخوّفه الحر مغبة الوقوف في وجه ابن زياد ويزيد، لان النهاية ستكون الموت المحتم. فصاح به الحسين ابالموت تخوفني:.. ولكن اقول لك ما قال اخو الأوس وهو يريد نصرة رسول الله «ص» فخوفه ابن عمه وقال انك مقتول فانشأ ردا عليه ابياتا هذا اولها.

(٢) ابو الشهداء للعقاد ص ١٠٤.

(٣) نفسه نفس الصفحة.

(٤) يلاحظ حول ذلك نفسه ص ١٠٠-١٠٤.

(٥) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٣١٦-٣٢٠ باب ما جاء في ذم يزيد بن معاوية ونفسه ص٣٢٠-٣٢١ راى معاوية بن يزيد به.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي جزء اول ص ١٨٨.

(٦) ويلاحظ كتاب «فضائل الخمسة من الصحاح الستة تأليف السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادى. مط النجف ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٨٣هـ. ج٣ ص ٣١٦. حيث يروى عن كنز العمال للمتقي الهندى ط. دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد سنة ١٣١٢هـ. ج٦ص٢٩. حديثا مسندا عن الرسول في يزيد وقتلة الحسين والتأوه على ما يلاقي فراخ آل محمد.

(٦) حول يزيد ولمع من اخباره يلاحظ مروج الذهب للمسعودى ج٢ ص٦٧.

ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء.. ان رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة. والله لو لم يكن معي من الناس احد لأبليت فيه بلاء حسنا[١] ».

يزيد هذا الذي على حد تعبير طه حسين « ان امور المسلمين قد صارت ايام معاوية وابنه الى شر ما يمكن ان تصير اليه[٢] ».

هذه الصيرورة الشريرة الممعنة في الشر الى ابعد حدود. حتى اصبح الناس لا يؤمنون شر يزيد ولا يرجون خيره[٣] يمكن تلخيص بعض منها بما يلي:

١- جعل الخلافة ملكا عضوضا.

٢- يجلس على كرسي خلافة المسلمين. ويجاهر بالفسق والتهتك والسير بسيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه[٤]! ثم لا يرعوي ان يقول من الشعر ما يدل على كفره وزندقته، وما يفصح عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد. فلا يؤمن بتحريم الخمرة رغم ما نهى عنها الاسلام، ولا يؤمن بالحساب والبعث، بل تلك احاديث طسم، ثم لا يتورع عن القول متهكما بأنه سيزور محمدا وقد روت عظامه مشمولة صفراء، من الخمور المعتقة التي طالما روت مشاشه[٥].

٣- فسقة بشهادة الوفد المؤلف من اشراف المدينة الذين قدموا دمشق فعادوا ليقولوا لاهل المدينة رغم صلة يزيد لهم واغداقه عليهم الاموال « انا قدمنا من عند رجل ليس له دين. يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان،

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٨٣-١٢٤ والامام الحسين للعلايلي في اماكن متفرقة من الكتاب.

(١) ابو الشهداء للعقاد ص ٦٢-٦٣.

(٢) الفتنة الكبرى ج٢ لطه حسين ص ٢٤٥.

(٣) يلاحظ تحف العقول عن آل الرسول ص ١٨. اذ يقول الرسول في احدى وصاياه للامام علي وهو يحدثه عن اشرار الناس يقول الرسول« الا انبئك بشر من ذلك، من لا يؤمن شره لا يرجى خيره.»

(٤) مروج الذهب ج٢ ص٦٥. وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٣٠٠.

(٥) لاحظ اعيان الشيعة جزء ٤ ص٣٥٢. حيث يذكر ابيات يزيد هذه:

الا هات فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العسي كرما شآميا

اذا ما نظرنا في امور قديمة ... وجدنا حلالا شربها متواليا

وان مت يا ام الاحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فان الذي حدّثت عن يوم بعثنا ... احاديث طسم تجعل القلب ساهيا

ولا بدّ لي من ان ازور محمدا ... بمشمولة صفراء تروي عظاميا

ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب[1] » وهذا راى اجمعت عليه كل الروايات[2] التي تتحدث عن يزيد. واكدها هو بتصرفاته المتهتكة واشعاره الماجنة:

شغلتـــني نغمـــة العيـــدان عن صوت الأذان[3]
وتعوضــــت عن الحور عجوزا في الدنـــــان

٤- قتل الحسين وسبي ذراري الرسول الاعظم كما يسبى المشركون من غير ان يرعى له حرمة او عهد.

٥- إباحة مدينة الرسول ثلاثة ايام لجند الشام على يد مسلم بن عقبة[4] ومبايعة اهلها على انهم خول ليزيد وعبيد، فمن أبى منهم هذه البيعة المنكرة ضربت عنقه.

٦- حصار مكة ورميها بالمجانيق وحرق الكعبة على يد الحصين بن نمير بعد[5] هلاك مسلم به عقبة.

هذا هو يزيد جرثومة الفساد، وجاثوم الطغيان، ولعمر الحق انه لأشقى الولاة، لان اشقى « الولاة كما يقول عمر بن الخطاب من شقيت به رعيته »[1].

فيزيد هذا لقد أصبح امير المؤمنين وخليفة المسلمين:

..فيزيد أيها الناس امير المؤمنين
..كلمات تنشر الظلمة حتى في مدار الشمس..
والنقمة حتى في النفوس الطيبة..
كلمات مذنبة..
..ايزيد .. ذا امير المؤمنين..

---

(١) أبو الشهداء للعقاد ص ١٦٤ ويلاحظ الفتنة الكبرى ج٢ ص٢٤٦ حيث يذكر ان يزيد وصل اعضاء الوفد فأعطى كل واحد خمسين الفا ورغم ذلك كانت شهادتهم كما رأيت. وحول فسق يزيد وتهتكه يراجع مروج الذهب ٢ص١٨ وما بعدها.

(٢) نفسه ص ٦٨ وابو الشهداء ص ٦٣.

(٣) تذكرة الخواص ص ٣٠١.

(٤) مروج الذهب ج٢ ص ٦٩ ويلاحظ ابو الشهداء ص ٧٣ والفتنة الكبرى جزء ٢ ص ٢٤٨.

(٥) مروج الذهب ج٢ ص ٧٠ ويلاحظ : الفتنة الكبرى جزء ٢ ص ٢٤٧ وابو الشهداء ص١٦٨.

(١) نفسه نفس الصفحة.

او لا يوجع اذنيك الرنين؟؟؟؟[٢]

هذا غيض من فيض من صفات يزيد. فكيف يصبح امير المؤمنين اولا يوجع الاذن هذا الرنين كما يقول الشرقاوي. وكيف يسكت الحسين عن استخلافه وتوليه امور المسلمين ويبايع مثله في سمو النفس وعزة الدين مثل يزيد في حطة النفس والمروق من الدين؟؟؟ الا فليعلن الثورة وليسجر اتونها حتى ولو كان هو نفسه وقود الأتون.

.. وهكذا اعلن الامام الحسين ثورته في وجه الظلم والطغيان والاستبداد، وراح يجاهد بعد ان وقف ناقدا يوجه التهم ويجاهر بدعوة الحق.. لقد اعلن الثورة بعد ان سئم النقد الذى رآه لم يعمل شيئا في نفوس تلك الطغمة المستبدة.. لقد عمل هو ما نادى به فيما بعد كارل ماركس وفريدريك انجلز: «ليس النقد هو القوة المحركة للتاريخ للدين، للفلسفة، ولكل نظرية اخرى، بل الثورة[٣]».

وهكذا مضى سبط النبي على هدى جده الرسول الاعظم، فحارب الوثنية في المجتمع كما حارب جده الوثنية في الفكر. حتى لاقى مصرعه، وهو يناضل ضد التسلطية والاستبدادية، ولذلك استمرت مبادئه السامية حمية في قلب كل منتصر لقضية عادلة، وناقوس حرية يزلزل عروش المستبدين الطغاة.

وهكذا مات الحسين ولكن ليخلد على مسار الزمن الطويل.. وعاش يزيد ولكن ليرذل على مدى الدهر، وليباد ذكره الا في مجال مساءة، لانه اصبح مرادف كل وصمة عار، ومقابل كل سبة سوداء في جبين الزمن. ولا جرم ان يحل به ما حل. اذ كما جاء في الكتاب المقدس: «اذا زها الاشرار كالعشب وازهر كل فاعلي الاثام، فلكي يبادوا الى الدهر[١]»

---

(١) الاعجاز والايجاز للثعالبي ص٢٦.
(٢) مسرحية الحسين ثائرا لعبد الرحمن الشرقاوى، القاهرة، دار الكاتب العربي بدون تاريخ ص١١.
(٣) الايديولوجية الالمانية تأليف كارل ماركس فريدريك انجلز ترجمة جورج طرابيشي، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦٦م ص ٣٦.
(١) الكتاب المقدس، المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٠٥م. ص ٥٤٤. باب المزامير المزمور الثاني والتسعون الاية رقم ٠٧

وهكذا فان الاثر الذي يخلفه فينا مصرع الامام الحسين عميقا ما أبعد مداه. [illegible] حركته من الحركات القليلة التي وقف عندها التاريخ مستأنيا، وغيرّ سمته [illegible] على معطياتها السامية. ولقد استهوت ثلة كبيرة من احرار العالم اتخذوها مثالا ومحتذى[2].

الحسين واصحابه كانوا قلة مؤمنة. «والمؤمن قليل ما هم». ولكن في حساب العطاء كبارا كبارا كانوا.. وكل واحد منهم هو ينبوع هداية ثرّ، ما انفك يمد الانسانية بأسمى مثل التضحية والاستشهاد في سبيل العقيدة الصحيحة، ومعلم ايمان يستعلي عن ان يكون لطائفة من الناس دون طائفة او لفئة منهم دون فئة[3]. ولا ادل من ذلك من ان نرى من بين اصحاب الامام الحسين والمستشهدين معه اشخاصا من مختلف الديانات ومفترق الاجناس. فمن بين انصاره المخلصين من كان نصرانيا على دين السيد المسيح عليه السلام امثال وهب بن حباب[4] الذي اندمج في ثورة الحسين واستبسل في الدفاع عن القيم الانسانية المثلى. ومن بينهم ايضا جون[5] وهو احد الموالي رفض ان يترك الحسين وقد اذن له بالانصراف واحله من بيعته فأبى الا ان يبقى مع الحسين قائلا له «انا في الرخاء ألعق قصاعكم وفي الشدة اتخلى عنكم لا كان ذلك ابدا، حتى يختلط هذا الدم بدمكم»..

ولا غرابة في ذلك لان الاديان السماوية كلها جاءت لتعمل في سبيل اسعاد الانسان، وانقاذه من ربقة العبوديات على انواعها. ليصبح الانسان اخ الانسان احب ام كره. و ليكون الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه ارأفهم بعياله «وليصبح خارجا من حظيرة الايمان كل ذي عصبية جاهلية» فليس منا من مات على عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من دعا الى عصبية» على حد تعبير النبي محمد ﷺ وانما منا «من لا يأكل ويشبع ما دام فيها الدنيا» من لا طمع له في قرص. وفيها

---

(٢) هؤلاء الاشخاص على سبيل المثال لا الحصر مصعب بن الزبير الذي رفض ان يستسلم او يستخفى من الامويين بعدما ان انتصروا عليه قائلا لزوجته سكينة بنت الحسين «لم يبق ابوك لابن حرة عذرا» يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ١٠٠. ومن الذين تأثروا بالحسين غاندي الذي يقول «تعلمت من الحسين ان اكون مظلوما حتى انتصر». يلاحظ ادب الطف الجزء الاول مقدمة المؤلف ص ١٩.

(٣) يلاحظ مقدمة الشيخ محمد جواد مغنية لكتاب ادب الطف ص ١٠. ونفسه مقدمة المؤلف ص ١٨-١٩.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص١٢.

(٥) جون ارى انها تصحيف لكلمة Jhon الانكليزية او جان Jean الفرنسية بمعنى حنا او يحي يؤيد ذلك ان هذا الشخص هو من الروم كان مولى لابي ذر الغفاري يلاحظ حكاية مصرعه في مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص١٩.

بطون غرثى واكباد حرى » والذي يقول ويعمل «أأرضى ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم مكاره الدهر » على حد تعبير الامام علي عليه السلام. فرعياً لذكراك ابا عبدالله، وتخليداً لذكرى مصرعك، هذا الاثر الخالد على الدهر.. فنحن كما يقول العلايلي «احوج ما نكون الى زعيم كالحسين ومجاهد كالحسين، وقدوة كالحسين، نسايره ونوازن بما نجد عنده من نزوات نفوسنا وطالعات شهواتنا »[1].

هذا بعض من معالم سيرة الامام الحسين عليه السلام الذي هو راموز التضحية في سبيل العقيدة، وأنموذج الايديولوجي الملتزم، يقف في وجه الطغيان متحديا، حتى لتهون عليه الحياة ويهون المال والبنون، في سبيل احقاق الحق وارساء العدالة، والمنافحة عن رسالة الانسان في كل زمان ومكان.

وبعد ان عرفنا من سيرة هذا الامام ما عرفناه، وبعد ان قبسنا من انوار تعاليمه ومواقفه ما قبسنا، لا غرابة بعد أن نرى حيدر الحلي يلتزم ايديولوجيا بهذا الامام وان يقدمه لنا من خلال شعره، رسالة محبة وعدالة، وناموس تحرير وتضحية لكل من يبحث عن رائد في هذا المجال.

---

(١) الامام الحسين للعلايلي ص١٥.

الخاتمة :

.. البناء ، الاسلوب ، اللفظ المفرد ، الوزن ، القافية ، الصورة ، التعبير ، تداعي الافكار ، طريقة تركيب الجملة ، الحضور المستمر ، كل ذلك مما يثير ويدهش عند السيد حيدر الحلي .

فلا حوشي كلام ، ولا تقعر اسلوب ، وانما انس واستئناس ، وحسن جرس ، وانسجام ايقاع ، وكلمات مستساغة في الذوق ، مأنوسة في الفهم .

تعابيره توقظ في النفس كوامن العواطف تحمل المتلقّي على اجنحة الموسيقى . فيغدو اكثر من متلقّ لهذا الشعر ، يصبح مشاركا ، يعايش التجربة ، يمرّ بالمعاناة ، وهذا اسمى ما يتطلع اليه شاعر ويتوق اليه اديب .

من هنا كان هذا الشاعر الايديولوجي جديرا بالتوفر على مدارسة شعره . لقد استطاع ان يمدنا بزخم شعرى رائع ، في وقت كان الادب العربي يتردّى في مهاوى الانحلال والقشريات .

نبوغ الشاعر في ذلك العصر ، في الفترة المظلمة [١] ، يجعله جديرا بالتقدير . خصوصا ان مؤرخي الادب العربي وكتابه حتى العراقيين منهم ، لم ينصفوا هذا الشاعر ولا قدروه حق قدره . ولا حاولوا ان يضعوا عطاءه بين ايدي الجيل كما ينبغي . في حين يلحّون على تقديم شعراء ونشر نتاجهم مع المدارسة ، برغم ان هؤلاء الشعراء لا يحتلون حتى الخانة الثالثة في حلبة الشعر بعد السيد حيدر .

يكفي ان نعلم من مدرسّيه هذا الشاعر ان قصائده ـ الحسينيات بخاصة كانت تعرف بالحوليات [٢] . اذ كان ينقح شعره عدة مرات خلال العام [٣] . فيختار اللفظ

(١) الشعر العراقي الحديث ، جلال الخياط ص ١٢ .

(٢) ادب الطف جواد شبّر ج١ ص ٣٦ . ويلاحظ الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث ص ١٩ .

(٣) تاريخ الحلة ـ يوسف كركوش ج٢ ص ١٤٣ .

المونق بذائقة مترفة، يعالج التركيب، حتى اذا احتلت القصيدة من نفسه مرتبة الرضا اخرجها على الناس، منقحة مشذّبة. حتى انك لتراه في شعره، فصيح المفردات، قوي التركيب، بديع الصنعة، يختار المفردة الموحية، يصطاد اللفظ الرقيق، يقرنه بمعنى أرق منه، دون ان تجد نبوة او حشوة[1].

هكذا كان شعره بخاصة في مراثي سيد الشهداء.. ونحن لو اقتطفنا اية قصيدة من ديوانه بخاصة من الحسينيات، لخامرنا الاعجاب الشديد بشعر هذا الشاعر الذي استطاع ان يستشرف هذه المطلات الشعرية السامية في عصر الانحطاط.

لنأخذ مثلا قصيدته الميمية التي مطلعها:

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم   فلا مشت بي في طرق العلى قدم[2]
لا بدّ ان أتداوى بالقنا فلقد   صبرت حتى فؤادي كله ألم

حين تقرأ هذه القصيدة تحس نفسك ـ لما جمعت من حسن سبك، وجودة صياغة، وتقنية تعبير ـ تحس انك امام جحفل تتدافع كتائبه شاكية السلاح. فأية مقدرة عجيبة أوتيها هذا الشاعر الذي يستطيع ان يجعل من الفاظه لروعة التصوير وبراعة التعبير ـ جنودا منافحين، ما دام يتحدث عن المعركة والصراع ونذر النفس لذلك المضمار.

ينسج ايضا على نفس المنوال دون ان تجافيه هذه العبقرية الموهوبة، في قصيدته النونية التي يرثي بها الامام الحسين عليه السلام منتدباً المهدي المنتظر:

إن ضاع وترك يا ابن حامي الدين   لا قال سيفك للمنايا كوني[3]
او لم تناهض آل حرب هاشم   لا بشّرت علويّة بجنين

ثم لنستمع اليه كيف يحسن السبك، ويقنص المفردة الموحية المعبرة ويضعها في المكان الملائم، ثم يردف ذلك بالقافية التي تجئ تتويجا لهذه الصياغة البدع.

أمعلّل البيض الرقاق بنهضة   في يوم حرب بالردى مشحون
كم ذا تهزك للكريهة حنّة   من كل مشجية الصهيل، صفون

---

(١) شعراء الحلة ج٢ ص٣٣٣.
(٢) الديوان ج١ ص ١٣٣.
(٣) نفسه ص ١١١.

طال انتظار السمر طعنتك التي تلد المنون بنفس كل طعين
عجبا لسيفك كيف يألف غمده وشباه كافل وتره المضمون[1]

أرأيت الى هذا الانسياب الشعري الرائع، والى هذه الاناقة في الاسلوب والسلاسة في التعبير، والروعة في الاداء.. ثم الى هذه الطريقة الحقوقية في استنهاض صاحب الامر ليهبّ منافحا عن دين الاله.. اليس هذا جديرا بالاعجاب والتقدير؟؟

ما قولك بقصائد كلها من هذا القبيل؟ اليس خسارة للادب العربي بل الانساني اهمال مثل هذا الشعر وتناسي نتاج هذا العبقري، فيترك ذكره غفلا، حتى عند التحدث عن الشعراء الذين رثوا اهل بيت النبي. فهذا الدكتور شوقي ضيف النقاد الادبي المعروف حين يتحدث عن الشعراء الذين رثوا النبي وآله لا يعرض لذكر هذا الشاعر من قريب او بعيد، برغم اجماع صيارفة الشعر انه اشعر من رثى الامام الحسين[2] وآل البيت في حين نرى الدكتور «ضيف» نفسه لا ينسى ان يذكر قصيدة «للجواهري» في الامام الحسين، مع ان صاحب القصيدة لم يثبتها في ديوانه المطبوع اكثر من مرة.

اليس هذا الاغفال لذكر الشاعر في مجال اختصاصه خير محرّض على دراسة اشعاره، تلك الاشعار التي تنم عن براعة فذة، اذ انها «لم تملّ من قبل المستمعين على كثرة تكرارها، فلا يزداد السمع الا اشتياقا اليها[3]، كأنها بكر لم تسمع من قبل.

وهذا يدل على «توفر فن الاعجاز فيها»[4]، الى جانب كونه ينطلق من ايديولوجية تنسحب على شعر هذا الشاعر الدائم الحضور:

وقفة مع الدكتور جلال الخياط ورأيه في شعر السيد حيدر الحلي:

كل النقاد الذين تناولوا السيد حيدر الحلي من قريب او بعيد يشهدون له بالتفوق في

---

(١) نفسه ص١١١.
(٢) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول ص ٦٨٨.
(٣و٤) شعراء الحلة الجزء الاول ص ٦٨٨.
الشاعر العراقي المعاصر محمد مهدى الجواهرى.

المراثي خصوصا الحسينية منها. حتى الدكتور جلال الخياط[1] الذي لم يتوقف الا عند الآراء التي نظرت الى عطاء السيد حيدر من زاوية مظلمة ولم تفه حقه لم يتنكر لهذه الشهادة بالتفوق.

نحن لا نطالب الدكتور خياط لماذا اختار هاتيك الاراء فهو حر ان يتبنى آراء بعينها، ولكنّا مسائلوه من حيث كونه دارسا ومحققا، عن موجبات اختياره لتلكم الاراء واعتماده لها.

اليس ينبغي للناقد الحصيف ان يكون قاضيا نزيهاً يتمتع بثقافة تنأى به عن التعصب، وتتصف بوضوح الرؤيا؟؟

ثم أليس اول عمل يقوم به القاضي ان يستمع الى مقالة كلا الخصمين، ويصيخ لشهود كل منها، فلا يصدر حكمه بناء على شهادة طرف واحد؟

ثم الا يجدر به ان يقدّم بين يدي حكمه حيثيات ذلكم الحكم وموجبات استخلاصه له، انا نسأل الدكتور الخياط لماذا اختار اراء الذين حكموا على الشاعر ولم يختر العكس، اننا نطالبه بذلك من خلال مطالبته هو نفسه بمبدأ اقترحه ودعى الى اعتماده على صعيد الدراسات الادبية، وحكم بأنه النهج الاصح الذي ينبغي الا يتجاوز. فقد كتب في مقدمة كتابه عن الشعر العراقي الحديث راسما المخطّط لاية دراسة ادبية عبر قوله« لا شك ان اهم مصدر واولاه بالعناية والتقدير هو النص الادبي، ففي اية دراسة شعرية تكون الدواوين المنبع الاول الذي عنه نصدر ومنه نستقي[2] ».

نحن نسأل« الخياط » هل اتبع هذا المنهج الذي وضع هو اصوله نحن لم نر خلال دراسته لشعر الحلي، الا انه استعان بآراء الاخرين، اما التوفر على مدارسة النص الشعرى فيبدو انه لم يقم بها، اذ لو كان منه ذلك لما اكتفى خلال تلك الدراسة بان يدلي بآراء فلان وفلان دون ان يتبنى هو رأياً بعينه ودون ان يبين لنا اسباب هذا التبني.

---

(١) الشعر العراقي الحديث ص ١٨ و١٩.

(٢) نفسه ص ٧.

ثم نراه بعد ذلك يصدر حكما اقرب الى الارتجال والسطحية، نربأ به ان يكون صادرا عن نقد دكتور ينبغي ان يعرف قيمة الاحكام وكيف تطلق، فيقول:

« بالرغم من عدم اجادة الشاعر (حيدر الحلي) في الموضوعات الاخرى (اى عدا الرثاء).

نراه يسوق هذا الرأى دون ان يقدّم أي دليل ، ودون ان يدعم رايه بشيء من شعر الشاعر اذا كان كما يزعم ، وانما يتراءى لنا انه كان يقوم بعملية النقد وكأنه يكتب موضوعا انشائيا لا دراسة ادبية

انه لمن العجب العجاب ان يحكم للسيد حيدر في مجال الشعر الرثائي انه صادق الاحساس بالحزن مع قيمة هذا الصدق على صعيد الشعر، ثم نراه بعد ذلك ينقل آراء فيها الكثير من التحامل والتعصب[1] على شعر هذا الشاعر - خصوصا في رثاءاهل البيت التي احتل فيها الشاعر شأوا بعيدا .

انا لا اتصور أنه قد قرأ اشعار هذا الشاعر في رثاء آل البيت، ثم يستشهد بآراء تنال من شعره في هذا المجال الذي كان مبدعا فيه، دون ان يفنّد هذه الاراء او يردّ عليها.

« فالخياط » لو اطلّع على شعرهذاالشاعر - خصوصاحسينياته لرأى انها من أروع الشعر العربي الكلاسيكي المجدّد، الذي يحتل طليعة ريادة النهضة الادبية، وأجدرها بالتنويه ★، نظرا للبعد الزمني والتباين الثقافي والحضاري بين عصر السيد حيدر وعصر هؤلاء الذين عدّوا رواد الشعر العربي امثال البارودى وشوقي، اذ بينهما وبين السيد حيدر ما لا يقل عن قرن من الزمن.

وهكذا لو وقف (جلال الخياط) مع قصائد الشاعر الحسينية لوجد انها تعبر بصدق واخلاص عن ايديولوجية هذا الشاعر، مما يجعله خليقاً بالاكبار حتى وان لم نكن معه في وفاق حول الايديولوجيا التي يتبناها، الا ان يكون هذا هو ذنب الشاعر.

ومن الجدير بالاشارة هنا، ان هذا الشاعر مع التزامه الايديولوجي استطاع بموهبته وعبقريته ان يتجاوز الآنية، والتقوقع، الى رحاب الانطلاق الشعري المبدع،

---

(١) يلاحظ الشعر العراقي الحديث ص ٢٠.

واستطاع ايضا وفي حلبة الرثاء ان يأتي بالاسلوب المبدع والفن المبتكر[١]. فلم يعد الرثاء لا يختلف عن المديح الا باستعمال الصيغة الماضوية في الاول، وصيغة الحاضر والمستقبل في الثاني. هذا الى جانب الحضور الدائم الذي نراه عند الشاعر.

والواقع ان لتفوق السيد حيدر ونبوغه عوامل واسبابا عرضنا لها عبر مدارستنا لشعره الرثائي، ليس اقلها الصدق والباعث الوجداني، مع ان هذا من اهم مقومات جودة الرثاء كما قرر الحسن بن هانئ، حين طلب اليه استاذه خلف الاحمر ان يرثيه، حتى إذا أُعجب الاستاذ برثاة تلميذه، بادهه النؤاسي بالقول« مت يا ابا محرز، ولك عندي خير منها »، اذ قبل الموت« اين باعث الحزن[٢] ». هذه الشحنة الغنية الهائلة التي آن تتداخل مع ثقافة الشاعر وموهبته الايحائية، وغنى تجربته، تكوّن طاقة خلاقة تبدع الشعر الحياة لا الشعر التقليد.

لقد كان السيد الحلي يحس ان قضية الامام الحسين هي قضيته،بل قضية الانسانية على مسار الزمن الطويل، اذ يرى ان الصراع الهاشمي الاموي مستمر على مدى الايام. لانه صراع بين الحق والباطل، بين العدالة والجور، بين الحرية والاستبداد بين النور والظلمة، بين الانسانية تود ان تستوعب نفسها وتنطلق الى رحاب الوجود خيّرة معطاء، وبين السائمية، تريد ان تأتي على القيم، تريد ان تستأصل النزعات الخيّرة في الانسان، انه ناقوس الاملَ بالفرج ينبّه الشعب من سبات الخنوع والإنهزامية .لينتفض ضد كابوس الاحتلال التركي الجاثم فوق كاهل الشعب، يجرّعه العذاب والحرمان الوانا.

لذا كانت صرخته تندّ عن قلب موتور، مورس الظلم ضد ايديولوجيته على مدار الزمن، وليس آخر تلك الممارسات، ما كان من مصرع الامام الحسين، بل كان راموزها، وهو ينتظر وفاق تعليمات ايديولوجيته التي صاغها الرسول الاعظم، ان لابد وان يظهر الامام الثاني عشر المهدي المنتظر، باني دولة المستضعفين في الارض، ليسلط سيفه فوق رقاب الظالمين المستبدين، ويبيد دول الظلم والفساد، وينشر راية العدالة والحرية والأخوّة والمساواة.

---

(١) شعراء الحلة ج٢ ص ٣٣٧.

(٢) ابو نواس بين التخطي والالتزام، علي شلق ص١٧.

* يلاحظ مقدمة الديوان ص ١٣ للوقوف على مدى افتتان **شوقي** بشعر السيد حيدر.

لهذا راينا هذا الشاعر ينتظر ذلك اليوم انتظار الموقن لانه يتعامل مع ايديولوجيته بصدق واخلاص، ويصدر فيها عن ايمان ثابت ويقين مطمئن.

وبعد، فهذا هو السيد حيدر الحلي وهذه هي محاولتنا في التعرف على ايديولوجيته في رثائه الامام الحسين.

لقد وقفنا مع عصر الشاعر ونشأته وتربيته ومعايشته لاحداث عصره، ليكون لنا ذلك بمثابة صوى نستهدي بها في الوقوف على ايديولوجيا الشاعر.

ولقد بيّنا تأثره وتأثيره فيها، مع وقفة مع الحسين بما يسمح به المقام، ولا يذهب بنا شططا عن مخطط الموضوع، استكمالا للمنهجية، ومحاولة للتعرف على ابعاد ايديولوجيا الشاعر ومراميها

عبر هذه الدراسة، تراءى لنا كيف استطاع هذا الشاعر ان يعبّر عن ايديولوجيته، وكيف كان ملتزما بها عبر رثائه للامام الحسين عليه السلام.

ان هذا الرثاء- الى جانب اظهار الحزن والالم، وتبيان مقام الحسين شخصاً ورمزاً- كان فيه اكثر من وقفة مع التاريخ الاسلامي ومع مسلسل الاحداث التي تناوبت هذاالتاريخ، كحديث سقيفة بني ساعدة، وتولي الخليفتين الاولين لمقاليد الامور والظروف التي رافقت ذلك، مع الوقوف عند قضية «فدك»، وما كان من ابتزازها من فاطمة ابنة الرسول «ص»، وصولا الى دور الامويين في محاولتهم تغيير مسار العقيدة الاسلامية، خلال عملهم على تحريفها وتشويهها، مستغلين معتقد الجبرية «بأن كل شيئ من عند الله» وان الانسان مسيّر في هذه الحياة، ليهوّلوا على الجماهير المسكينة بأن ما يصب عليهم من ظلم، وما يمارس ضدهم من استبداد، انما هو بإرادة الله، ممعنين في التحكم برقاب الناس واستغلال خيراتهم، وسد منافذ الحرية أمامهم، مما كان سببا في تشويه الكثير من حقيقة الرسالة الاسلامية، اذ أنشئ ينظر - بفعل هذه التحريفية الى هذه الرسالة السهلة السمحاء، على انها رسالة القتل والبطش والغدر وسفك الدماء واقتناء الحريم. كما نلاحظ عند كثير من المستشرقين الذين يرمون الاسلام بمثل هذه الادواء.★

هذه السياسة المستبدة الراعنة كانت في طليعة الاسباب التي اسهمت بتأجيج نار الشعوبية ضد العرب، لما كان من محاولة الامويين في تكريس الامتيازات وتقديم الارستقراطية على حساب عدالة الاسلام ومساواته، إذ الدين الاسلامي دين أممي«

لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى »، وحتى غدت هذه الممارسات المنحرفة الاستبدادية المنافية لتعاليم الاسلام مثارا لتلك الفتن الدامية على طول التاريخ الاسلامي.

وفي هذا يلتقي الشاعر كما بينا سالفا مع العلامة العلايلي الذي يفسر بليات وبلبلات المحيط الاسلامي بالاصبع الاموية، والذي يرجح اسباب كل ذلك الى الحزب الأموي، الذي كان يستفرص الفرص ويهتبل الغفلة لينقض على جرثومة الدين الاسلامي تشويهاً وتمزيقاً[1].

.. هكذا استطاع الشاعر الحلي ان يضيف الى قيثارة الشعر العربي أوتارا جديدة، واستطاع ان يرفد الادب العربي بما نشّط دورته الدموية، وساعده ان يقوم من بين انقاض عصر الانحطاط، بما اعطاه من حقن الريادة، وبما امده به من المصل الشافي، الذي راح يعمل على مساعدة خلاياه على ان تتجدد وتحارب عوامل الفناء.

لقد استطاع هذا الشاعر ان يرتفع بالرثاء الى اعلى مصافّ الاغراض الشعرية، بعد ان كان الرثاء: « اصغر الشعر لانه لايعمل رغبة ولا رهبة[1] »، كما ينقل ابن رشيق في عمدته.

فغدا الرثاء على يد شاعرنا من اغنى الاغراض الشعرية في الادب العربي، واجدرها بالدراسة، ومن اصدقها التزاما واكثرها تعبيرا عن الايديولوجيا.

هذا الالتزام الايديولوجي هو الذي جعله يعرض عن كثير من مغريات الحياة، وان لا ينهمر على الغزل، حتى اخذ عليه عدم صدقه في هذا المجال.

وهذا بديهي لانه كان له من مطامح نفسه، ومن سمو مراميه، والتزامه الايديولوجي، ما يرغب به عن ان ينصرف بكليته الى هذا المجال، وهو بهذا جدير بالاحترام والتقدير.

لقد كان ما جرى للامام الحسين بما يرمز له ذلك الحادث عبر التاريخ، ولاستمرارية الرمز، ما جعل الشاعر بشغلة عن غيره.

فالتقى مع المتنبي بانصرافه عن الخرّد العرُب، والخود الكواعب، وخالفه في سمو الغاية، ورسالية الايديولوجيا التي أملت عليه ذلك، فحين جرى الأول وراء مطامح

---

(١) الاما الحسين للعلايلي ص ٥٧.

(١) العمدة لابن رشيق ج١ ص ١٢٣

شخصية من ملك وصولجان، راينا السيد حيدر يعانق ايديولوجيا انسانية، تنشد الخير والمحبة والسلام لبني الارض جميعا، هذه الايديولوجيا التي سيكون خلاص الدنيا على يد احد اركانها، فينقذ البشرية من تدهديها الى هوة الشر ويخلصها من اشراك الظلم، متساميا بها الى ذروة الخير ورحاب الحق، وفناء العدالة.

وقد خالف الحلي المعري ايضا مع تلاقيهما في عدم الانهار على الغزل، خالفه وله في هذا كبير فخر ـ عبر تجاوزه لتشاؤمية المعري، اليائسة من الحياة والاحياء، متطلعا الى تفاؤلية الحرية التي لا جرم ستمد جناحيها، فتعطي للحياة قيمتها، ولابنائها معنى الوجود..

.. وهكذا انصرف شاعرنا عن كل بهارج الدنيا الزائلة، وجاهد عبر شعره الرائد بصوفية وتوحد عبر الانصهار مع الوجد الحسيني، في سبيل ارساء معالم ايديولوجيا بنّاءة، تاركا مبادىء هذه الايديولوجيا تتسرب الى اعماق متلقّي شعره عبر معاناة الحزن وتحمل الالم، لتكون ابعد اثرا في النفوس، واكثر تغلغلا في الأخلاد..

ومهما يكن، فليس ثمة ما يشين الشاعر إن لم يقف نفسه في عصر الظلم والاستعباد ـ على مباذل الغزل.

وهذا يعدّ مفخرة ما أجدرها بأن تصبح رسالة ومحتذى، فيتجاوز الشاعر مطالبه الجسدية، ليناضل في سبيل عقيدة بنّاءة.

ان هذا الشاعر لجدير بالتخليد وحري بالتنويه، حين تجاوز دوافعه الانانية، ليعانق رسالة الجماهير، ويعبر عن تململها وتطلعها الى الغد الافضل، حاملاً لواء تمردها على الأمر الواقع بإصرار وتضحية.

لقد أبان لنا الشاعر، في اكثر من موضع وعن غير ما قصد، عن الاسباب التي كانت وراء تجافيه لمطالب الانس، وموحيات الغزل، من اجل همّ أرق في عيونه، وسهر في قلبه، ولمّا يفارقه حتى فارق الحياة.

انه هم انتظار المخلّص، فالناس عادوا لجاهليتهم الجهلاء، وعادوا يمارسون نفس الممارسات الفظيعة التي كانت ايام الحسين، مما نأى بالشاعر عن مطارح السلوان، وشطّ به عن مسارح الغزل، معبرا عن بقوله:

لم يرعني نوى الخليط ولكن ... من جوى الطف راعني ما يروع[1]

---

(١) الديوان ج١ ص٧٦.

ومما حدا به ان يصرخ في وجه عاذله ولاحيه:

تركـــت حشاك وسلوانهـــا فخلّي حشاي وأحزانهـــا[٢]
ودعـــني اصـــارع همي وبـــت صريـــع مدامـــك نشوانهـــا
قـــد استوطن الهم قلـــبي فعفـــت لـــك الغانيـــات وأوطانهـــا
فـــكم لي قبلـــك لوّامـــة تشاغلـــت مطّرحـــا شانهـــا

ماذا عن هذا الهم الذي اورثك الضنى يا سيد حيدر، ما هو حتى جعلك تعزب عن السلوان وتلبث حاضر الهم والاحزان، لقد أجابنا رحمه الله عن هذا التساؤل فاصطرخ مفعما بالحزن والألم:

كفـــاني ضنـــى ان أرى بالحسين شفـــت آل مروان اضغانهـــا[٣]
فأغضبـــت اللـــه في قتلـــه وأرضـــت بذلـــك شيطانهـــا

اذن ما اقضّ مضجعه، وسقاه نخب التهام والاسى لم يكن غير مصرع الامام الحسين عليه السلام، لا الحسين الشخص وحسب، بل الحسين الرمز، الحسين الذي يمثل الحق فلا يقعد عن محاربة الباطل والوقوف في وجه تياره متحديا، حتى يلاقي دون ذلك مصرعه صابرا محتسبا.

هذا الاحساس بديمومة صراع الحق والباطل، ديمومة الصراع بين الحسين ويزيد، هو ما جعل الشاعر دائم الانشغال بهذه القضية، وهذا ما صرح به في اكثر من مجال، كما في مخاطبته لصاحب الامر مستنهضا:

أجـــل يومنـــا ليس بالاجنـــبي عن يوم والـــــدك الطاهر[١]
فباطن ذاك الضـــلال القـــديم مضمره عـــــين ذا الظاهر

دائما نرى شاعرنا يوقظ في الذاكرة قضية الامام الحسين لانه رمز المنافحة عن معالم الشريعة الاسلامية، ورمز الحفاظ على مبادئ تلك الشريعة، حتى قضى شهيد الذياد عنها، حتى لا تشوه ولا يغتالها حملة دعوة:

لعبـــت هاشم بالملـــك فـــلا خـــبر جـــاء ولا وحي نزل[٢]

---

(٢) نفسه ص ١٠٨

(٣) الديوان ج١ ص ١٠٩

(١) الديوان ج١ ص٧٦

(٢) مطلع الابيات التي استشهد فيها يزيد بن معاوية حين دخلوا عليه برأس الحسين «ع». وهي كافية لتدل على عدم ايمان هذا الرجل بشيء من تعاليم الاسلام.

.. لهذا رأيناه حين مناجاته للامام المهدي يقرع - فيما يقرع من ابواب خلال ذلك - باب دعوته له لان ينهض للحفاظ على الشريعة المحمدية، التي من أجلها جرى على الحسين ما جرى:

أللـــه يـــا حامي الشريعـــة اتقرّ وهي كـــذا مروعـــة[٣]؟
بـــك تستغيـــث، وقلبهـــا لـــك عن جوى - يشكو صدوعـــه

وهكذا يعرض علينا الشاعر ما عرى الشريعة على ايدي حكام عصره العنصريين التسلطيين، مصورا ما هو عليه من انتظار وتصبر وتأهب، ثم يروح يشحن ابناء الشعب هؤلاء المستضعفين، ويعبّئهم ليوم اللقاء المنتظر، اليوم الذي لا يبقى على دارع الشرك ولا الحاسر، لان جرد الخيل المذاكي مصغية لهذه الدعوة سموعة، وألسنة السيوف تكاد تجيبها بالسرعة القصوى، لان صدورها ضاقت بسر الموت، فأذن لها يا صاحب الامر بأن تذيعه وتنشره في صفوف الطغام المستبدين.

هنا يجدر بنا ان نلفت النظر الى ماجاء في اعتراض ابراهيم الوائلي على الشعراء العلويين[٤] الذين رغم حماسهم الشديد للحرب لم نرهم حملوا في القرن التاسع عشر. سلاحا مع اقتناعه بأن استنهاضهم للمهدي -في شعرهم -دليل السخط واليأس من الحكم

الفاسد المستبد[١]، وان بواعثه خصوصا في القرن التاسع عشر انما هي كونه ثورة على الحكم [٢] وعدم رضا بالامر الواقع، وان السيد حيدر الحلي كان من اقدر الشعراء تعبيرا في هذا المجال[٣].

ليس ضروريا ان يحمل الشاعر السلاح عبر نضاله. لان تعليم اليد لماذا تقاتل أهم بكثير من تعليمها كيف تقاتل. ادباء الثورة الفرنسية خير دليل على ذلك. كما ان الثورة التحررية في ايران اكدّت على اهمية النضال عن طريق الكلمة وكونها السلاح الذي ينبغي ان يحمل قبل اي سلاح.

كذلك فان تصوير السيد حيدر لالم الانتظار الممض ومرارة الصبر في سبيل ان ينهض المهدي بأمره، ان في هذا تعبيراً عن ضيقهم بحالتهم السياسية والاجتماعية،

---

(٣) الديوان ج١ ص٨٨.

(٤) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر ص١٦٢.

(١و٢و٣) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر الصفحات :١٢٥، ١٦٢، ٢٠٢.

وهذا دليل على انهم حملوا سلاحا امضى من السيف ، لما في هذا السلاح الشعري من التعريض الدائم بالحكام ، وتصوير لمارساتهم المأساوية ودعوة للشعب كي ينتفض ضد الطغمة المسيطرة ، يكفي ان نسمعه مخاطبا صاحب الامر مصورا حالة الحكام وظلمهم واستبدادهم:

أصـــبراً وهـــذي تيوس الضـــلال   لقـــد أمِنَـــت شفرة الجـــازر[٤]

ونحن - بعد - قد نلتقي او نختلف في هذه النظرية الايديولوجية مع السيد حيدر الحلي المفكر العقائدي ، ولكننا حتماً سنعايش معه الحلي الشاعر الذي رصد عذابات جيله وعبّر عنها ، فلفحت لظى ايامه شغاف قلوبنا ومشاعر وجداننا بلوعة المعاناة العميقة ، لأعظم ما يمكن ان يقوم من تجاوب بين قارىء شعر والايديولوجيا التي يعبر عنها ذلك الشعر .

انه يبتهل - في قصائده - بأكثر الزوايا تأثيرا في جدران بنائنا الروحي ، وبأكثر الجزئيات غوراً في خلايا مشاعرنا وإحساسنا الداخلي ، حتى يقوم نوع من المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر الذي دفع تيار تململه من الأوضاع مسكوناً بالدعوة للثورة ، وشحن صلاة احتجاجه بالأمل في النجاة ، حتى رحنا نستشق - في عبير مناجاته واستنهاضه لصاحب الامر - مسكونية الاطمئنان بها للمنتهى لذلك رأيناه عندما رفد شعلة قضيته بهذا الزيت الوهّاج ، وعندما عكست الفكرة ، عنده عبر حضوره الدائم ، المعاناةَ الهائلة في التجارب ، غدت الكلمة وقوداً يشعل روح الانسان بلا توقف ، وتياراً يزخم المدّ الثوريّ بلا حدود .

.. وهكذا غدت القضية عنده بإيديولوجيتها صوفية تعانق الالم وتحترق بنار الأحوال التي ينبغي ان تعانيها حتى تصل الى مستوى الجدارة بحلول دار الوصال ، الذي هوالتقاء بالمهدي صاحب العصر والزمان ، ومخلص الحرية والانسان ، الذي كان يتشوف اليه بحميمة وتلهف ..

والحلي عبر شعره الايديولوجي هذا كان شاعر الذاكرة والحلم : لقد هزّ الذاكرة بعنف حتى اعادها الى العمل بنشاط وحيوية ، بما أيقظ في خلاياها من ايديولوجيا

---

(٤) الديوان ج١ ص ٧٦ .

الاسلام يوم ساد الارض بشريعة العدالة الاجتماعية والرحمة السماوية، فجعلها تتطلّع الى الحلم السني - عبر توجيه النفوس والافكار ناحية المهدوية - توقاً الى غد أُفضل يحكمه دولة العدالة وتشرق اضواء الحق والمساواة، في ربوعه.

نسألك اللهم يا غاية آمال العارفين ان تتقبل اعمالنا ، وان تثّبتنا على طاعتك وتهب لنا معرفتك، وترزقنا صدق التوكل عليك، وان تكون محاولتنا هذه كما أردناها- مجدية لي ولابناء امتي بل لأبناء الانسانية أجمع، وان تكون بما جلت مفتاحا إلى محراب شعر السيد حيدر الحلي، ليُكمل من بعدنا الشوط، ويتوفر على مدارسة المناحي الأُخَر، مما لم تعرض له هذه الدراسة ، تقيداً بمنهجية البحث.

فالله نسأل وهو من وراء القصد، وإليه المناب.

المصادر والمراجع :

ابراهيم، الدكتور زكريا — كانت او الفلسفة النقدية. مكتبة مصر بدون تاريخ.

ابو ريّان، الدكتور محمد علي — تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام. دار الجامعات المصرية القاهرة سنة ١٩٧٠م.

ابو سعدة، ابراهيم — المختار من كتاب العقد الفريد. وزارة الثقافة والارشاد القومي مصر بدون تاريخ.

الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي محمد بن — الكامل في التاريخ، المجلدات ١، ٢، ٣، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ-١٩٦٥.

ادونيس (علي احمد سعيد) — مقدمة للشعر العربي، دار العودة بيروت ط. ثانية سنة ١٩٧٥.

بدر شاكر السياب قصائد مختارة، المقدمة، دار الاداب بيروت ط. اولى.

الثابت والمتحول دار العودة بيروت ط. اولى سنة ١٩٧٧.

الارسوزى، الدكتور زكي — العبقرية العربية في لسانها المجلد الاول دمشق سنة ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢م.

اسماعيل، الدكتور عز الدين — التفسير النفسي للادب بيروت دار العودة ودار الثقافة بدون تاريخ.

الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية بيروت دار العودة ودار الثقافة طبعة ثانية سنة ١٩٧٢

روح العصر، دار الرائد العربي، بيروت ط. اولى سنة ١٩٧٢.

الاصفهاني ابو الفرج — مقاتل الطالبيين، الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية النجف سنة ١٣٨٥هـ. سنة ١٩٦٥م.

الآصفى، محمد مهدى — الامامة في التشريع الاسلامي، النجف سنة ١٩٦٣م. ١٣٨٢هـ.

إقبال، محمد — تجديد الفكر الديني في الاسلام ترجمة عباس محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.

الأمين، حسن — لمحات في تاريخ التشيع: مركز تحقيقات ومطالعات دانشكاه الهيات ومعارف اسلامي، ايران، مشهد، بدون تاريخ. دائرة المعارف الاسلامية الشيعيةج١، ٣٤٢، بيروت سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

الأمين السيد محسن — اعيان الشيعة ج ٤ط. ٢ بيروت مط. الانصاف ١٩٤٨م، ١٣٦٧هـ. اعيان الشيعة ج٢٩ط١٠. مط. الاتقان دمشق ١٩٤٨م، ١٣٦٨هـ. حرب الجمل وحرب صفين، دار الفكر للجميع بيروت ١٩٦٩م.

الأميني، عبد الحسين احمد — الغدير، مجلد ١و٢و٣، دار الكتاب العربي ط. ٣، ١٩٦٧م. ١٣٨٧ .هـ

إيكن، هنرى — عصر الايديولوجيا، ترجمة محي الدين صبحي منشورات وزارة الثقافة دمشق. ١٩٧١م.

البحراني، السيد هاشم — غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام طهران ١٢٧٢هـ.

بلاشير رجي — تاريخ الادب العربي مجلدان: ١و٢.

تيجم، فان — الادب المقارن، سلسلة دائرة المعارف الادبية العالمية، دار الفكر العربي مصر.

الثعالبي ، ابو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل	الاعجاز والايجاز ، تحقيق اسكندر آصاف .
جاريت ،أ .ف	فلسفة الجمال ترجمة عبد الحميد يونس ورفاقه دار الفكر العربي بمصر .
الجندى ، الدكتور علي	شعر الحرب في العصر الجاهلي : مكتبة الجامعة العربية بيروت ط . ٣ ، ١٩٦٦م .
جيمس ، وليم	بعض مشكلات الفلسفة ، ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي ، بيروت دار الطليعة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م . العقل والدين ، ترجمة الدكتور محمود حب الله دار احياء الكتب العربية ١٩٤٨م .
الجوزى ، عبد الرحمن الملقب بسبط ابن	تذكرة الخواص المط . العلمية النجف ١٣٦٩هـ .
حسين ، الدكتور طه	من حديث الشعر والنثر ، الط . الثالثة ، دار المعارف ، مصر . على هامش السيرة ، ج:١و٢و٣ دار المعارف مصر . في الادب الجاهلي ، دارالمعارف ، مصر . الفتنة الكبرى : ج١(عثمان) دار المعارف بمصر ط . ٣ـ ١٩٧٠م الفتنة الكبرى : ج٢ (علي) دار المعارف بمصر ط . ٣ـ ١٩٦١ .
حسين ، الدكتور محمد محمد	الاتجاهات الوطنية في الشعر المعاصرج : ١و٢ الطبعة الخامسة دار الارشاد بيروت .
الحلي ، الحسن بن يوسف المعروفة بالعلاّمة	النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر مط . الناصرى بومباي ١٣١٩هـ . كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد . بومباي تندال ستريت ١٣١٠هـ . كتاب الالفين الفارق بين الصدق والمين .ط . ٢ ، ١٣٨٨هـ . ١٩٦١م .

الحلي ، السيد حيدر — ديوان شعره الدر اليتيم والعقد النظيم تحقيق علي الحلاتي الحائري بومباي ١٣١٢هـ . ديوان شعره تحقيق علي الخاقاني في جزئين المط . الحيدرية النجف ١٣٩٤هـ ١٩٥٠م. العقد المفصل ط ١. الشانبدر بغداد ١٣٣١ج: ١و٢ .

خالد ، محمد خالد — انسانيات محمدط .٣ مكتبة وهبة الطاهرة ١٩٦٦ .
في رحاب علي ط . ٢ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٦ .
من هنا نبدأط . ١١ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٦ .

خان ، وحيد الدين — الاسلام يتحدى ، تعريب ظفر الاسلام خان ، دار البحوث العلمية ط.١ ، ١٧٩٠ .

الخطيب ، الدكتور حسام الدين — الادب الاوروبي تطوره ونشأة مذاهبه ، دمشق ١٩٧٢ .

خفاجي ، الدكتور محمد عبد المنعم — البحوث الادبية دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

خلدون عبد الرحمان بن — المقدمة ، المطبعة البهية ، مصر .

الخميني ، الامام روح الله — التناقض الاساسي بين الاسلام والامبراطورية ، خطاب مطبوع القي في جامعة النجف . الحكومة الاسلامية او ولاية الفقيه ج١ ، مط . الاداب النجف . الحكومة الاسلامية او ولاية الفقيه ج٢ ، مط . الاداب النجف .

الخوارزمي ، ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي — مقتل الحسين ، مط . الزهراء ، النجف ١٣٦٧ ، ١٩٤٨ .

خورى ، رئيف — الادب المسؤول ، دار الاداب بيروت ط . اولى ١٩٦٦ . التعريف في الادب العربي بيروت ١٩٥١م .ط . اولي

الخياط ،الدكتور جلال — الشعر العراقي المعاصر ،دار صادر ،بيروت ١٣٩٠ ، ١٩٧٠ ،

درو، اليزابيت — الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش مكتبة منيمنة، بيروت. بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ١٩٦١ .

الدهان، الدكتور سامي — سلسلة فنون الادب العربي المديح، دار المعارف بمصر .

الراوندي، فضل الله بن علي — نوادر الراوندي المط . الحيدرية، النجف ١٣٧٠ ـ١٩٥١ .

رستم، اسد — مصطلح التاريخ ط٣٠ المكتبة العصرية صيدا بيروت .

روستان، جان — الانسان ترجمة عدنان التكريتي وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٠ .

الريّس، رياض نجيب — الفترة الحرجة، بيروت المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر .

زيدان، جرجي — تاريخ آداب اللغة العربية المجلد الاول مكتبة الحياة، بيروت .

سارتر، جان بول — الادب الملتزم، ترجمة جورج طرابيشي، دار الاداب بيروت ط، ٢. ١٩٦٧ . الوجود والعدم ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار الاداب بيروت ط، ١٩٦٦٠١ .

سركيس — معجم المطبوعات العربية والمعربة مط. سركيس بمصر ١٣٢٦ـ ١٩٢٨ .

سيد الاهل ، عبد العزيز — زينب بنت علي ط، ٢ المكتبة العلمية القاهرة ١٩٦١ . زين العابدين ط. ٢ المكتبة العلمية القاهرة ١٩٦١ .

شبّر، جواد — ادب الطف او شعراء الحسين مؤسسة الاعلمي بيروت ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م .

شرف الدين، السيد عبد الحسين — المراجعات ، دار الصادق، بيروت بدون تاريخ فلسفة الميثاق والولاية ط، ٢ العرفان ١٩٥٢ .

شكرى ، غالي — شعرنا الحديث الى اين ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
التراث والثورة ، دار الطليعة بيروت ط ١ ، ١٩٧٣ .

الشكعة ، الدكتور مصطفى — اسلام بلا مذاهب ، دار النهضة ، بيروت بدون تاريخ .

شلبي ، الدكتور احمد — كيف تكتب بحثا او رسالة ، مكتبة النهضة المصرية ط . خاصة ١٩٦٦ .

شمس الدين ، عبد الحسين — دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر السياسة والعقيدة ١٩٦٦ ، رسالة دكتوراه جامعة القديس يوسف .

شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي — ثورة الحسين في الواقع التاريخي ، بيروت ١٣٨٦ هـ .

شهراشوب المازندراني ، محمد بن علي — مناقب آل ابي طالب ، بمباى ١٣١٣ هـ . المجلد الرابع .

الشوباشي ، محمد مفيد — الادب الثورى عبر التاريخ ، دار الهلال بمصر

شيخو اليسوعي الأب لويس — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، بيروت مط . الاباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

الصالح ، الدكتور صبحي — منهل الواردين ، شرح رياض الصالحين للنووى ج ، ١ و ٢ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠ .

صبحي ، الدكتور حسن — اليقظة القومية الكبرى ط ، ٢ ، مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٩٦٦ .

الصدر ، السيد محمد باقر — الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية ، مط . النعمان النجف ١٣٨٨
فلسفتنا ، منشورات عويدات ، بيروت ط . اولى ١٩٦٢ .

ضيف ، الدكتور شوقي — الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط ، ٧ ، دار المعارف بمصر . الفن ومذاهبه في النثر العربي ط ، ٦ دار المعارف بمصر . الفن الغنائي ، الرثاء من سلسلة فنون الادب العربي القاهرة ، ١٩٥٥ .

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم — دلائل الامامة المط. الحيدرية، النجف ١٣٨٣، ١٩٥٦

الطهراني آغابزرك — طبقات اعلام الشيعة، النجف الاشرف المط. العلمية ١٣٧٥، ١٩٥٦.

عبد العظيمي، الشيخ محمد علي الشاه — الايقاد المط. الحيدرية، النجف ١٣٨٢هـ.

عبده، الشيخ محمد — شرح نهج البلاغة، المكتبة الاهلية، بيروت

عتيق، الدكتور عبد العزيز — تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار النهضة بيروت١٣٩٠هـ .١٩٧١م. في النقد الادبي، دار النهضة، بيروت ط ،٢ ١٩٦٧.

العريني، الدكتور السيد الباز — المجتمع العربي، دار النهضة بيروت

العقاد، عباس محمود — التفكير فريضة اسلامية ،ط ،١ دار القلم بالقاهرة ابو الشهداء الحسين بن علي ، دار الهلال. ابن الرومي: حياته من شعره ط، ٧، ١٩٦٨، دار الكتاب العربي بيروت.

العلايلي، الشيخ عبد الله — الامام الحسين. دار مكتبة التربية، بيروت١٩٧٢.

علي، الدكتور اسعد احمد — معرفة الله والمكزون السجاري، دار الرائد العربي، بيروت .ط ،١. ١٣٩٢ـ ١٩٧٢. فن المنتجب العاني وعرفانه، دار النعمان بيروت ١٣٨٨ـ ١٩٦٨. الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام، دار الكتاب اللبناني، ط، ٢، ١٩٧٢م. ١٣٩٢هـ. تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار النعمان بيروت ط، ١ ،١٩٦٨م، ١٣٨٨هـ.

فرح، الدكتور الياس — تطور الايديولوجية العربية الثورية ، بيروت المؤسسة العربية للدراسة والنشر ،ط ،٢ ،١٩٧٢

فوق العادة، الدكتور سموحي — موجز المذاهب السياسية، دار اليقظة العربية ط، ١، ١٩٧٢م.

الفيروز آبادى ، السيد مرتضى الحسيني — فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، دار الكتب الاسلامية ، النجف ، ١٣٨٣هـ .

قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، — الشعر والشعراء ، مع تعليق وحواشي من الدكتور محمد يوسف نجم واحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤م .

القزويني ، السيد ابو الحسن — حول عقائد الامامية مكتبة الغروى ، ايران .

القيراوني الازدي ، ابو الحسن علي بن رشيق — العمدة ، دار الجليل ، بيروت ط ، ٤ ، ١٩٧٢م .

كارليل توماس — محمد المثل الاعلى تعريب محمد السباعي ط ،٢ المكتبة الاهلية ، بيروت .

كاشف الغطاء ، الشيخ محمد حسين — اصل الشيعة واصولها ط ، ١٠ ، القاهرة ١٣٧٧هـ . ١٩٥٧م .

الدين والاسلام ، مط . العرفان صيدا ، لبنان ١٣٣٠ هـ .

كحالة ، عمر رضا — معجم المؤلفين ج ٤مط . التركي ، دمشق ١٣٧٠هـ ١٩٥٧م .

الكرماني احمد حميد الدين — المصابيح في اثبات الامامة تحقيق مصطفى غالب ط ،١ ١٩٦٩م .

الكفافي ، محمد عبد السلام — جلال الدين الرومي في حياته وشعره ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م . في الادب المقارن ،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ .

متز ، آدم — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى ابو رية ، ط ، ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م .

المظفر ، الشيخ محمد رضا — عقائد الامامية ، منشورات القسم العربي بدار التبليغ الاسلامي ،قم/ ايران .

مغنية الشيخ محمد جواد — المهدى المنتظر والعقل ، دار العلم للملايين .

المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى-المعروف بالشيخ — الارشادط ، ٢ المط . الحيدرية النجف١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

اوائل المقالات في المذاهب والمختارات ط ، ٣ ، الحيدرية النجف ١٣٩٣ هـ . شرح عقائد الصدوق او تصحيح الاعتقاد ، المط . الحيدرية ١٣٩٣هـ

الفصول العشرة في الغيبة . المط . الحيدرية ١٣٧٠هـ ١٩٥١م .

المسعودى ، ابو الحسن علي ابن الحسين — مروج الذهب ، ط ،١ ، المط . الازهرية مصر ١٣٠٣هـ . الجزء الثاني .

الملائكة ، نازك — قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ، ٢ ، ١٩٦٥م .

ملحس ، ثريا عبد الحليم — منهج البحوث العلمية ، دار الكتاب اللبناني ، ط ،٢ ، ١٩٧٣م .

الموسوى العلوى ، علي بن الحسين — الامالي ، تحقيق محمد ابو الفضل آبراهيم ، دار الكتاب العربي ط ، ٢ ، ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م .

نجا ، الدكتور احمد صلاح الدين — الكميت بن زيد شاعر الشيعة السياسي في العصر الاموى بيروت ، دار العصر للطباعة والنشر .

النفيسي ، عبد الله فهد — دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٣ .

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب — نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، السفر الخامس الباب الثاني .

النويهي ، الدكتور محمد — الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر .

الوائلي . ابراهيم — الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ، مط . العالي بغداد ١٣٨١هـ . ١٩٦١م .

ولسون، كولن — الشعر والصوفية، ترجمة عمر الديراوى ابو حجلة، دار الاداب بيروت ٧ اولى ١٩٧٢م.

مراجـــع أجنـــبيه :

Abdel Malek , Anouar : La penseé politique arabe contemporaine.Ed. du seuil Paris 1970.

Brockelmann : Supplément II.

Daniel Vidal : Essai sur l'ideologie , Paris 1971. Ed. Anthropos.

– Dictionnaire Alphabetique et Analogique de la langue française, couronné par l'accadémie française: ideólogie Ed. Société du nouveau Littré. 1970.

Encyclopedia Britanica (Ideólogiy) Ed. 14 eme 1929.

Encyclopedie « Littré » de la langue française (Ideólogie)

Encyclopedie Universalis (Idéólogie) 9 eme. publication Sept. 1974.

encyclopedique (Ideólogie) Fev. 1960. GrandLarousse

Freud Simgund: Ma vie et la psychanalyse, traduit de l'allemand par Marie Bonaparte. gallimard Paris 1965.

Vocabulaire technique et critique de la philosophie

الموضوع	رقم الصفحة